

كتاب

سوسة سليمان

في اصول

العقائد والاديان

HISTORY OF RELIGIONS.

BY

NOFEL EFFENDI NOFEL.

وهو

الجزء الرابع من المقالة الثانية من كتاب

زبدة الصحائف في اصول

المعارف

برخصة مجلس معارف ولاية سورية المجلدة

طبع في بيروت سنة ١٨٧٦

كتاب

سوسنة سليمان

في اصول

العقائد والاديان

HISTORY OF RELIGIONS,

BY

NOFEL EFFENDI NOFEL.

وهو

البحث الرابع من المقالة الثانية من كتاب

زبدة الصحائف في اصول

المعارف

برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلية

طبع في بيروت سنة ١٨٧٦

| | |
|----|---|
| | المقدمة في حالة الانسان ومراتبه المدنية وروابط الانتماس |
| ١ | البشري السياسية والادبية |
| ٢ | انواع الاديان الموجودة الآن |
| ٣ | فصل في اسباب هذا الانقسام وظهور العبادات الجاهلية والكنائية |
| ٤ | الفرقة الاولى المجوسية |
| ٨ | الفرقة الثانية الصابئة |
| | فصل في افساد هذه البدع الاخبار الصحيحة الواصلة الى معاصري |
| ١٠ | ظهورها بالنقل الشفاهي من اخبار خلق العالم واسنادها الى الهتهم |
| ١٥ | فصل في انتشار العبادة الوثنية عن الصابئين المذكورين |
| ١٥ | الفينيقيون |
| ١٥ | العرب |
| ١٧ | المصريون |
| ٢٢ | اليونانيون |
| | فصل في ما اشتهر من هياكل الطوائف المذكورة ومعابدها بوجه |
| ٢٥ | الاجال |
| ٢٥ | فصل في افساد المناسك والقرابين الاصلية |
| ٢٧ | الوثنية الحاضرة |
| | فصل في ما اطلعنا عليه في بعض المؤلفات والجرائد من اخبار |
| ٢٨ | معتقدات هؤلاء الامم ومناسكهم |
| ٢٨ | الكلام على البراهمة الهنديين |
| ٤٤ | فصل في ما يروى من اخبار معابد هذه الامة ومناسكها |
| ٥٣ | الكلام على البوذيين |

| | |
|-----|---|
| وجه | |
| ٥٤ | فصل في اخبار بوذة المذكور وتعاليمه |
| ٦٠ | اخبار كنفوشيبوس وتلميذه منسيوس |
| | ما وصلت اليها اخبار من معتنقات فروع الديانة |
| ٦٣ | البوذية المذكورة |
| ٦٣ | الفرع الاماوي |
| ٦٦ | البوري |
| ٦٦ | الفلاحي |
| ٦٧ | الفوي |
| ٦٧ | الديانة السيتوية |
| | فصل في ما وصل اليها من اخبار معابد ومناسك وطقوس الديانة |
| ٧٣ | البوذية وفروعها والديانة السيتوية بوجه الاجمال |
| ٩٤ | ذيل |
| ٩٥ | الكلام على المشركين |
| ٩٧ | فصل في المتواتر من اخبار مناسك هذه الامة وعوائدها |
| | الفرقة الثالثة الكتانية اي اصحاب الوحي المستندين في معتقداتهم |
| ١٠٧ | على الكتب السماوية والعقائد الجامعة بينهم |
| ١١٠ | الكلام على اليهود |
| ١٢٣ | فصل في ما وصل اليها من اخبار الفرق اليهودية |
| ١٢٣ | مقدمة |
| ١٢٥ | الفرقة الصاديقية |
| ١٢٥ | السيرة |
| ١٢٥ | الصدوقيون |
| ١٢٥ | الفرقة الخاسيدية |

| وجه | تكملة |
|-----|---|
| ١٢٥ | الفريسيون |
| ١٢٦ | الكتبة |
| ١٢٦ | الاسينيون |
| ١٢٧ | الهيروديون |
| ١٢٧ | الجاليليون |
| ١٢٧ | الليبرتيون |
| ١٢٧ | نقمة |
| ١٢٤ | حاشية |
| ١٢٦ | الكلام على المسيحيين والعقائد الجامعة بينهم |
| | فصل في البدع التي ظهرت بين المسيحيين وسببت انعقاد الجامع |
| ١٤٣ | وانقسام الكنائس |
| ١٤٣ | بدع الفلسفة |
| ١٤٤ | الاخلاق |
| ١٤٥ | البدع المتعلقة بطبيعة المسيح |
| ١٤٧ | بدع المجادات |
| ١٤٨ | الجامع واقسامها وعددها |
| ١٥٤ | الكنائس التقليدية |
| ١٥٦ | الكنائس الانجيلية |
| ١٥٧ | فصل في انواع الفرق والشيع المسيحية الموجودة في القرن التاسع عشر |
| ١٨١ | الكلام على الاسلام والعقائد الجامعة بينهم |
| ١٨٥ | فصل في البدع التي ظهرت واوجبت وضع علم الكلام |
| | ملخص ما اختلفت به الفرق الاسلامية وما منها من |

وجه

| | |
|-----|---|
| ١٨٧ | الفرق التي يعتقدون انها هالكة |
| ١٨٨ | الاولى المعتزلة |
| ١٩٤ | الثانية المشبهة |
| ١٩٦ | الثالثة القدرية |
| ١٩٦ | الرابعة المجبرة |
| ١٩٧ | الخامسة المرجحة |
| ١٩٨ | السادسة الحرورية |
| ١٩٩ | السابعة التجارية |
| ١٩٩ | الثامنة الجهمية |
| ١٩٩ | التاسعة الروافض |
| ٢٠٥ | العاشرة الخوارج |
| ٢٠٩ | فصل في ما يتعلق باهل السنة |
| | الخاتمة في ما وصل اليه من اخبار القرامطة والنصيرية والدروز |
| ٢١٤ | وفيها مقدمة وثلاثة فصول |
| ٢١٤ | المقدمة في ظهور ميمون القدّاح وترتيب مذهبه |
| ٢١٥ | وصف دعوته وترتيبها |
| ٢١٨ | صورة العهد الذي يؤخذ على المدعو |
| ٢٢١ | حاشية في اختلاف الشيعة في القائم |
| | الفصل الاول في سبب تسمية منادي هذا المذهب بالقرامطة |
| ٢٢٦ | وكيفية انتشاره |
| ٢٢٩ | حاشية في الاستدلال من تفاصيل دعوة ابن القدّاح واخبار القرامطة |
| ٢٣١ | الفصل الثاني في ما عُرِف عن النصيرية |
| ٢٤٦ | الفصل الثالث في ما اشتهر من ديانة الدروز ومعتقداتهم الخفية |

مقدمة

في حالة الانسان ومراتبه التمدنية وروابط الائتناس البشري السياسية والادبية

حالة الانسان . اذا صرفنا النظر عما اختلفت فيه الاراء البشرية من جهة خلقه الانسان وما كان عليه من الخلق الاصلي وتاملنا بمجرد حاله الراهنة نجد ان الاصل فيه والحالة هذه الساذجية والتجرد عن الزينة وعدم العلم الصفات التي يُعبّر عنها بالوجود على اصل الفطرة ويحقق لنا الاخبار بان المعارف تطرأ عليه الى ان يصل الى درجة الكمال هبة واكتسابا اذ انه كلما تباعد عن الحالة الاصلية وبرع في الاختلاط والمعايشة وقوي في اسباب التماس والتعيش وترقى في الصناعات وانواع العمران والتمدن زاد تأدبه وظرفه وعظم تمدنه . ولهذا قسم بعضهم الناس باعتبار كيفية تعيشتهم وتادبتهم وعدم ذلك الى ثلاث مراتب . المرتبة الاولى مرتبة اهل والمتوحشين والمرتبة الثانية مرتبة اهل الخشونة المتبربرين والمرتبة الثالثة مرتبة اهل الادب والظرافة والمعرفة المتمدنين

المرتبة الاولى . مثال المرتبة الاولى اهل الذين هم دائما كالبهائم السارحة لا يعرفون الحلال من الحرام ولا يقرأون ولا يكتبون ولا يتخذون لهم صناعة ولا يعرفون من انواع العمران شيئا وانما تبعثهم الوجلايات على قضاء شهواتهم كما تبعث البهائم فيذرعون بعض شيء او يصطادون لمجرد سد رمقهم

ومثال المرتبة الثانية الناس الذين يتأنسون ويتعيشون ويعرفون الحلال

من الحرام ويعرفون الكتابة والقراءة ويتمسكون بشريعة غير ان الناس الخاص
باهل الامصار ليس عندهم منه شيء حيث لم تكمل عندهم وسائل حسن المعاش
والصنائع والعمران فلا يحسنون مثلاً بناء البيوت بل يتقون الحر والبرد بما دون
ذلك وانما يحسنون تربية الحيوانات وزراعة الارض

ومثال المرتبة الثالثة الناس ارباب العمران والسياسات والعلوم والشرائع
والصنائع الذين كملت عندهم الادوات والآلات والحيل في انواع المعيشة وهذه
المرتبة ثنات في فنونها وحسن حالها وتقليدها الشريعة وترقيها في الصنائع
وانواع الرفاهية فتسمى مرتبة التمدن وفي مبدئها يقال لها مرتبة نصف التمدن .
وقد نُطلق مرتبة نصف التمدن على ما قبلها وهي المرتبة الثانية

ثم ان روابط هذا الائتناس البشري على الاطلاق تُقسم الى قسمين وهما
روابط ادبية وروابط سياسية فمتى اجتمع قوم تحت رابطة من الروابط الادبية
يُقال لهم شعب او ملة واذا اجتمعوا تحت رابطة ما سياسية كانوا دولة بصرف
النظر عن الاتفاق في الروابط الادبية والعكس معهود في القسمين

اما الروابط السياسية او المدنية فهي الشرائع والاحكام واجتماع عدة من
الناس مطيعة لاحكام واحدة تتألف منها الدولة والمملكة على ما ذكرنا متنوع
بتنوع الحكم فالحاكم اما ان يكون ديمقراطياً او ارسقراطياً او مونرخياً او مختلطاً
فاذا كان الحكم صادراً من الامة المحكومة نفسها من غير واسطة فهو ديمقراطي
نسبة الى الديمقراطية يعني الجمهورية اي حكم الجمهور واذا كان الحكم صادراً
من عدة حكام في الملة مستخرجين من كبارها وصدورها فهو ارسقراطي يعني
صادراً من امراء البلاد وكبارها واذا كان الحكم في يد واحد فقط فهو مونرخي
يعني ملكياً وحكم الملك اما ان يكون مقيداً اذا كان الملك يحكم بقوانين المملكة
وكان يمتنع اتباع الاحكام عن ان يخرج منها الى هوى نفسه فحينئذ يكون الحاكم
مقيد بالتصرف . واما ان يكون مطلق التصرف اي فاعلاً مختاراً اذا كانت
ارادته فوق قوانين المملكة يعني اذا كان يمكنه هتك حرمة القوانين من غير

معارض واصول هذين الحكمين او الثلاثة يمكن ان تجتمع فيحصل منها حكم مركب عظيم النفع او قليلا

واما الروابط الادبية التي اخبرناها عن السياسة لبسط الكلام على ما هو منها موضوع كلامنا هنا فهي اللغات والاديان وحيث قد تقدم الكلام فيها مرّ على اللغات فلا حاجة لاعادته هنا . اما الاديان فهي التي سنسب عليها الكلام اذ ان كل الامم تقر بوجود الالهية ايا ما كانت ولئن كانوا ليسوا جميعاً مصيبين في معبودهم بل بعضهم مصيب واكثرهم منطى

انواع الاديان

الاديان الموجودة الآن على وجه الارض هي البراهمة والبوذية واليهودية والنصرانية والاسلامية وهذه الاديان كلها تقرّ بوحداية الاله واما ما عداها من الاديان فانه قائل بالتمدد ومع ذلك فان الجميع الا ما ندر يعتقدون خلود النفس ويرجون الثواب والعقاب وانما يختلفون في الصفات والكيفيات والطرق الموصلة الى السعادة الابدية ويمكن انقسام هذه الاديان اجمالاً الى قسمين وثنية اي جاهلية وكتابية

—ow—

فصل

في اسباب هذا الانقسام وبدء ظهور العبادات الجاهلية والكتابية

لا يخفى انه لما نشأت الارض من مياه الطوفان لم يكن فيها اكثر من

دبابة واحدة بين العالم الموجود وقتئذ وفي عبادة الخالق عز وجل وكان
التقرب اليه منحصرًا في الصلاة وتقديم القرابين من اطهر الحيوانات والطيور
واجودها فقط ولكن بعد ان تفرق بنو نوح على سطح الارض بزمن يسير تاه
الناس في قفار الجهل وتركوا عبادة واجب الوجود الذي لم تكن تراه ابصارهم
بل كانت معرفته تنتقل اليهم شفاهًا من السلف الى الخلف وابدلوها بما هو
واقع تحت ابصارهم من الاجرام السماوية كالشمس والقمر وباقي النجوم التي اتخذوها
الهة من دون الله في بداءة ضلالهم ولا زال الحال على هذا الى ان اختلفوا في
مناهمم وافترقوا الى ثلاث فرق اولى مع فروعها وهي المجوس والصابئة واليهود

الفرقة الاولى المجوسية

اما المجوس فهم اقدم هذه الطوائف واصلم من بلاد فارس اعتقدوا اولاً
بوجود الهين احدهما نور ومبدأ الخير كله ويسمونه اورمزد او بزدان والثاني
ظلام ومبدأ الشر كله ويسمونه اهرامان او اهرمن وهما بحسب اعتقاد الجمهور
متماثلان في الازلية والقوة لكن بما ان بينهما معاملة كان الغالب اهرامان متى
كثر الشرور في العالم واورمزد متى كثرت الخيرات . وكان الانسان منهم
حين يصلي يطلب الخير لنفسه ولاحيائه من اورمزد واذا طلب الشر لاعدائه
يطلبه من اهرامان الذي ليغضهم له كانوا يكتبون اسمه مقلوباً هكذا ١٥٦٦٠
ثم انقسموا اخيراً على ما ذكره ابن خلدون المغربي الى ثمان فرق نشر نبوة
ابراهيم الخليل وهي الكيومرثية اصحاب كيومرت الذي يقال انه آدم والرزوانية
اصحاب رزوان الكبير والزرداشية اصحاب زرداشت بن بيورشت الحكيم
والثنوية اصحاب الاثنين الازليين (وقد مر ذكرها) والمناوية اصحاب ماني
الحكيم (وسوف ياتي ذكره في الكلام على النصارى) والمزركية اصحاب مزرك

المخارجي والبيصانية اصحاب ييسان القائل بالاصلين القديين والفرقونية القائلون بالاصلين وان الشر خرج على ابيه وانه تولد من فكرة فكرها في نفسه فلما خرج على ابيه الذي هو الاله بزعمهم عجز عنه ثم وقع الصلح بينهما على يد الندمات وهم الملائكة ومنهم من يقول بالتناسخ ومنهم من انكر الشرائع والنبوات ويحكمون العقول ويزعمون ان النفوس العلوية تفيض عليهم الفضائل

وقال آخرون ان اول من شرع في ابطال القول بالهي النور والظلمة واخذ يعلمهم بوجود اله واحد فقط هو زرداشت الذي سبق ذكره وكانت وفاته في سنة ٤٨٧ قبل التاريخ المسيحي فانه ألف لهم كتاباً تحوي على ١٢ مجلداً وفي كل مجلد منها ١٠٠ جلد ومن جملة ما فيها ان هذا الاله الواحد قد خلق ملائكة ملاك النور وملاك الظلام وان الشرور التي توجد في العالم هي صادرة عن طبيعة المخلوقات اللازمة كالظل الذي يصدر عن الاجسام ضرورة وان هذه الشرور لا تنزال حتى انتهاء العالم حينما تقوم الاموات ويدان كل واحد بحسب اعماله وان ملاك الظلمة واتباعه يمشون حينئذ الى مكان ظلمة وعذاب ابدي واما ملاك النور واتباعه فيمشون الى مكان نور وسعادة دائمة حيث لا يتبعهم شر الى الابد . وحيث لم يكن للمجوس هياكل قبل عصره وكانوا يسجدون للشمس والنار على التلال او بين الشجر تحت الجو اما الشمس فلانها على زعمهم مسكن الله واما النار فلشابهة بها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم زرداشت المذكور ان يبنوا الهياكل لكيلا يمنهم مزاج الفلك عن العبادة في اي وقت كان وان المشرق يكون لهم قبلة والصلوات تكون في اوقات الطلوع والزوال والغروب وجدد لهم بيوت النيران التي كان منوشر اخمدها وادعى بانه صعد الى السماء حيث نظر الله في سحابة لامعة وسمع صوته وانه جاء عند نزوله من السماء بشيء من النار الموجودة هناك وذلك هو النار المقدسة التي يحفظونها دائماً على مناجمهم مشتعلة وعندما يسجدون للشمس في وقت شروقها كان لابد من وجود هذه النار امامهم وكانوا يحفظونها نهاراً وليلاً بكل حرص

ولا يجوز للكهنة ان ينفخوها بافواههم فان فعل ذلك احد وجب ان يميتوه ولا
تقرب الكهنة المذبح بدون برقع على وجوههم لئلا يفسدوا النار بانفاسهم ولا
يجوز لهم ان يشعلوها بروحة ايضاً وما يستعملونه لها من الوقود لابد من ان
يكون حطباً نظيفاً مقشوراً وان انطفأت وجب ان يجذدوها من نار هيكل
آخر لا من النار الاعيادية ورتب لهم عيد بن ايضاً وها النوروز ومعناه اليوم
الجديد وجعله في الاعتلال الربيعي والمهرجان ومعناه الخريف وجعله في
الاعتلال الخريفي

وحيث انه قسم كتبه هذه الى ثلاثة اقسام قسم منها في اخبار الامم الماضية
وقسم في حدثان المستقبل وقسم في نواميسهم وشرائعهم وهي تحتوي على امور
كثيرة اخذها من كتب موسى النبي مشترع الديانة اليهودية مثل العشر
للكهنة والحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة ولئن كان غايرها ايضاً في اشياء كثيرة
جوهرية منها اجازته للانسان ان يتزوج بينه واولاده او امه وان الذي يتزوج
بامه تكون اولاده اقدس من غيرهم وقد فعل ذلك كثيرون من اهل فارس
لا سيما ملوكهم وروساؤهم . لكن لما اخذ اسكندر المقدوني سلطنة فارس ابطل
هذه العادة الوحشية قال كثيرون من كتبة الافرنج وغيرهم ان زرداشت
المذكور كان تلميذاً للذانيال النبي وان هذا الظن يوافق جميع ما كتب عنه في
كتب المؤرخين القدماء وانه كان يؤلف كتبه هذه في مغارة ويسمىها كتب
ابراهيم (يعني ابراهيم الخليل) ولكن عرفت عند غيره بكتب زند وقال ابن
خلدون المغربي ان بعض اهل الكتاب يقولون ان زرداشت كان خادماً
لبعض تلامذة ارميا النبي فخانه في بعض اموره فبرص ولحق باذربيجان وشرع
بها في دين المجوسية . واما علماء الفرس فيقولون ان زرداشت المذكور من نسل
ملوك منوشهر وان نبياً من بني اسرائيل بعث الى كيستانسف ببلغ فكان زرداشت
المذكور وجاماسب العالم ايضاً الذي هو كذلك من نسل ملوك منوشهر
يكتبان بالفارسية ما يقوله ذلك النبي بالعبرانية وقال ايضاً ان زرداشت جاء

بكتاب ادعاه وحيًا وان كيستاسف المذكور وضع هذا الكتاب في هيكل
باصطخر ووكل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسى ذلك الكتاب تستاه ثم
فسره زرداشت وسبي تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانياً وسماه زندية فكانت هذه
اللفظة اصلاً لكلمة زنديق لان هكنا عربتها العرب واخصت في عرف الشرع
بمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر اه

اما سبب تسمية هذه الطائفة بالمجوس فهو انه كان اخطأ رجل منهم يقال
له زمردس الى كورش ملك فارس الذي تولى المملكة سنة ٥٦٠ قبل الميلاد
فقطع اذنيه قصاصاً له ثم بعد موت كورش المذكور تولى السلطنة زمردس هذا
ثمانية اشهر عندما كان احشويروش بن كورش يومئذ بعيداً في مصر وهو الذي
يُدعى في الكتاب المقدس ارتخشستا (عزرا ٤: ٧) وكان السبب في توليه المملكة
انه كان لكورش ابن آخر يقال له زمردس ايضاً وقد قُتل سراً وكان زمردس
هذا يشبهه في الصورة فغش الشعب بانه هو وملك باسمه على انه هو ثم لما ظهر
للناس كذبه قتلوه وقتلوا معه كثيرين من قومه فوقع ذلك اهانة عظيمة على
الماذهب كله وسميت اصحابه بالمجوس اشارة الى عيب زمردس الكاذب لان
لفظ مجوس عندهم معناه فاقدوا الاذان لكن اخيراً صار لكثرة معارف كهنتهم
مرادفاً لمعنى فلاسفة او علماء مع ان عوام الطائفة كانوا بافين في حالة الجهل

ثم من نحو الف سنة تقريباً انتقلت هذه الطائفة من بلاد العجم وسكنت في
الهند بسبب ما جرى عليها من الاضطهاد ولا زالت تعبد النار هناك وخاصة
الشمس وهم يبنون مقابرهم على ترتيب يوافق اعتقادهم فيضعون اجسام الموتى
على سطح برج عالٍ مدور وهذا السطح مبلوط وفي وسطه بئر عميقة وعند ما
يموت احدهم يضعون رثته على لوح من الحجر عربانة مكشوفة للشمس وهذه
الالواح الحجرية تكون ثلاثة صفوف الصف الخارجى منها للرجال والوسط
للنساء والداخلي الاولاد وتبنى تلك الرمم تحت حرارة الشمس وهطل الامطار
الى ان تاكلها الطيور ولا يبقى الا العظام فيطرحونها حيث يشاء في تلك البئر وهم

يزعمون ان نور الشمس وحرارتها تطهران هذه الاجسام من دنس الخطية فتدخل النعيم مطهرة مقدسة ومن ثم لم يبق على هذا المذهب في بلاد العجم الا نحو (٤٠٠) عائلة في نواحي يزد من جنوبي خراسان في مملكة ايران ولم هيكل على راس جبل هناك يحفظون فيه النار المقدسة حتى الآن

الفرقة الثانية الصابئة

اما الصابئون ويقال لهم الكلدان ايضا فهم اول من سجد للاصنام ويحتفل انهم كانوا في ابتداء مثل المجوس يسجدون للاجرام السماوية لكن لما كان لا بد للشمس من ان تخفي ليلاً وكذلك النجوم نهراً وقد تكون احياناً مستترة كلها بالغيوم اخترعوا صوراً لتلك الاجرام لكي تكون موجودة عندهم دائماً وسموها باسماء النجوم عينها لان الاوثان المشهورة بين القدماء هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وارطاميس ويونون والزهرة ونحو ذلك ثم زعموا اخيراً بان نفوس العظماء من الاموات لها تأثير عظيم عند الله كالوسطاء بينه وبين خلقه ونج عن هذا الوهم اصطناعهم صوراً لمن اعتقدوه من هذا القبيل وسجدوا لها. ويقال بان اول من فعل ذلك كان نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين الذي بنى مدينة نينوى فانه صنع تمثالاً لابيه وذلك في سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد واطهره للناس وامرهم بعبادته فاقبلوا به وصاروا يعبدون ملوكهم وامراءهم وشجعانهم واذا صح ذلك فيكون نينوس المذكور هو اول من انشا عبادة الاوثان ولا يجهل احد من اهل الكتاب بان ابراهيم الخليل الذي مر ذكره فيما سبق كان من هذه الطائفة هو واجلاده كما يتضح مما ياتي في الكلام على اليهود

قال ابن خلدون المغربي ان الصابئة هم الفائلون بالهياكل والارباب السماوية والاصنام الارضية وانكار النبوات وهم اصناف وبينهم وبين الخنفاء

مناظرات وحروب مهلكة وتولدت من مذاهبهم الحكمة المملطية ومنهم اصحاب
الروحانيات وهم عباد الكواكب واصنامها التي عملت على تماثيلها . اما المعتقد
فهم القائلون بان الروحانيات منها ما وجودها بالقوة ومنها ما وجودها بالفعل
فما هو بالقوة يحتاج الى ما يوجد بالفعل ويفرون بنبوة ابراهيم وانه منهم وهم
طوائف منها الكاظمة اصحاب كاظم بن تارح (لعل تارح هذا ابو ابراهيم الخليل)
ومن قوله ان الحق بين شريعة ادريس (اخنوخ) وشريعة نوح وشريعة ابراهيم
ومنها البيدانية اصحاب بيدان الاصغرو من قوله اعتقاد نبوة من يفهم عالم الروح
وان النبوة من اسرار الالهية ومنهم القنطارية اصحاب قنطار (لعله قينان) بن
ارفكشاد ويفر بنبوة نوح ومنها اصحاب الهياكل ويرون الشمس اله كل اله
والحرانية ومن قولهم المعبود واحد بالذات وكثير بالاشخاص في راي العين وهي
المدبرات السبع من الكواكب والارضية الجزئية والعائلة الفاضلة (هكذا في الاصل
المنقول عنه)

وما ذكرناه يتضح السبب الذي اوجد بين المجوس والصابئين امرين
متضادين وهما المشابهة من جهة والاختلاف والبغض من اخرى اما المشابهة
فهي لكونه كما جاز في راي المجوس ان يسجدوا للشمس ازعمهم بانها مسكن الله
كذلك جاز في راي الصابئة ان يسجدوا للالوان لاعقادهم بانه
جل وعلا يسكن فيها . واما التباغض والتخالف
فهو لمجرد اتخاذ الصابئين هذه الصور والتماثيل
المذكورة لان المجوس حتى ايامنا
هذه لم يتخذوها ولا
يسجدوا لها

فصل

في افساد هذه البدع الاخبار الصحيحة الواصلة الى معاصري ظهورها
بالنقل الشفاهي من اخبار خلق العالم واسنادها الى المهتم

كما افسدت هذه العبادات الاختراعية ما كان متصلاً الى اصحابها بالنقل
الشفاهي من العبادة اللائقة بواجب الوجود وحولته الى الآلهة التي اخترعها
البشر كذلك افسدت ما كان متصلاً اليهم بهذه الطريقة عينيها او بالاخذ عن
كتب الديانة الموسوية من اخبار خلق الله العالم وحولته الى تلك الآلهة ايضاً
كما ينضج ذلك من التقاليد الآتي بيانها وهي

(١) التقليد الكلداني نفلاً عن بروسوس المؤرخ البابلي الذي كان
كاهناً لبعل اله البابليين في ايام انتيوخوس الثاني سنة ٢٦١ او سنة ٢٤٦
قبل الميلاد وكتب تاريخ بابل او تاريخ الكلدان الذين كما بصددهم باللغة
اليونانية وتاريخه قد فقد خلا بعض جمل منه حفظها يوسيفوس وغيره من
المؤرخين القدماء ولم يبقَ منها غير بقياتٍ . منها انه لما كانت الدنيا خالية
خاوية خلقت مخلوقات اجسادها كبيرة ومختلفة عن الاجساد البشرية وان
البعل الذي هو اله النور والهواء عندهم بدل خلق الارض وخلق الشمس والقمر
والسيارات الخمس وامر الآلهة ان يجعلوا في الارض سكاناً فسكنها بعد السكان
المذكورين قوم برابرة الى ان ظهر اوانز وهو مخلوق اعلاه كجسد الانسان واسفله
كجسد السمك (وعنه اخذ الفلستينيون داجون المهر) وان خروجه كان من
بحر الهند فاخذ يعلم سكان الارض مبادئ النظمات والمعارف وعلمهم ان يبنوا

المدن والهيكل . وأنه دامت الحال على هذا المنوال (٤٢٢٠٠) سنة وأنه خرج في تلك المدة ستة رجال نصفهم الأسفل كاسفل السمكة وعلوا أهل الأرض العلوم التي تقررت عندهم في الكتب السبعة المقدسة وأنه حكم الأرض ثلاثة غيرهم آخرهم إله بعل وهو العاشر وإن هؤلاء هم الملوك الذين سبقوا الطوفان وحكموا (٤٢٢) ألف سنة وإن إله بعل المذكور حذر كسيثورس بأنه سيهلك كل العالم بالطوفان ولذلك بنى قلعة ودخله إلى أن انتهى الطوفان وذكر في جريدة أخرى مناسبة الأخبار عن وجود حجر اسمه ساردانا بولوس مكتوب بأحرف قديمة ترجمها مستر جورج ميت العارف باللغة الآشورية وإن أهل العالم متعجبون من ذلك لأن تلك الكتابة هي خبر طوفان قريب من الطوفان المذكور في التوراة ما نصه ولا يخفى أن المؤرخ بروسوس الكلداني قرّر قبل الميلاد بثلاثة قرون باللغة اليونانية تاريخ خلقه الإنسان إلى أن تفرقت الأجناس وذلك نقلاً عن الكتب الدينية المنسوبة إلى إله أوانز وفي ذلك التاريخ عدد الآباء الذين سبقوا الطوفان وخبر حدوث الطوفان وبناء برج بابل وتبليبل الألسن وهذا الخبر يشابه بنوعٍ مدّش الخبر المقرّر في التوراة وخبر هذا المؤرخ وخبر التوراة هما متشابهان جداً للخبر المقرّر في حجر ساردانا بولوس وقد قال المؤرخ بروسوس المذكور أن اسم الملك العاشر الأخير الذي سبق الطوفان هو كسيثورس وينسب إليه ما ينسب في التوراة إلى نوح عليه السلام وما يأتي هو ما قاله بروسوس في هذا الخصوص أنه حدث طوفان عظيم في أيام كسيثورس (وفي بعض المؤلفات زسوستروس) وظهر إله كردنوس (وقيل خرونوس) وهذا الاسم هو عند اليونان ترجمة ايلو ظهر له في حلم وحذره قائلاً أنه في اليوم الخامس عشر من شهر دوسيبوس (وهو شهر سيوان عند أهل بابل والكلدان والعبرانيين والإسرائيليين وعند العرب شعبان) سيحدث طوفان يهلك الجنس البشري وطلب إليه أن يكتب تاريخ ابتداء العالم ونهايته وإن يدفن ذلك التاريخ في مدينة الشمس في سيارا وإن يبني مركباً ويدخل إليه

اصحابه واقاربته وان يضع فيه كلما يلزم للقيام بالاولاد وان يدخل اليه من كل
حيوانات الارض وطيور السماء وان يركب الغمر بدون ان يخاف فسأل الله الى
ابن اذهب فقال له الى الالهة وعند ذلك صلى طالباً خيراً الجنس البشري
وبعد ذلك اطاع الامر الالهي وبني مركباً طوله خمس استاديات غلوات
(ثلاثة آلاف قدم) وعرضه استاديان (الف ومئتان قدم) ووضع كل شيء
ما هيباً في هذا المركب وبعد ان ادخل اليه كل شيء ادخل امرأته واولاده
واصحابه وبعد ان اتى الطوفان الارض وقل مع مرور الزمان ارسل كسبثورس
طيوراً من المركب ولكنهم لم يجدوا أكلاً ولا مكاناً لتريح عليه رجلها ولذلك رجعت
اليه. وبعد بضعة ايام ارسلها مرة ثانية فرجعت اليه والوحل على ارجلها وجرب
ذلك مرة ثالثة بهذه الطيور ولكنهم لم ترجع وجعلته ذلك يعرف ان وجه الارض
قد ظهر من تحت المياه ولذلك فتحت نافذة في المركب ونظر منها فرأى ان
المركب واقف على جانب جبل فبادر على الفور هو وامرأته وابنته والدليل الى
الخروج منه وعند ذلك سجد للارض وبني مذبحاً وذبح عليه للالهة ثم غاب عن
وجه الارض هو والذين خرجوا معه من المركب اما الذين بقوا في المركب فلما
رأوا ان رفاقهم لم يرجعوا خرجوا من المركب نائمين نوحاً شديداً واخذوا
ينادون كسبثورس بدون انقطاع ولم يروا بعد ذلك ولكنهم كانوا يقدررون
ان يميزوا صوته في الهواء وكانوا يسمعونهم يحرضهم على ان يعتبروا الديانة
الاعتبار الواجب وكذلك كان يقول لهم انه انتقل من الارض ليعيش مع الالهة
وان امرأته وابنته والدليل حصلوا على نفس تلك الدفعة المعتبرة وقال ايضاً
انه من الواجب ان يرجعوا الى بابل وان يحنوا عن الكتابات في سيارا بحسب
الامروايم سينشرون ذلك بين كل البشر وان البلاد التي كانوا فيها هي بلاد
ارمينية فلما سمعوا ذلك داروا وذهبوا الى بابل اما المركب الذي كان واقفاً
في الجبل فبقي بعضه في جوربون من جبال ارمينية وكان الاهالي يأخذون عنه
ما كان مغطى به ويحملونه لمضادة فعل السم وعوذات ولما رجعوا الى بابل

ووجدوا الكتابات في سبارا بنوا مدناً وشيدوا هياكل وهكذا أصبح في بابل سكان مرة أخرى

(٢) التقليد الفريجي وهو ابن الملك ناناكوس عاش ٢٠٠ سنة وتنبأ بهجيء طوفان وبكى على شعبه وصلى لأجلهم ويستبين طول بناء هذا التقليد من حيث أنهم صكوا معاملة في مدينة اقامية في ايام سيفيرس (الامبراطور الروماني) نحو سنة ٢٠٠ ب م مصور عليها طوفان وعليها صورة فلّك مربع فيه رجل وامرأته وفوقه طير حامل غصناً في مخالبه وبجانب الفلك هذان الحرفان "نو"

(٣) التقليد اليوناني وهو ان ديكاليون ملك ثساليا اخبر عن ابيه بهجيء طوفان فبنى فلكتاً ونجا هو وامرأته واسمها فرّة من الطوفان الذي اهلك الجنس البشري ولما نشفت المياه استقر الفلك على جبل برناسس وذهبها حالاً الى هيكل ثاميس ليسألأبابة واسطة يتجدد الجنس البشري فاجاب اله هيكل وامران ديكاليون وفرّة يستران وجهيهما ويحلان منطقتهما ويطرحان وراء ظهرهما عظام والدتهما العظيمة واذ استنجا من ذلك ان والدتهما هي الارض طرعا وراءها الحجارة والحصى التي وجداها على وجه الارض فالحجارة التي طرحها ديكاليون صارت رجالاً والتي طرحنها فرّة صارت نساء

(٤) التقليد الفارسي وهو ان العالم قد قسد بواسطة اهرامان اله الشر فاقضى غسله بطوفان ماء عمومي لازالة كل الفساد فمطل المطر نقطاً كبيرة على قدر راس الثور فتغطت الارض بالماء الى علو قامة فهلك جميع اتباع اهرامان

(٥) التقليد الصيني وهو يشير الى جبل طهارة يدعى السماء الاولى فيه

تمت كل الخليفة بسعادة كاملة فخلقت السماء الثانية التي تقدمها انقلاب عظيم في الطبيعة فانكسرت اعمدة السماء وانهمزت الارض حتى اساسها فهبطت السماء من الجهة الشمالية وغبرت الشمس والقمر والنجوم وحركاتها وتكسرت الارض الى كسر وانفجرت المياه المحصورة في جوف الارض بعنف وغطت وجهها

واذ عصى الانسان السماء خرب نظام الكون فانكسفت الشمس وغيّرت
الكواكب حركاتها وانزعج اتفاق الطبيعة

(٦) التقليد الهندي قبل انه في ملك ساتيا فرانا ملك الهند صار الجنس
البشري شريراً ولم يبقَ بار سوى ساتيا فرانا وسبعة قديسين آخرين واما رب
الكون اذ احبّ الانقياء وقصد خلاصهم من بحر الهلاك امر الملك قائلاً انه
بعد سبعة ايام ايتها الملك يغرق العالم في بحر الموت وبقف امامك بين الامواج
فلك عظيم اعدته لاجلك فخذ معك كل نوع من النبات الطيب وكل نوع
من البزور فتدخل الفلك برفقة السبعة القديسين وازواج من كل الحيوانات
فلا يكون لك نور الا من لمعان وجوه اصحابك فبعد سبعة ايام صعد البحر على
البر وهطلت الامطار من الغيوم ولما رأى ساتيا فرانا الفلك مقبلاً دخل اليه مع
رفقائه وبعد نهاية الطوفان تعين المنو السابع ومنه تجديد الجنس البشري

(٧) تقليد قبائل قارة اميركا كان في قديم الزمان كلب تردد الى
شاطئ النهر اياماً عديدة يتطلع في الماء وينج بصوت كئيب واذا زجره صاحبه
تكلم مغبراً اياه بشيء آتٍ على الارض وبان نجاة صاحبه وعائلته من الغريق
بالطوفان متعلقة بطرحهم اياه في الماء وانهم لا يخلصون الا بواسطة فلك يدخلون
فيه فاطاعوا امر الكلب وخلصوا وعمرت الارض من نسلهم

(٨) تقليد المكسيك ان نوح المكسيك نسي ككسكس وامرانه ذو خيكتل
خلصا بفارب وولد لهما اولاد خرس واتت حمامة حاملة السن ووزعتها بينهم
فترى من هذه التقليدات مشابهة من عدة اوجه وهي (١) سبق الخبر عن
مجيء الطوفان (٢) كون شر الناس سبب ذلك (٣) خلاص عائلة واحدة
(٤) كان ذلك الخلاص بواسطة فلك (٥) ذكر جبل عال (٦) ذكر الحمامة
(٧) تجديد الجنس البشري بواسطة نسل واحد وهو لاشك عين الخبر الوارد
في التوراة الذي يتضح فضله وشرفه متى قوبل مع هذه التقاليد التي افسدت
بساطته الاصلية البعيدة عن الاوهام الزائدة والاخبار المضحكة المضادة للعقل

فصل

في انتشار العبادة الوثنية المذكورة عن الصابئين

ثم من الصابئين المذكورين اخذ قدماء الفينيقيين والمصريين ديانتهم كما اخذوا علومهم ايضاً ومن مصر انتشرت العلوم مصحوبةً بهذه العبادات الجاهلية في بلاد اليونانيين والرومانيين وغيرها والظاهر انه يوجد في كتب الديانات الكناينة وخصوصاً في الكتاب المقدس اشارات كثيرة الى الصابئين وطرائقهم ولا سيما في العهد القديم وان اليهود وقعوا مراراً في هذه الضلالة عينها ولندكر هنا ما وصل اليه من اخبار معتقدات البعض من الطوائف المذكورة كل على حدته كما يأتي

الفيثيقيون كانوا يعبدون النجوم وسائر الاجرام السموية ومن اصنامهم بعل وهو اله الشمس وعشروت الالهة الحسن وكانوا يقولون ان نجمة السيارة هي الزهرة اما عبادة الاسلاف فتتحقق عندهم من قصة غلام جميل المنظر يقال له تموز قُتل في الصيد عند نهر ابراهيم فبكوا عليه كثيراً وسموا الشهر الذي قُتل فيه شهر تموز فبقي اسمه الى ايامنا هذه ثم زعموا بان هذا الغلام تأله بعد موته ولذلك اقاموا له تذكراً سنوياً يكون فيه على فراقه في الشهر المذكور من كل سنة (حزقيال ١٤: ٨)

واما العرب فانهم كانوا على انواع مختلفة من العبادات الباطلة ومن ذلك المجوسية التي بقيت في بني تميم الذين منهم زرارة بن عدي وابنه علي الذي تزوج بابنته حسب اباحة ذلك في دين المجوس وبعد ان كانوا يعبدون النجوم

كالشمس والقمر وعطارد والمشتري وغير ذلك ومنه اسماؤهم التي هي عبد شمس
وعبد المشتري ادخل بينهم عبادة الاوثان عمرو بن لحي بن حارثة بن امرئ
النيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد من ولد كهلان بن سبا الذي كان ملك
الحجاز واليه تنسب خزاعة عبادة الاوثان على ما نقله كثيرون من مؤرخي العرب
آخذاً عن اهالي البلقاء من بلاد الشام. وكان اول ما استحضره من التماثيل
صنمين يقال لاحدهما اساف والثاني نائلة وضعها على موضع زمزم ودعا الناس
الى عبادتهما فاجابوه وذلك نحو سنة ٤٠٠ قبل الاسلام وسنة ٢٠٠ بعد التاريخ
المسيحي ومن ثم صار لكل قبيلة من قبائل العرب صنم مخصوص بل وامتلاً
البيت الذي كانوا يحجون اليه في كل سنة لاعتقادهم بان ابراهيم الخليل وابنه
اسماعيل بنياه للعبادة بالاثوان. قال بعض المؤرخين ان العرب كانوا يقربون
القرابين في الكعبة من الغنم والابل لثلاث مئة وستين صنماً موضوعاً عليها وظن
بعضهم ان الاصنام بهذا العدد هي خدام ايام السنة من الجن وان الصنم الموضوع
على الكعبة هو الشمس ولعله هبل الذي هو اعظم اصنامهم وكان موضوعاً على
ظهر الكعبة والظاهر انهم كما اخذوا عبادة الاوثان عن اهل الشام اخذوا
كذلك التقرب اليها بذبح الادميين قرباناً كالانعام عن اهالي فينيقية ومزجوا
هذه المناسك الوحشية بما كان باقياً عندهم من السنن التي كان نشرها بينهم
اسماعيل ابن ابراهيم الخليل كالخنان وغيره ما اخذوه عن الشريعة الموسوية
واقرة اخيراً الدين الاسلامي ومع انهم اعتقدوا ايضاً بوقوع التناسل بين عالم
الارواح والعالم الجسماني لم يؤهلوا من ظنوه متولداً بينها كما فعل غيرهم من
الذين اعتقدوا هذا الاعتقاد بل ربما جعلوه بمنزلة الملائكة السماوية كهاروت
ومااروت اللذين يقال بانها كانا من الملائكة وعصيا ربهما في السماء فاهبط بهما
الى الارض والبسهما الجنة الانسانية ليكونا حكماً للناس وينعاهم عن الاغواء
بالاهواء فجري من امرها ان اغواها حب النساء حتى ابعداها عن رضى الحق
وبما ان عنصرها الاصلي روحي ملكي ولها حقيقة الاطلاع على الاجرام العلوية

والسلفية فاحكما صناعة السحر وعلما الى حكماء بابل التي كانوا مستولين عليها
او كهروبن بربوع الذي يزعمون انه متولد بين السعلاة والانسان وجرمهم
وبلفيس ملكة سبا والاسكندر ذي القرنين الذين يعتبرونهم من نتاج الملائكة
والآدميين

ثم لازالت العبادات الوثنية شائعة بين العرب الى ان ابطالها الاسلام في
النصف الاول من القرن السابع للتاريخ المسيحي

والمصريون الذين تغلبت عليهم العبادات الوثنية بقدر ما تغلبت
عليهم العلوم فانهم بعد ان كانوا يؤسسون اعتقادهم على وحداية الاله غير انهم لم
يقبلوا ذلك الاله الاحد تمثالا ولكنهم عبدوه بالصمت النانج عن شدة
التوقير والاحترام قد شخصوا كل صفة من صفات هذا الاله الواحد واقاموا
لكل منها تمثالا وعبدوه عبادة اليه مستقل فرموا ان ابنه هو الاله الخالق
وعمون العقل الالهي العامل ونوم روح الله وخام مصدر التوليد وهو اب ابيه
والالاهة موت الوالدة المولودة وهي التي ولدت نفسها واوزيريس اله الخبز
وابسيس او ابريس امرأته وتنفون اله الشر وهكنا الى ان فاقوا على من سواهم
في الوسوس والاهام واصبحوا يسجدون ليس الاجرام السماوية والاشخاص البشرية
وتماثيلها فقط بل ولنهر النيل الذي كانوا يسمونه الاوقيانوس اي البحر المحيط
والحيوانات والدبابات وغير ذلك ويعتقدون بان روح اله الخبز المسيحي
اوزيريس توجد في عجل يسمونه ايسس ولذلك جعلوه من اشهر معبوداتهم بعد
اوزيريس المذكور التي هي ابريس وهوروس وانويس وكانوب وايسس المذكور
وسيريس واقنيف

اما اوزيريس فيزعمون انه ابن جوتير وينوبا تزوج بامرأة تسمى ابوحيث
فماجرت به الى مصر خوفا من يونون (امرأة جوتير) واسمها ملكة عبرانية
معناها روح الدنيا او مدبر جميع الكائنات والظاهر انهم كانوا يعنون به الشمس
(باقي الاسماء المذكورة هنا سوف يأتي ايضاحها في الكلام على اليونانيين)

وحيث كان في اعتقادهم وقوع النزاع بين آلهتهم وإنه كانت تشب نيران الحروب ويقتل أحدهما الآخر أو يسجنه أو غير ذلك فيزعمون بأن تيفون اله الشر الذي مر ذكره انتصر على اوزيريس اله الخير وقتله ثم رجع اوزيريس المذكور بعد أن كان مات وتغلب على تيفون اله الشر إلى غير ذلك حتى أنهم فحسوا تماثيل لاوزيريس المذكور وحفروا له قبوراً وقبروا تماثيله فيم أجمع أمراته الآتي ذكرها وأما ابريس فالظاهر أنها القمر وزوجة اوزيريس الذي هو الشمس وأما هوروس فإن بعضهم يقول إنه ابولون وبعضهم يقول بأن المصريين يعتقدونه ولد اوزيريس وابريس المذكورين وإنه أحب أولادهما إليها وكذلك انويس فان بعض العلماء يقول بأنه عطارد وبعضهم يقول إنه كوكب الشعرى وربما سماه المصريون طوطاطيس وهوطوط اله الغاليين (قدماء الفرنسيين) وذكر بلوتاركه أن انويس هذا تغير إلى صورة كلب لايريس وإنه سافر معها في أغلب أسفارها . وأما كانوب فكانوا يعبدونه بصورة أناء كبير عليه صورة رأس امرأة وبازي مرسوم عليه صورة حروف هيروغليفية وهي الفلم المصري القديم وكان خدمته أشد الناس سحراً وكماته . وأما ايس فقد اضطربت فيه أقوال القدماء فمنهم من زعم أن المصريين يعنون به شعاع الشمس وقال آخرون أن المحدث من عبادتهم له على شكل ثور أنهم كانوا رأوا في مدينة منفيس ثوراً اسود في رأسه بعض نقط فزعموا أنه اله وعبدوه وسموه ايس معتقدين أنه صورة اوزيريس بعثها إليهم بقصد الزيارة وإنه قادر أن يكشف لهم عن المستقبل والغيب بحركاته وكان له قاعنان فإذا دخل القاعة الغربية مثلاً كانوا يقولون هذه السنة سنة خصب وإقبال وبالعكس إذا دخل الشرقية ويعتقدون أن الأولاد الذين يسيرون أمامه في الاحتفالات العمومية يكتسبون روح النبوة فيخبرونهم عن الأمور المستقبلية . وكان الذين يحبون أن يسألوه عن أمر مستقبل يدخلون عليه ويسألونه عما يرغبون ثم يسدون أذانهم بأيديهم إلى أن يخرجوا من مقامه وعند ذلك يفتحونها فالكلام الأول الذي يسمونه ممن يصادفونه

يكون عندهم جواب سؤلهم وأما سيرييس فقد ذكر العلماء انه هو واوزيريس
وابيس شيء واحد وإنما صورهم المصريون بصور متعددة سمو كل صورة منها
باسم من تلك الاسماء فظن من بعدهم انها آلهة متعددة . وأما اقفيف فكان
يعتقده المصريون بانه الخناق الدنيا وحده ولذلك كانوا بصورونه على صورة
شخص خارج من فيه بيضة وذلك لان البيضة كانت عندهم علامة على العالم
قال بعض المؤلفين بانه حيث كان في خرافات المصريين القدماء بان
الآلهة هم أول من حكم بلادهم وان أولهم يسي بركان حكمها تسعة آلاف سنة
وان كوكب الشمس المسمى اوزيريس وزوجته المسماة ابريس واخاها عطارد
المسمى هرمس آلهة اخترعوا اصول الشرائع والفنون والعلوم فما ذاك الا لانهم
الوهمية كل من اخترع امراً غريباً كارباب النصانيف العجيبة وغيرها الامر
الذي هو احد الاسباب الاصلية في التمسك بعبادة الاوثان لان هرمس وهو
المذكور هنا بانه اخوايريس هو اشهر علماء المصريين ومنار علم فلسفتهم الذي
جعلهم يتفقهون في علم المساحة والملك والعلوم الالهية وله مؤلفات حفظت بعده
عند الكهنة وكادت تملأ في بطول المدة الى ان ظهر المعلم سيفواس ومركوريوس
آخر (قولهم آخر يعني غير مركوريوس الأول الذي هو هرمس المذكور ومعنى
مركوريوس عطارد) تلقب بالمعلم تريستا جيسطو وارجعوا العلوم المصرية الى قوتها
الأولى

وقد بلغ من اوهام المصريين ايضاً انهم كانوا يقدسون بعض الوحوش
كالاسد والثعب والكلب والسنور واليمون والماعز والكبش ثم افراطوا في
الوساوس حتى انهم كانوا اذا حصلت لهم تجماعة واضطروا للقوت يندمون اكلهم
لبعضهم على اكل هذه الحيوانات الا في اوقات الخوف والضيق الشديد فانهم
حينئذ كانوا يتجاسرون على ذبح نفس حيواناتهم المقدسة بل ويشتمون اصنامهم
بالعيب اذا كانت لا تنجيهم . وفيما عدا ذلك كانوا يجازون الانسان الذي
يقتل حيواناً منها ولو كرهاً بالموت ومن اعجب ما يحكي عنهم في هذا المعنى بانه

لما قصد كميز ملك العجم فتوح مصر اراد ان ياخذ مدينة بلوز بغتة فوضع امام جيشه صفًا كبيرًا من هذه الحيوانات التي كان يعبدها المصريون فامنعوا عند ذلك من المحاماة عن انفسهم مخافة ان يصيبوا شيئًا منها

ولم يقتصروا على عبادة مثل هذه الحيوانات فقط بل عبدوا الهوام وادني حشرات الارض ايضًا وآلهة كثيرة من كانت وظيفتهم طرد الذباب وكانوا في امكنة كثيرة يقربون ثورًا كاملاً لاله هذه الهوام الخفية وكان يعذبون اله عقرون اله ذبان وكان لهم آلهة كثيرة اطباء كانوا يقربون لها انسانًا احياء لاسباب تعرض لهم وقيل انهم كانوا ياخذون هؤلاء الناس من الاسرائيليين ويحرقونهم على مذبح عال ويذرون رمادهم في الهواء لكي تنزل معه كل ذرة بركة وكانوا يعبدون الظلام على سبيل انه اصل الهتهم غير انهم كانوا لا يجنبون على عبادة معبود واحد بل كان التمساح معبودًا بعمل والترسة التي هي عدو التمساح معبودة في غيره وفي نخل يعبدون الضان وباخر يعبدون المعز والسبب اقترافهم الى هذه الضلالات تولدت بينهم المشاجرات الدينية والحمية الجاهلية وكانوا يعتقدون بان هذه الحيوانات المندسة عندهم تعرف البار من المذنب وتبين باشارتها السارق الى غير ذلك من معرفة الغيب والمستقبل ولكل حيوان منها خادمون وخادما والمظنون انهم كانوا من خدمة الدين فانهم كانوا يرثون هذه الخدمة عن آباءهم وامهاتهم وكانوا يجلسون في صدور المجالس ويلبسون ما يميزهم عن غيرهم وكانوا يحنطون جثة ما يموت من تلك الحيوانات تحنيطًا متفناً ويدفنونها بكل احتفال في مدافن الآلهة عندهم حتى انه عندما كان يموت هر في بيت احد الالهة الى كان اهل البيت يحلقون حول جثته واذا مات كلب كانوا يحلقون شعر الراس والجسد وكان لكل هيكل فيه حيوان مقدس عندهم ارض موقوفة لمعاشه ومعاش خدامه علما ما يندمه له الشعب من الدور والقرايين والكفارات وكثيرًا ما تنذر الام ان تعطي الحيوان الفلاني ثقل شعر ابنها من الفضة او الذهب او غير ذلك اذا سلم من مرض او رجع من

سفر او حرب

وكانوا يبنون هياكل هذه الحيوانات في وسط الحدائق وجمادات الزهور
وبساتين الاشجار التي تحمل الذل الاثمار ويزينونها بالنقوش والزخارف والاعدة
الثمينة وينقشون داخلها بالذهب ويضعون فيها من الآنية الفضية والذهبية
ما يكمل عن وصفه اللسان غير انه اذا رفع الذي يدخلها الستار المنقوش
بالذهب والمرصع بتلك الحجارة الكريمة فيرى هراً او تمساحاً او حية او غيرها
يتمرغ على طنافس ثمينة ومفروشات فاخرة ويقفات باحسن الاطعمة وافخرها
من الحلويات والاثمار واللحوم لمن كان منها مقترباً

اما كهنتهم فكان منهم لكل كوكب من السيارات السبعة جماعة يتعبدون
اله ملات معينة ولا تعمل ملوك مصر عملاً الا بمشورتهم وهم الذين يضعون
القوانين وكان كبيرهم ياتي كل يوم الى الملك ليخبره على استعمال الفضائل ويأمر
من صرفه عنها وقال بعض المؤلفين انهم كانوا يصدقون بذات الاله العلية ولم
علوم سرية فاخرة فوق اعتقادات العامة وخاصة السحروفي ما جرى منهم بحضرة
فرعون ومضارعهم بعض الآيات التي عليها موسى النبي عند اخراجه بني
اسرائيل من مصر ما يقضي بالعجب العجيب وكانوا لا يظهرون من علومهم شيئاً
الا للقبيل من الناس لكنهم كانوا يسايرون العامة على اوهامهم لما لم في ذلك
من المآرب وكانوا يكرهون رؤية الدم وينفرون من بعض الحيوانات النجسة سيما
الخنزير وكراهمهم للبحر المالح كانوا ينفرون من السيرفيه وينفرون من الغرباء
ومن الاكل معهم حتى لا ياكلون طعاماً قطع بسكاكين الغرباء ويجترسون للغاية
من ان يوجد قمل على ملابسهم ولا يكثرون من الزوجات خلافاً للعامة
الذين كانوا يكثرون من ذلك ويتزوج الاخ باخته ايضاً ويزعمون ان اتفاح
الضفادع التي كانت مفرزة لاهم اوزيريس الذي مر ذكره كناية عن وحي الهى
ويعتقدون بان حفظ رمة الميت تكون سبباً في سعادتهم فنشأ عن ذلك شدة
اعتنائهم بتصوير الاموات وتحنيطهم على وجه عجيب وكانوا مع هذا ينفرون من

تلك الرمم بعد تصبيرها

وكان لابد لا قارب الميت من تعيين يوم لينذهبوا به بالجثة المحططة الى منزلها الآخر وكانوا يعتقدون انه لابد من ان اوزيريس اله الخير المقيم في امانتي (وهي ساوثم ويعتقدون انها وراء مغيب الشمس) يدين بمساعدة ابنه وغيره الميت قبل ان يدخله الى السعادة الابدية بالانضمام الى عائلة العلال وهي عندهم الاله الاول الذي هو مصدر كل حي ومرجع كل صالح من الاحياء فان وجد ان سيئاته اكثر من حسناته يطرده الى العالم الذي خرج منه بعد ان صرف حياة شريرة ويسلمه الى من يرجع به الى عالم الحيوانات غير الناطقة ليكفر بواسطة التنبص من حيوان الى حيوان عن الذنوب التي ارتكبها عند ما وصل الى اعلى درجة من المخلوقات وهي درجة الانسان وليتطهر من اثامه بحيث يصير اهلاً لان يرجع ثانية ويصير انساناً وهكذا بعد رجوعه الى درجة الانسان يعود بعد موته الى درجة الحيوان ما لم يعيش عيشة صالحة بحسب فروض دينه

وقد دامت العبادات الوثنية المذكورة في بلاد مصر الى ان لاشاها الدين المسيحي بالكلية في اوائل القرن الخامس للميلاد

اما اليونانيون فانهم منذ اخذت بلادهم ان تلتقى الغرباء تولعت بسماع المخرافات حتى نظمتها في سلك الالهيات وادّعى ان اختراعها ليس الا من منصب الالهية وحيث كان اغلبها من الحكايات التي ابتدعها القوم لتشريف ارباب العنول وتأليه رؤسائهم على ما سبقت الاشارة اليه فقد قسموا آلهتهم الى قسمين الاول في الآلهة من الدرجة الاولى والثانية والثاني في انصاف الآلهة وهم فحول الرجال الذين يعتقدونهم متولدين بين الباقي والفاني اي بين اله وبشر اما الذين من القسم الاول فهم الفلك الذي يزعمون انه اقدم الآلهة واولاده ساترن المسي كيوان وهو زحل والدهر ونيتان ولدتهما له امها وستا اي الارض وسيله وهي على زعمهم الارض الزراعية زوجة ساترن المذكور ومن اسمائها الجدة لانها ام اغلب الآلهة ولا سيما آلهة الرتبة الاولى وستا الصغرى وهي

الالهة الباروسريسة وهي السنبلة الالهة المحصولات التي احدثت زراعة القمح والحد
 المحاجر المسمى باله الترم وهو اله الفلوات وكان تيتان ابن الفلك الذي مر ذكره
 هو الابن البكري للفلك واحق بوراثه الملكة عن ابيه لكنه تخلى عنها الى اخيه
 ساترن وكان لساترن هذا ابن يقال له جوبتير وهو المشتري يقتل اولاد عمه
 تيتان خوفاً من دعوى الميراث فاضطرت الارض التي هي زوجته ان ولدت
 الاعوان الجبابرة وهم رجال طوال شداد امرهم فوق العادة فوضعوا الجبال
 بعضها فوق بعض ليصعدوا الى السماء ويطردوا منها جوبتير المذكور فضر بهم
 جوبتير بصواعقه فوقهم على وجوههم فوق الجبال غير انهم لما كانوا كثيري
 العدد ولا قدرة لجوبتير على مقاومتهم التزم ان يستعين عليهم بغيره من الالهة
 الذين بمجرد ان نظروا هولاء الاعوان انهزموا وتشتتوا في بلاد مصر وتشكلوا
 باشكال الحيوانات المختلفة فكان ذلك منشأ عبادة المصريين للحيوانات على ما
 سبقت الاشارة اليه في الكلام عليهم

ثم طرد جوبتير المذكور اباه ساترن من السماء وقسم ملك الدنيا بينه وبين
 اخوته فاخذ هو القسم العلوي الذي هو السماء واعطى ساطنة المياه لاخته نبتون
 وسلطنة الجزء السفلي المعبر عنه بالنيران لاخته ابلوطون وشرع جوبتير في صنع
 النوع البشري

وكانت زوجته اخته المسماة يونون وهي الهة النكاح والولادة ولها بنت تسمى
 هيبا الالهة الصبا والشبوبة وولد يقال له مارس اي المريخ وهو الفاهر اله
 الحروب والاسلحة ثم ولدت بركان قبيح المنظر طرده ابوه من السماء فوقع على
 الارض وانكسرت رجلاه واذالك جعله رئيس الحدادين الموككين بعجل الصواعق
 ثم ولد لجوبتير اولاد من غير يونون امراته ومنهم بلاتس ولده من راسه
 واراد ان يجعله اله الحروب والآداب واما من اعنبره حاكماً ومديراً للعلوم سماه
 باسم مينرفا اي اله الحكمة ومنهم ابولون ولد من معشوقته لاطون غضب عليه
 فجعله اله الرعاة ثم لما زال غيظه رده الى السماء وجعله موكلاً بتقسيم الانوار

العلوية على العالم وهو الذي اخترع الموسيقى وعلمها للموزات بنات جوبيتر من زوجته منيموزينة الالهة الحافظة وولد له منها ايضا ديانة الالهة الصيادين ومن اولاده ايضا بنخوس ولد له من سيلة بنت قدموس ملك طيبوه التي احترقت بصواعق جوبيتر لما اقترحت عليه ان ياتي لها على شكله الاصلي وحلفتة بنهر في الجنة يقال له الستكس وكان الجنين وقتئذ في بطنها فاخذ جوبيتر ووضعته في فخذ الى ان جاء اوان وضعه وبنخوس هذا هو الذي علم اليونانيين زراعة العنب واما جمهور المؤلفين فيعتقدون ان الاشارة فيه هي الى نوح الاب الثاني للبشر لانه هو اول من غرس الكرم بعد الطوفان العام وزعم آخرون انه هو النمرود المذكور في التوراة لان كلمة نمرود معناها باللغة العبرانية بكوس يعني ابن كوس

اما اولاد ابواون ابن جوبيتر الذي مر ذكره فهم اسكولاب اله الطب وكان تعلم هذه الصناعة من ابيه ومن شيرون الفسطوري وفينوت واخواته الهلياديات اللواتي تغيرن ومسخن بصورة شجر البان ومن بناته ايضا الاورو يعني الفجر التي تغيرت عند كبرها وهرمها الى صورة العنكبوت

ومن هذا القسم مركور وهو عطارد ترجمان جوبيتر ولذلك سمي هرمس اي ترجمان وهو اله التجارة ومن وظيفته قيادة ارواح المذنبين الى النار واخراجهم منها عند استيفاء العذاب

ومنه ايضا فينوس وهي الزهرة الالهة خاصة التناسل والتولد التي يتولد منها المواليد الثلاثة وهي متولدة من زيد البحر ولدت ولدا يسمى قوبيدون غير ان المسميات بالزهرة كثيرات فقد ذكر المؤرخون بان اقدم زهرة هي بنت الفلك والالهة النار وهناك زهرة ثالثة وزهرة رابعة وزهرة خامسة علوية وهي الالهة المودة الصادقة وزهرة نسي فينوس معاشرة للبشر والالهة المحبة الشهوانية واخراهن واحدة نسي ابوسنروfia معناه التي تصرف القلوب عن صدق المودة

ومن اولاد الزهرة الالهة المواليد الثلاثة المذكورة ابرياب اله الرياض وهمنة

اله الافراح والاعراس ولها بنات يسمين شاريات او اللطائف وهن اغليا وتاليا وانفوزينه

اما فيينوس الالهة العشق فمن جلسائهما يسول وسودة الالهة الفصاحة المشهورة بانها الالهة الفسق

ومن اولاد نبتون اله البحار الذي مر ذكره اوقيانوس ابو الانهر الذي ولد منه ايضا الحور الالهات البحار او عرائس البحر اللاتي هن الالهات الانهر والعيون وبعضهن الالهات الغابات والكلا والالهات الجبال

وكان نبتون قد آله جماعة من آلهة البحر ايضا وهم اغلوقوس وابينو وابنها ميليسرت وسمي اينولوقوثة وميليسرت بلهون حيث ان من عادتهم تغيير اسم كل من تأله عندهم كما غيروا اسم رومولوس باني رومية حيث تأله الى كرينوس وسيملة الى ثيون . ومن جملة هذه الالهة ايضا ابواة التي كانت سرايتها المعدة لحبس الريح على زعمهم موضوعة في الجزائر الابوية بقرب سيسيليا ومن الغيلان الجرية سيللا وكالبد اللذين كانا مقيمين في بوغاز صغير يفصل سيسيليا من ايطاليا وكان في هذا البوغاز الغيلان السيرينية التي كانت تستميل بحسن غنائها كل من مر عليها من المسافرين حتى يقعوا طربا هلى كتيان الرمل والصخور وكان نصفها الاعلى بصورة النساء والاسفل بصورة السمك

واما ابلوطون اله النيران السفليات كانت زوجته بروزوينة بنت السنبلة وكانت انهر النيران ثلاثة وهي اخرون وكوسينة وفلجنون وبها ايضا بحيرة الستكس وكان حاجب النيران كلبا له ثلاثة رؤوس يسمى قرييرة او ثرييرة وكان خازنها يسمى قارون وكان موكلأ بها ثلاثة زبانية وهي التتو وميجير وتيسينون وكان تحت حكم ابلوطون البركات اللواتي لكل واحدة منهن كبة غزل عليها بعض الاحيان صوف ابيض ونارة اسود فيغزلان منه خيوطا بمقدار اعمار الناس فتمى انقطع خيط الانسان انقطع اجله وعند ذلك ياخذ عطاردا ارواح الموتى التي اتى بها قارون الى الشاطئ فيوصلها الى قضاة النيران فيحاسونها ويبعثون اهل

الجنة للجنة المسماة عندهم البزة واهل النار للنار المسماة طرطوس وهناك يتعذبون اما بالرباط مع الحيات والافاعي واما بقطع اكبادهم وكلما انقضت عادت كما كانت او بصب الماء في دين مخروق حتى يتلى او بجمل صخرة عظيمة والصعود فيها الى جبل عال صعب المرتقى وكلما وصلت تقع الى اسفله فيعود حاملاها اليها ثانية وبعد انقضاء مدة العذاب تحل الارواح في اجسام اخرى وتشرب من نهر لينة لتنسى ما حصل لها

وزعم شعراؤهم ان اله الثروة والغنى يسمى بلوطوس وكان وزيرا لابولوطون وابن السبله واباه يزبون وانه كان سالكا في صغره مسلك العدل والانصاف فسلبه جونتير بصره واذالك انقسمت الثروة بين اهل الخير واهل الشر على حد سواء بعد ان كانت قاصرة على اهل الخير فقط وحكي عنه انه كان اعى ذا نشاط في الذهاب الى الاشجار وكان اعرج متوانيا في الذهاب الى الانخيار

ولما جعلوا للسماء واللباه والنيران آلهة جعلوا للارض ايضا آلهة منها بان وهو ابن مركور وكان نصفه الاعلى على صورة انسان والاسفل على صورة غيره من الحيوانات . وباليسة التي كانت يستغيث بها الرعاة وفونة ابن ييقوس ملك اللاتينيين من جملة الالهة الفلوات وبومونة الالهة التمار وقلورة اوكلوريس الالهة الازهار وكانوا يتخيلون لكل عين ماء الها وكل نهر الها وكذلك كل بيت وكل انسان وكل طريق وكل حارة منمظنة لهم الالهة يسمونهم لاربة وكل موضع الها وكانوا بمجرد اناطة التمايم عن اولادهم يندرونها لهؤلاء الالهة وكانوا يقربون لهم الكلاب الاليسة الاليمنة ويجعلون جلودها للذبس لهؤلاء الالهة واما اله كل رجل الخاص به فيسمونه جنبا او عفلا او فريجة وان موته وحياته مع موت صاحبه وحياته ويزعمون ان لكل رجل من ذلك اثنين احدها مبارك لونه ابيض والاخر مشوم ولونه اسود فمن غلبت منها قوته على صاحبه كان الرجل على منواله فان كان الابيض اقوى نشأ لصاحبه عنه الخيرات او كان الاسود تسببت له انواع الشرور وكانت الشعابين مندورة لهؤلاء العقول وكانت عقول النساء تنسى برنونات

وزعموا ان الدهر بمعنى الحظ والنصيب والقسمة الالهة اثني وان الافعال البشرية في قبضتها وانها عمياء لا تثبت الا على التلوث وعدم الثبات وكانوا يجعلون لليل الالهة اثني والنوم الهما وان من هذين الالهين واد مومس الهه الالعب والذات والضحك والمرح وكما انهم كانوا يعدون من زمرة الآلهة الفضائل والخصال الحميدة كالامانة والعدل والتقوى والصدق والاتفاق والعافية والحرية والسكون ويبشرون لها الهياكل العظيمة الفاخرة كذلك بنوا هياكل للشهوات الشنيعة كالخمس والتدليس والكذب والغيبة والشقاق وشدة الغضب وما شاكل ذلك هذا ما كان من امر هؤلاء الآلهة اصحاب التسم الاول

واما اصحاب التسم الثاني الذين هم فحول الرجال على ما سقت الاشارة اليه في ما مر فمنهم برشاوس بن جوتير المولود له من اينا بنت اكرزيوس ملك ارغوس . وهرقول اشهر فحول رجال القدماء ولد لجوتير ايضا من الكهنة زوجة انفترليون ملك طيبة . وطيسة ابن ابيجة ملك الاثينويين الذي كان معاصرا لهرقول ومن اقاربه واحب الناس اليه . وكستور وبولكس المعبر عنها عند الفلكيين بالجوزاء او التوأمن . ويازون بن ايزون ملك تساليا الذي نهب صوف الذهب على زعمهم من بلاد خلشيد . وقدموس بن اجنور ملك الصورين . واوديب بن ابوس ملك طيبة . وغيرهم كثيرون لا حاجة لذكرهم كما ان لكل منهم حكاية في سبب تأليهه يطول شرحها فاضربنا عنها هذا ما لخصناه مما بني من معتقداتهم على الحكايات الخرافية التي اشرنا في ما سبق اليها

ولليونانيين من اسم شهيرة كانوا يقيمونها في ادوار معلومة معينة اكراما للبعض من الهتهم هذه على اختلاف مراتبها ومنها الاسرار الايلوسينية التي كان اخترعها ابركثيوس ملك اثينا اكراما للالهة سريسة التي مر ذكرها وكانت تقام مرة واحدة في كل خمس سنين في مدينة يقال لها ايلوسيس في شمري آب وابول

وكان لا يؤذن بدخول احد اليها الا بعد ان يقدم صلوات وذبايح عديدة
للالة ويظهر جسده ويتعهد بحفظ الاسرار المزعج ان يتسلمها. ومنها ايضا الملاعب
الاولمبية التي كانت تقام مرة واحدة في كل اربع سنوات بمدينة اولمبة من اقليم
المورة اكراما لجوبيترونها كان يورخ اليونانيون وابتدأوها في سنة ٧٧٦ ق م.
ومنها الملاعب البيثكية اكراما لابولون على قتله ثعبانا عظيما. ومنها الملاعب
النسبية التي كانت تقام في مدينة نيميا من بلاد المورة مرة في كل سنتين اكراما
لهرقول احد انصاف الالهة وقد مر ذكره لقتله اسدا في الغياض بقرب المدينة
المذكورة. ومنها الملاعب البرزخية التي كانت تقام في برزخ كورنثوس مرة
واحدة في كل اربع سنين اكراما لپبتون اله البحار واعظم كل هذه الملاعب هي
الاولمبية التي كانوا يجرون فيها كل نوع من المغالبة والمصارعة والمسابقة وكان
الغالب فيها بكل باكيل من اغصان الزيتون الاخضر ويكرم اكراما لا مزيد
عليه وكل من اراد الدخول فيها يستعد لذلك بامتناعه عن الاطعمة الغليظة
وانواع المسكرات وكل ما من شأنه ان يضعف الجسم. واما سائر المناسك
وغيرها من معتقدات هذه الامة فقد يعرف بعضها من اخبار الرومانيين الآتي
ذكرهم لكونهم اخذوا ذلك عنها ونقلوه منها

وكان لكل من هذه المعبودات عندهم كهنة خصوصيون لخدمته وفي
الاحتفالات المختصة به على طرق مختلفة فان كهنة وستا مثلا كانوا يسمون باللغة
اللاتينية غلية نسبة الى غلوس اسم نهر في فرجيا وذلك لانهم كانوا اذا شربوا
من هذا النهر عربدو وضرب بعضهم بعضا بالسلاح وهاموا وتمايلوا برووسهم
وتناطحوا كالغنم وكانوا يقرضون شعورهم من امام ويلبسون ملابس النساء. وكانوا
يشبهون مواسم سبيلة مع الغاغة واختلاط الاصوات والطبل والمزمار وغير
ذلك من آلات اللهو واما في رومية فكان يشهرها نساء رومانيات في هيكل
بحول منفرد يسمى اوبرتوم يعني الحبل الخفي ولا يرخص لرجل في دخوله. واما
كهنة المريخ (مارس) فكان يقال لهم السليانيون فكانوا يعدون ويجرون في

يومية عدة ايام مع الوثوب ويحملون اتراساً مقورة وكذلك كان لبحسوس نساء
سمن بحسوسيات يحملن اتراساً في ايديهن في اوقات مواسم بحسوس وينشرن
نعمورهن ويصحن صياحاً خارجاً عن العادة ويشند هيئتهن في بعض مواسم
لمساء ارجية فتهن في الجبال لاسيما جبال روم الي لابسات جلود الثمورة
وحوانات البر وفي ايديهن مصايح وعلى هذا فقس

وكانوا يقتربون الى هذه المعبودات بالذبايح في هياكلها ومنها ما كانوا
بضرمون النار فيه دائماً وتكون سدنتها من العذارى اللاتي يحفظنهم دائماً حتى
اذا طُغت بالصدقة عوقبن اشد العقاب وكانوا يجددونها كل سنة في شهر
مارت (اذار) وكانت ذبايحهم غالباً لهذه الاوثان من الحيوانات المعاكسة
لوظيفة ذلك المعبود مثلاً كالحنازير التي من شأنها قلع سيقان الزروع وافساد
البنور فكانوا يذبحونها لاسريسة الالهة محصولات الارض وكانوا يقتربون الى ديانة
قرباناً من الادميين لاسيما من الذين تنكس سفنهم جهة بحر بنطس ويقتربون
الى بحسوس الذي يعتقدون انه اول من اعصر النبيذ بذبح الثيوس لان من
دأبها انلاف شجر العنب ويندرون له بنات الثيوس لاعتقادهم بان له خاصية
ابطال انجرة النبيذ ويقتربون الى آلهة الطرق والحارات بذبح الكلاب الالهية
ويلبسونهم جلودها . ويتفائل لهم كهنتهم من مجرد نظرهم الى امعاء الحيوانات
التي يقتربونها الى هذه المعبودات في اوقات الحروب وغيرها وكانوا يفعلون
حسبما يخبرهم الكاهن عن دلائلها

واما ما ذهب اليه فلاسفتهم الذين اخذوا في الظهور بينهم والبحث في ما
وراء الطبيعيات منذ القرن السابع قبل التاريخ المسيحي وكان مصدراً لبعض
المذاهب التي سوف ياتي الكلام عليها فجميعه مذكور في المقالة الاولى من هذا
الكتاب ولذلك نقصر هنا بالاشارة الى محالاته لمن احب مراجعته فهو مصرح
في اراء تاليس المليطي اول الفلاسفة عندهم وانكسفوراس الذي ترأس على
مدرسته بعد موت انكسيمينس وسقراط خليفة انكسفوراس المذكور وارستيب

رئيس الفرقة الفيروانية وتلميذه ثيودور وأفلاطون واضع الأكاديمية القديمة
وارستطاليس رئيس الفرقة الثانية من تلامذة أفلاطون وفيثاغورس رئيس قسم
الفلاسفة المعروف بالابطالي وبرهون رئيس الفرقة المشككة اعني التي لا تجزم
بجقيقة شيء من الاشياء

ثم منذ اخذت الديانة المسيحية في الظهور اخذت كذلك هذه المعتقدات
او بالحري الخرافات اليونانية في الملائشة الى ان زالت من بينهم بالكلية في
اواسط القرن السادس الميلاد

والرومانيون الذين قد ذكرنا في ما سبق انهم اخذوا عن اليونان
كانت عبادة جوبيتر وغيره من آلهة تلك الأمة داخلة ضمن دائرة ديانتهم
وكانوا يعتقدون بالله خصوصي لكل نوع من الفضائل والردائل والقوى
الجسدية والعقلية وكل شيء مادياً كان او جوهرياً من العالم المنظور وغير
المنظور وهكذا ايضاً لكل وادٍ وجبلٍ ونهرٍ وجدولٍ عدا من الآلهة من علمائهم
وابطالهم وخلاصة الامر انه لم يفهم شيء من طرق تعبدات قدوتهم في ذلك
اعني اليونانيين المذكورين وعبادتها وزد عليه ايضاً بان جميع انواع العبادات
الوثنية كان استعمالها جائزاً في عاصمة بلادهم

وكانت هياكلهم الكثيرة جميلة البناء مزخرفة باظرف المنحوتات ومماوة
من التقدّمات التي كانوا يقدمونها لما في تلك الهياكل من الآلهة وذكر بعضهم
ان عدد أكبر هذه الهياكل واشهرها ينيف عن (٤٠٠) وكان الكهنة هم الذين
يخدمون فيها ويقدمون الذبائح من الثيران والغنم وسائر الحيوانات وكان لهم
هياكل اخرى يرسم الآلهة التي من الطبقة الثانية وهي اقل ظرفاً من الاولى ويسمونها
البيوت المندسة فضلاً عما يوجد من المعابد في البيوت اذ انه كان لا بد لكل عائلة
غنية من معبدٍ خاص بها لاجل عبادتها الخصوصية

وكانت وظائف امناء دينهم ذات اهمية سياسية عظيمة لان رؤساء الكهنة
كانوا مولجين بتقديم ذبائح بشرية سوف ياتي الكلام عليها في فصل مخصوص

لذلك الآلهة ويعتقدون بالطقوس الدينية ولذلك كانوا ينتخبون من اعيان الاهالي
وكان لهم ايضاً جمعيات اخرى من اصحاب التنجيم والمبصرين لاجل تفسير
الاحلام والالهامات والمناظر الغريبة والانبياء عن الامور المستقبلية وكانوا
يسندون في ذلك على هيئة السماء وهيئة امعاء الحيوانات والطيور كما كان
يفعل اليونانيون ايضاً ومن اطلع على اخبار اسكندر المكدوني يرى ان هذا الرجل
العظيم ما كان يتحرك بحركته قبل ان يستشير اصحاب هذه العايات الذين كانوا
بصاحبوته في جميع غزواته وفتوحاته وهكذا كان الرومانيون يعتقدون بذلك
كل الاعتقاد فكان المنجمون في رومية يفسرون الشعب ارادة الآلهة من جهة
اشهر الحرب او عقد الصلح حتى انه لم يكن احد يجسر على مناقضتهم بل ولا
يباشر احد من عامة الناس عملاً مما قبل ان يستشيرهم وياخذ رأيهم فيه ولذلك
كانت وظيفة المنجمين عندهم ذات اهمية كاهية وظيفه الكهنة حتى ان كثيرين
من خواص ارباب المجلس العالي كانوا يجتهدون في الحصول عليها نظير كانوا
وشبشرون المعدودين من فلاسفة الرومانيين وافراد الرجال في الذكاء فانها
كانا من جملة ارباب هذه الصناعة ولئن كانا في حقيقة الامر لا يعتقدان صحتها
وكان الرومانيون كاليونانيين ايضاً في كونهم يحرقون اجساد موتاهم
وابتداءً في هذه العادة منذ ايام المشيخة الاخيرة ومن ثم سرت الى سائر اقطار
الملكة واستمرت الى ان دخلت الديانة المسيحية وحيث زعموا بان هناك شخصاً
يسمى شارون موكلاً بارواح الاموات وعلامة قارون على ما ذكر في خرافات
اليونان التي سبقت تفاصيلها وهو لا يجاها ويعبر بها نهر الموت بدون اخذ رسم
معين فكانوا يضعون قطعة صغيرة من النفود في فم الميت ليعطيها الى الوكيل
المذكور وكانوا يجاؤون امام النعش تماثيل الميت وتماثيل اسلافه وعند نهاية
احتفال الجنازة وتشييعها الى المدفن يرش الكهنة جميع الحاضرين بالماء ويصرفونهم
لكن لما ادخلت عادة حرق الاجساد على ما ذكرنا صاروا يطرحون الجسد
على المحطب المرتب على شكل مذبح ثم يدور الجمهور حوله بكل هدوء على صوت

الآلات الموسيقية وحينئذ يتقدم احد الاقرباء بشعلة ويضرم النار في ذلك الحطب وهم يلقون الاطياب في الالهيب وعند النهاية يطفئون الوقيد المذكور بالحبر ويجمعون الرماد ويضعونه في آنية ثينة يلقونها في مدفن العائلة وإذا كان الميت من العساكر فيطرحون سلاحه والغنائم التي يكون قد سلبها من العدو في ذلك الموقد لتحرق مع جثته

وحيث ان تعاطف الزيفان عن حقيقة العبادة شل القرابين ايضا ووقع في نفوس الاقدمين الاعتقاد بان ارواح الاموات يسرها سفك الدم وتفاعلا في ذلك الى ان صاروا يتوددون الموتى بذبائح من النفوس البشرية وخاصة العبيد والاسرى الذين كانوا ياتون بهم ويندجونهم على قبور ساداتهم كما يفعل الآن هبل افريقية بل وصار احبانا ياتي بعض الاصحاب ويقدمون انفسهم للذبح من تلقاء ذواتهم حبا بالمفقودين فقد جرت حوادث نظير هذه بين قدماء الرومانيين ايضا لكنهم اخيرا ابطلوها عندما ابتدأوا يمدنون واقتصروا هم وغيرهم من الذين كانوا يستعملونها نظيرهم ثم عرفوا شاعتها على ذبح ما كان يمل اليه الميت في حال حياته من الحيوانات فقط ولا زالوا على هذه الحال الى ان اخذت عبادتهم الوثنية في الملائشة منذ تصر القيصر قسطنطين الاول

سنة ٣١٢

والجرمانيون الذين كانوا يعتقدون بانهم امة اوكتونية اي متولدة من الارض ولذلك كانت الارض اول الهتهم ويسمون بها بلغتهم هرثة وكانوا يزعمون ان هرثة هذه ولدا يسمى نوسيت فسماوا باسمه مصححا اذ تلقبت قبيلتهم توتونية نسبة له كانوا يعبدون الشمس والقمر والنار ويتوددون المرنج اله الحرب وهرقل اله القوة وعطارد اله السرقة وذلك لكون خرافات اليونانيين لم تكن مجهولة عندهم غير انه لم يكن لهم في بداعة الامر هياكل ولا اصنام وان كانوا في ذلك اشبه بالمجوس الذين سبق الكلام عليهم

ثم لازالت القبائل الجرمانية وغيرها من سكان شمالي اوربا تتدرج في

ابطال هذه المعتقدات واعتماد الديانة المسيحية شيئاً فشيئاً منذ القرن الثاني للميلاد الى ان كان آخر من قبل هذه الديانة الشعب البروسياني في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد

والروسيون الذين كانوا على انواع من العبادات الباطلة والمذاهب المختلفة فكان قوم منهم يعبدون الاوثان وقوم يقولون بوجود الاصلين اصل الخير واصل الشر وربما كان لافرق بينهم وبين دين المجوس القديم اذ انه كثيراً ما كان يفحش الاخ باخوته والاب بابنته ويولدون منهم الاولاد ومنهم من كان يترجى الغرباء ان يدخلوا على نسائه وبناته لاعتمادهم ان الغرباء احسن منهم شكلاً وجنساً وبنية ويرون في ذلك اصلاحاً لعيوب تركيب نسلهم . ومنهم من كان يعبد ما هو ضروري لمعاشه كجلود الضان وجلود الدب وغير ذلك . ومنهم من كان يعتقد بوجود اله ووجود الشياطين ايضاً ولذلك كان يوجد عندهم سمرة وعرافون يوولون الاحلام . ومنهم من كان يحل قضاء جميع شهواته وانما يحرم سن المدينة والبلاطة في السفر وانقاذ الغريق او الجار من الهلاك لزعيمه ان في ذلك معارضة للقضاء والقدر وكان من العادة عندهم قتل البنات خوف الفضيحة والعار كما كان عند جاهلية العرب ايضاً وحياناً يقتل الاولاد والديهم متى شاخو وعجزوا ليتخلصوا من الاهتمام بالقيام في امر معيشتهم وكانوا يحرقون جثث موتاهم الى غير ذلك من الامور التي داموا عليها الى ان دخل الدين المسيحي بينهم على عهد الملك قولدمير الكبير الذي تولى المملكة سنة ٩٧٥ م

والبريتانيون اي قدماء الانكليز الذين كانت ديانتهم من اريد العبادات الوثنية وكثيراً ما كانوا يقدمون ذبائحهم البشرية لاهنتهم التي كانوا يعبدونها وهي الصخور والحجارة وبنايع المياه وشجر السديان وهذا الاخير كانوا يخصونه بوقار غريب اكثر مما سواه مع نبات آخر يثبت على قاعدته وبالاجمال كانوا اشبه بعباد التنيش الذين سوف ياتي الكلام عليهم

وكانت كهنتهم منقسمة الى ثلاث مراتب اخصها المعروفة بالدرويد حيث كانت معتبرة عندهم بان لها حق المناظرة على كل اعمال الرعية وكان لرئيسها السلطة والتصرف المطلق في كل الاشغال ولا زالت كذلك الى زمن نيرون القيصر الروماني المشهور الذي امر بقتل اربابها بعد ان استولى على البلاد واما الرتيبان الاخريان فكانت احدهما مختصة بنظم الاشعار وانشادها على الفياثير والثانية كانت تشتغل بالدرس العقلي للفلسفة والاعمال الطبيعية وكل علم او حرفة من شأنها ان تذهل الشعب وتجعل لها حرمة عظيمة في عينيهِ ولذلك اعتبر الشعب اصحاب هذه الرتبة انصاف آلهة ممتازين بمواهب سماوية خصوصية ولا زال الحال على هذا المنوال الى ان تنصرت برثا زوجة الملك اثلبرت وبعدها زوجها المذكور وذلك في سنة ٥٩٦ ب م ومن ثم اخذت الديانة الوثنية المذكورة في الملائشة ولم يمضِ الا اجيال قليلة حتى عمّت الديانة المسيحية تلك البلاد جميعها

والغالليون اعني قدماء الفرنسيين كانت ديانتهم شبيهة بما هو المعروف في عصرنا هنا عن ديانة الهنود الذين مر ذكرهم وستاتي تفاصيلها ولم عفائد بعضها ملج وبعضها قبيح ومذهبهم يُعرف بالدرويد نسبة الى كهنتهم اذ كانوا يسمون بهذا الاسم نظير كهنة البريتانيين المذكورين وكانوا يعتقدون بالثواب والعقاب بعد الموت وعند موت رب العائلة يحرقونه ويحرقون كذلك معه كل ما كان عزيزا لديه حتى ومن الحيوانات ويطرحون معه ايضا بعض مكائيب زاعمين بانه ياخذها معه ويوصلها الى اقاربهم المتوفين ويزعمون بان من قتل نفسه لاجل صديق له فانه يلاقيه في العالم الآخر ويزعمون ان الالهة هم بنات ارباب وملوك فللرجل حق التسلط المطلق على امراته واولاده والتصرف في حيائهم جميعا. وكانوا يحرسون على تربية الاولاد وعمل الخير وان كل من افرض صاحبة مالا في هذه الحياة يستوفيه في الحياة الآتية وكانوا يعتقدون تناسخ الارواح ويقيمون احتفالاتهم الدينية بين احراش السنديان ولم تتلاش

هذه العبادة من بينهم إلا منذ تنصر ملكهم اقلوبس الأول ابن شليريق في سنة
٢٩٦م بواسطة زوجته اقلوتيلدة بنت اخي غنديود ملك البرغونيين

فصل

في ما اشتهر من هياكل الطوائف المذكورة ومعاييدها بوجه الاجمال

لا يخفى بانه لا يزال باقياً حتى الآن شيء من الآثار المالة على عظم هياكل
هذه الطوائف والمعابد التي كانت تصطنعها لآلهتها الوثنية بصناعة عجيبة تذهل
الناظرين ومنها هيكل يابوس في بابل وهيكل فلكان في مصر وهيكل المشتري
في ثيبس من نواحي مصر وهيكل ديانة في افسس وهيكل ابولون في مليتوس
وهيكل المشتري المدعو اوليبوس في اثينا وهيكل ابولون في مدينة داني وهيكل
الشمس والقمر في هاليبوس وهيكلان ايضا في بعلبك احدهما هيكل الشمس
ويُدعى الكبير والثاني هيكل المشتري وهو اوطأ من الهيكل الكبير المذكور بنحو
١٠ اقدام واصغر منه في الطول والعرض ايضا وهناك آثار هياكل اخرى في
مدن متعددة غير انها دون ما ذكر وربما عدّ تعدادها بدون طائل

فصل

في فساد المناسك والقرابين الاصلية

كما ان هذه العبادات الجاهلية والضلالات الرديئة جعلت الناس جميعاً

ان يبدلوا حق الله بالكذب ويتكلموا على المخلوقات ويعبدوها دون خالقها
كذلك افسدت تلك المناسك الاصيلة والفرايين المقبولة وابدلتها بمناسك
ردية وقرايين ممقوتة ايضاً حتى صار تقدم الذبائح البشرية من افضل ما
تسترضى به تلك الالهة الوثنية عند جميع الامم القديمة فقد كان اهل فينيقية عند
نزول الشلائد بهم يذبحون البشر لالههم واهل الحبشة كانوا يذبحون صبيانهم
للشمس وبناتهم للقمر واهل كاسان يضحون الناس في غياض البلوط كما كان
يفعل اهل انكلترا واما المصريون فكانوا ينتخبون لذلك شجر الشعور وقد اكثر
اهالي فرنسا من هذه الضحايا حتى ان كثيراً ما ذبحوا مئة نفس دفعة واحدة وكان
الفرس يضحون البشر بالسيف او بالدفن احياء واليونانيون يذبحون شخصاً واحداً
قبل شروعهم في الحرب واهل اثينا يذبحون كذلك شخصاً واحداً في راس كل
سنة . واما الرومانيون فقد استمروا على هذه العادة البربرية زماناً طويلاً حتى
بعد نبي الشريعة عنها وهكذا في شمال اوربا فان هذه العادة بقيت هناك الى
ما بعد التاريخ المسيحي بزمن طويل . واما في بلاد اميركا الجنوبية فكانوا يذبحون
اولادهم عند الصلوات العامة وقد ذبح في مدينة مكسيكو قبل ان فتحها
الاسبانيون الفانفس (بالف الثنية) في سنة واحدة وعند تجديد هيكلم ذبحوا
سبعين الف نفس ولما فتحها الاسبانيون وجدوا فيها برجاً مبنياً من مئة وستة
وثلاثين الف حجة وكان اكثر ذلك من اسرى حروبهم قدموهم ذبائح لالههم
وكيفية تقديمهم هذه القرايين هي انهم يطرحون الشخص على حجر كبير ويمسكه
الكهنة من كل جانب ثم ياتي عظيم الكهنة بالحلة الكهنوتية المزخرفة فيشق صدره
ويخطف قلبه ويرفعه الى جهة الشمس ثم يطرحه عند اقدام الصنم . غير ان هذه
العادة بطلت من تلك البلاد منذ استوطن النصارى فيها وهكذا كل المحلات
التي ضاء فيها نور الانجيل بحيث لم يبق من ذلك شيء الى الآن الا في بعض
جنوب اسيا اذ يرفهون الصبيان الحسان لاجل القدمة وفي افريقية يذبحون
مئات في الوقت الواحد كما سوف ياتي الكلام على ذلك

الوثنية المحاضرة

ان السبب في هذه البقية التي ذكرناها هو ما لا يخفى من وجود نحو ثمان مئة مليون والحالة هذه من بني البشر في العالم الموجود الآن يعدون الاوثان منها نحو ست مئة مليون كلها فروع من ديانة الصابئين التي سبق الكلام عليها ومنها دين البراهمة الهنديين . ودين البوذية الذي يظهر ان ما بينه وبين دين البراهمة من الارتباط والتعلق يؤذن بانهما من مبدأ واحد وهذا الاخير منتشر ومتنوع الى عدة فروع احدها رئيسة يقال له اليلما ومقامه في مدينة لاسا من بلاد تبت . ومنها فرع آخر في بلاد الصين ايضا يسمى دين فرع ومنها فرع يسمى الشمالي وهو موجود في بعض بلاد اسيا . ومنها فرع يسمى سيمتي موجود في بلاد اليابان ويمكن ان يضاف الى هذه الفروع دين السيبك في بلاد الهند ودين كنقرة في بلاد الصين وهذه هي الاديان التي يقال بانها وان تكن مشتقة على عدة آله الا انها غير مقصودة بالذات اذ تقول بوجود اله اعلى مقصود بالذات دون غيره كما سبقت الاشارة الى ذلك

واما الشرك اي عبادة عدة آله فقد ذهب اكثره من غالب البلاد المتقدمة والموجود منه الآن دين الفتيش الذي هو اشبع كل الاديان الجاهلية القائلة بتعدد الآلهة . والفتيش هو الشيء الذي له روح او خال عن الروح تعبده الامم اصحاب عظام البدع وهذا الدين موجود تحت اشكال مختلفة عند كثير من الهل المتوحشين المتعقلين في

الجهالة مثل سودان بلاد

افريقية

فصل

في ما اطلعنا عليه في بعض المؤلفات والجرائد من اخبار
معتقدات هؤلاء الامم ومناهمهم

الكلام على البراهمة الهنديين

نقول النشرات الاخيرة ان عدد سكان الهند يبالغ نحو مئتي مليون من
النفوس البشرية يوجد بينهم جانب عظيم من الاسلام اما النصارى فليسوا
اكثر من مئتين وخمسين الفا من الانجيليين يسكنون في الاقاليم الشمالية التي
تحتسب قلعة الخرافات والقسم الاكبر والاكثر هو من هؤلاء البراهمة وهو نحو
١٥١ مليوناً من النفوس

قال الامام المقرئ ان اهل الهند القائلين بعبادة الاصنام يزعمون انها
موضوعة قبل آدم ولم حكم عقلية واحكام وضعها الشلم اعظم حكاهم والمهندم
قبلة والبراهمة قبل ذلك . فالبراهمة اصحاب برهم اول من انكر نبوة البشر ومنهم
البردة زهاد عباد رجال الرماد الذين يهجرون اللذات الطبيعية واصحاب
الرياضة التامة واصحاب التناسخ وهم اقسام منها اصحاب الروحانيات والبهادرية
والناسوتية والباهرية والكايلية اهل الجبل ومنهم الطبسيون اصحاب الرياضة
الفاعلة حتى ان منهم من يجهد نفسه حتى يسقطها على جسده فيصعد في الهواء
على قدر قوته . وقال غيره من مؤلفي الاعصر الاخيرة من العرب ايضاً انهم
يغضون وينفرون في بلادهم من فرقتين يسميان الباريا والبوليا حتى انه لا يمكن
لهاتين الفرقتين ان تختلطتا بهما ملازمتهما بان تعزلا وحدهما عن غيرها واذا

قرب واحد منها من احد البراهمة فانه لا يبعد عليه قتلة وكذلك ها ايضا
تفران من بعضها بعضاً . وللهنود جميعاً بغضة عظيمة لغيرهم من النصارى
والاسلام حتى انهم يحكمون بنجاسة من شرب من اناء شرب منه مسلم او غيره
وقيل انهم في ذلك يخالفون غيرهم من عبدة الاوثان الذين لا يبغضون احداً
وبرون جميع الاديان بعين واحدة

اما السبب في تسمية البراهمة بهذا الاسم فهو نسبتهن الى برهم كبير آلهتهم
وسوف ياتي الكلام عليه وهم اول طوائف الهند واشراف الجنس الهندي جميعه
يشتغلون بالشرائع والفلسفة ولم فيها كتب مشهورة عندهم منها كتاب يُسمى
الصاشة او الشستر وكتاب آخر يسمى الوبلام او الفيداس . حكى بعض الكتبة
بمعرض قصة كتبها عن رجل من هذه الطائفة انه جال نحو سنتين اي في
سنة ١٨٧٠ م في شوارع بنارس وهي المدينة المقدسة عندهم ينادي ويقول ان
مؤلفاتهم الدينية المدعوة الفيداس لا تصدق على عبادة الاوثان مطلقاً وان
الكتب المسماة البوراناس التي تعلم بها لا تستحق الاعتبار وان اجتمع على هذا
البرهي علماء المدينة لکنهم عجزوا عن الرد على براهمة حتى آل امر احد الاغنياء
في مدينة يقال لها فقرا باد انه هدم جميع هياكل الاوثان المبنية في ارضه وطالب
البعض من الامراء والاشراف الى دعاة الانجيل ان يرسلوا لهم معلمين ومعلمات
لاجل تعليم النساء والاولاد

ثم ان الدين البرهي ولئن كان يعلم بوجود اله واحد فان لهم آلهة اخرى
كثيرة يسجدون لثاليلها اما اعظمها فهو ذاك الاله الواحد الذي يسمونه برهم
وقد مر ذكره ويزعمون انه في الغالب يكون نائماً وقد يستيقظ في بعض
الاحيان ويقول . برهم موجود . او انا موجود . ثم يعود الى النوم وفي احدى
هذه اليقظات اشتق منه ثلاثة آلهة اقامهم نواباً عن نفسه يسكنون في السموات
العليا وهم برهمة ووشنو وسبوي وآلهة كثيرة اخرى لكنها تسكن في السموات
السفلى وسوف ياتي الكلام على ذلك . واشتق منه ايضا جميع دقائق الهولي في

الأرض والشمس والقمر والنجوم . وكانت هذه الدقائق يومئذٍ عديمة الترتيب فخلق برهم بيضة كبيرة ودخل فيها ومعه هذه الدقائق جميعها فاقام برتبها داخل هذه البيضة اربعة آلاف وثلاث مئة الف مليون من السنين ثم خرج من البيضة وله الف راس والف عين والف يد واخرج معه الدقائق وفصل بعضها عن بعض فحصل من ذلك الكون الظاهر وهو عندهم اربعة عشر عالماً منها سبعة تحت ارضنا وستة فوقها

اما الأرض عندهم فهي مسطحة مستوية ومركبة من سبع جزائر متراكزة الوسطى منها مسكن البشر ويحيطها بحر مالح . والثانية تحيط بالبحر المالح ويحيطها بحر من عصير قصب السكر . والثالثة يحيطها بحر من العرق . والرابعة يحيطها بحر من السمن الصافي المكرر . والخامسة يحيطها بحر من اللبن الرائب . والسادسة يحيطها بحر من الحليب . والسابعة يحيطها بحر من الماء العذب . واما العوالم السفلية فهي مقام المخلوقات الشنيعة الكريهة والعلوية مقام الآلهة

ويعتقدون ان هذا العالم له أول وآخر وان هذا الاله يملأه بذاته وان آدم وحواء لما تجاوزا نعيمها الحد حكم عليهما ان لا يعيشا الا من شغلها وكسبها . وان الأرواح بعد الموت تتناسخ فتتم من جسد الى جسد آخر والذي يعاقب على ذنبه تنتقل روحه الى جسد احد الحيوانات المسكينة واذا تم عقابها بقدر جرمها طهرت وانتقلت من ذلك الجسد واجتمعت بجسدها الاصلي وعاشت معه في نعيم ابدى وهذا الاعتقاد هو الذي يمنعهم عن ارتكاب الذنوب واكل لحم الحيوانات والآفا الذي يمنعهم عن ارتكاب الرذائل حال كونهم ينسبون الى الهتهم الآتي ذكرها كل انواع الشرور كما ينضج من الكلام عليها

ومن هذه الآلهة النواب الذين اقامهم برهم على ما ذكرنا في ما مر واولهم برهة وهو عندهم الخالق ويصورونه غالباً باربعة اوجه واربعة اذرع باربع ايادي وفي يده الاولى جزء من الفينا وهو كتابهم الذي ذكرناه قبلاً . وفي اليد الثانية ماعقة وفي اليد الثالثة مسجحة وفي الرابعة اناة فيه ماء للتطهير

والثاني وشنوا وشنو وهو المحافظ بصورته غالباً بأربعة أذرع وأربع
أيادٍ وفي يده الأولى بوق صدفي وفي الثانية حلقة يزعمون أنه عند ادارتها
تخرج منها نار آكلة لا يمكن مقاومتها وفي الثالثة نبوت وفي الرابعة غصن
حندقوفي

والثالث سيوي أوسينا وهو الملك ويصورونه غالباً كذلك له أربعة أذرع
أربع أيادٍ وفي يده الأولى صولجان وفي الثانية حبل لائتاق المذنبين والاشنان
الأخريان فارغان وله عين ثالثة في جبهته وحيات معلنة بأذنيه وفلاذة في
عنقه من رؤوس البشر المنقطعة

ويزعمون بأنه لا يدخل السماء حيث يسكن هذا الإله الأخير من الآلهة غيره
الأفحوشرين إلهاً فقط يدعونهم الآلهة السموية

أما الآلهة الذين هم بدرجة أدنى من الآلهة المذكورين فهم نحو ثلاثة وثلاثين
ملبوناً يسكنون السموات السفلى ويتلوّنون بكل الألوان والهيئات وهم متدربون
على كل نوع من الشرور كالقتل والسرقة والكذب والفحشاء وبالجملة كل ما
يخطر في عقول البشر من الذنوب والرذائل غير المحدودة ويملك عليهم ملك
اسمه هندرا ملك السماء وله ألف عين لكن ليست كلها في رأسه بل مفرقة في كل
جسمه وكل عضو من أعضائه حتى يرى كل شيء وهو يركب فيلاً كبيراً وله
أربع أيادٍ ماسكاً في اثنين منها صاعقتين وله قوس معلقة على كتفه وهو متقدم
للقائلة أعدائه ويكون دوام ملكه مئة سنة من سني الآلهة ثم من يقدم بعد ذلك
مئة رأس من الخيول ذبيحة يملك عوضاً عنه . حكى أنه في قديم الزمان دعا
أحد الفلاسفة جميع الآلهة إلى وليمة عظيمة فحدث أن الملك هندرا المذكور رأى
في الطريق وهو آتٍ إلى تلك الوليمة ستين ألف قزم من كهنة برهم وأقنين على
الطريق أمام موضع داست فيه بقرة فتجمع قليل من الماء في اثر رجلها ولم يقدر
هؤلاء الستون ألف كاهن النزام النصار القائمة أن يهربوا ذلك الاثر فضحك
الملك هندرا عليهم ولذلك غضبوا منه وانتفوا على تولية ملك آخر ليحاربه وياخذ

منه الملك فحافهم هذا الملك وطالب المساعدة من برهة فخلصه منهم وابقى له
السلطة على الآلهة المذكورين

وحيث انهم يعتقدون بان هؤلاء الالهة لا بد اكل واحد منهم ان يجسد
بهيئة من الهيئات كما اشرنا كانوا دائماً يترقبون ظهور آلهة متجسدة كالاله الذي
يسمونه ديبو ويزعمون انه عاش منذ خمس مئة سنة وينسبون اليه العجائب منها
انه ذهب للحرب راكباً على حائط مبني من الحجارة العظيمة وانه علم جاموساً حفظ
الكتب عن ظهر قلبه وما اشبه ذلك . ومنذ مدة ادعى قوم منهم بان الجنرال
نكلسن الانكليزي المشهور بالشجاعة والمهارة في العسكرية هو اله متجسد واخذوا
في عبادته وتقديم ذبائح له ولبسوا لاجله برانيط عوضاً عن الطرابيش ثم اتوا
بذلك الى خيمته فامر بطردهم الى خارج فزعموا بان هذا الاله غضبان عليهم
بسبب خطاياهم ولذلك طردهم ومن ثم ابتدأوا ينوحون ويضربون انفسهم بهي
ويقرون صدورهم لكي يسترضوه . فلما قتل الجنرال المذكور في الحرب قال
الثورو العظيم رئيس هذه العصاة الغريبة انه لا يقدر ان يعيش في عالم ليس فيه
نكلسن ولذلك قتل نفسه لكي يتبعه الى عالم الغيب وهكذا فعل انسان آخر
غيره من الطائفة المذكورة واخيراً تلت هذه الفتنة لسبب اختلال عقول البعض
منها ووقوعهم في مرض الجنون وقبول آخرين منهم الديانة المسيحية . وحكي في
بعض الاشرار ايضاً معرض ذكر الحيات الموجودة في هذه البلاد وبلاد
افريقية انه يوجد منها جنس افراده كبيرة ومهينة في الغاية ومنها ما يبلغ طوله
ثلاثين ذراعاً حتى انها تقترب الخيل والبقر وبي ادم والفيل ايضاً وفي بعض
البلاد تخرج من اوجرتها وتدخل القرى والبيوت فصودف ان مبشراً في بلاد
الهند المذكورة وجد في بيت حية كبيرة سامة فتلتها واذا بهد ذلك بقليل اتى
جيرانه اليه بغبط شديد واخذوا يوبخونه بكلام قاس ولما استخبرهم عن السبب
الذي اغاظهم اجابوه لكونك قد قتلت الهنا الذي نعبد وماذا نقدر ان تهيننا
باكثر من ذلك ثم يقول الكاتب ان عدد الذين يعبدون الحيات كثير جداً

ولربما يظنون بها انها اولاد الحية القديمة وانها من سكان السماء
ولهذا السبب عينه يحاذرون جداً من ان يقتلوا اي حيوان كان خصوصاً
البقر خوفاً من ان يكون حالاً فيه اله من هذه الالهة ويعتقدون ان اكبر الكبائر
في القتل خمسة انواع اذا تعدّها الانسان لا يسامح اصلاً الاولى قتل احد
البراهمة . الثانية قتل ملك . الثالثة قتل امرأة . الرابعة قتل صاحب . الخامسة
قتل بقر . وان قتل البقرة اعظم جرماً من قتل ما عدا الاربعة السابقة . حكى
ان رجلاً من الاشراف في الهند كبير طائفة منهم تكثر من غيرها من ان
تكون سبباً في موت احد الحيوانات حتى انهم يصفون الماء التي يشربونها ثلاث
مرات حذراً من وجود بعوضه فيها سأل احد دعاة الدين المسيحي ماذا يأكل
حتى يجد راحة لضميره فقال له الداعي المذكور اظنك لا تقتل حيواناً مثل بقرة
او شاة اخرى غيرها فاجابه حاشا لي من ذلك فسأله ايضاً هل لا تشترك ابداً
في نتائج ذبحها فقال كلاً البقرة فاجابه كالمنسحب اذا الحيوان الذي من جلده
اصطنع حذاءك لم يزل حياً فضحك الحاضرون وسكت الهندي خجلاً

واعجب من ذلك ما روتهُ احدى الجرائد عن جماعة من الاساكفة في
مدينة يقال لها بنكور من بلاد الهند لم يكن لهم اله يعبدونه فانفقوا وعملوا زوج
صراحي كبيرة جداً ووضعوها على مذبح من الحجارة وصاروا يبخرونها ويسجدون
لها والظاهر انهم فعلوا ذلك بناء على مبدأ من الاعتقادات الوثنية

في عبادة ما يضر وينفع اما الضار فلولو قاية من شره

واما النافع فلشكره وحمده على

صنيعه

فصل

في ما يروى من اخبار معابد هذه الامة ومناسكها

لا يخفى بان الهياكل الممدة للعبادة البرهية في هذه البلاد هي كثيرة لا يمكن حسابها ومنها ما هو ذو غنى منظر ومزخرف زخرفة عظيمة ولذلك لا نذكر منها الا اثنين الواحد لئلا نكتنه وجدت فيه والثاني لفرط غناه اما الاول فهو يوجد على نحو ٥ اميال من مدينة احمد اباد وهو على صورة البيت الحرام في مكة وفيه تمثال الكعبة ولعله هو الذي يقول عنه ابن خلدون المغربي بانه كان لآدم ابي البشر في سرديب من جزائر الهند لكنة لم يقطع بصحنه والثاني موجود في مدور الكائنة جنوبي الهند وبجطة سور طولة من الشمال الى الجنوب ٢٧٣ ذراعاً ومن الشرق الى الغرب ٢٢٠ ذراعاً وعلى الابواب ابراج علو الواحد منها ٧٠ ذراعاً ومن هذه الابراج برج قد نقش عليه من اعلاه الى اسفله اصنام ذكورا واناثا وداخل السور مقدار ٥٠ بيتاً مخصصة للعبادة بعضها كبير جدا وكلها مبني من حجارة جلودية واحدها مسقوف بالبلاط الصم ومركن على ١٠٠٠ عمود حجري وفي سنة ١٨٦٨ م ابتداء الاهلوت في ان يشغلوا في تصليح وتزيين بيت منها على مصروف ١٧٠٠ كيس وخدام الهيكل الذين يلازمونه دائماً هم ٧٣٦ شخصاً منهم اربعون امرأة للرقص امام الالهة ومصروف هذا الهيكل يحصل من خراج ١٥٠ قرية موقوفة له ويبلغ سنوياً ٥٥٨٢٥ كيساً على ان ما عدا ذلك من هذه الهياكل المنتشرة في كل البلاد اكثره خراب لا يعتني الاهلوت بترميمه واعادته مع انهم من جهة اخرى تراهم يجددون هياكل غير ما ذكر مع السخاء الكلي ومصاريف بنائها يجمعها الكهنة من الشعب .

وعلا عنها يقيمون ايضاً دككاً في الغابات العظيمة والاحراش تكون كالمصاطب
العالية تحت الاشجار المظلمة ويضعون عليها اوثانهم وهناك يقدمون لها الصلوات
وانواع العبادة كما في الهياكل

ولهم ايضاً مدن يحسبونها مقدسة يحلونها ويحجون اليها ويقصدون زيارتها
منها مدينة بنارس موطن البراهمة وفيها كثير من الهياكل والمساجد ياتون اليها
من اقطار الارض ويزعمون ان من مات بها خلاص لانهالة وفيها كما في بقية
مدن الهند كثير من القروء المكرسة لاله على هيئة قرد كبير ومدينة اوديان
او اودجان وهيكل يغرنوت بالقرب من مدينة يقال لها كونك

اما ترتيب عبادتهم اليومية في هذه الهياكل فهي ان ياخذوا ما فيه من
الاصنام ويغسلوها في الحمام ويدهنوها بالطيب ومن ثم يصلي الكهنة لها والنساء
تغني وترقص امامها

ويعينون لها اعياداً خصوصية في كل شهر يجرونها مع الاحتفال العظيم
وقد يجمع في البعض منها احياناً نحو مئة الف من الزوار ومن هذه الاعياد عيد
زواج اله الالهة . وعيد آخر ياخذون به الالهة باثغر الملابس تتلأأ عليها حجارة
الماس والياقوت وغيرها ويحلون بها على ظهور الاقبال والناس يغنون امامها مع
رن آلات الطرب والرقص والوف من المشاعل ويذهبون بها الى بحيرة تبعد
مسافة ساعة عن الهيكل لكي تنزه في مركب على الماء مع انوار وصواريح لا تحصى
عنداً . وفي عيد آخر يجرون الاصنام بعربانة في شوارع المدينة بالتهليلات
والاغاني ايضاً . يحكي انه في عيد راما الذي هو من اشرف الالهة عندهم يحل
عباده رماحاً وبعضهم سبوقاً وبعضهم اقواساً ونبالاً ووراءهم ثمانية من الرجال
حاملون هودجاً داخله ثلاثة تماثيل من الخحاس الاول منهم هو راما والثاني
امرأته والثالث اخوه وهذه التماثيل ملبسة باللباس الثمين المزين بالجواهر
والزهور وبالقرب من التخت يمشي خدام حاملون مراوح وسعوف نخل لينعوا
الذبان والغبار عن الالهة والبعض كانوا يخشخشون بالاجراس وغيرهم بضربون

الطبول ويصرخون لاجل إلهاء وفرح الآلهة والبهض كانوا يصفقون قائلين
يا نارينا ويا جوفند ويا موري استمعوا لنا واحفظونا وكانوا يطوفون به القرى
لكي يجمعوا دراهم من الشعب ويعملوا بها وليلة للاصنام

ولهذه الامة سفاهة وافرايضاً في تقديم ما يلزم لهذه الولايم يحكى انه في احد
الهياكل بالقرب من مدينة كلكنا يقدم يومياً للاصنام نحو مئة راس من الثيوس
والكبش مع عدد من الجواميس وكل يوم سبت واثنين يذبحون عدداً مضاعفاً
وفي الاعياد الكبرى يذبحون الوفاً وفي عيد دوركا السنوي يقدم البعض من
العمال المعتبرة الف راس من الضان عن العائلة ومنذ مدة قدم الراجا ملك
نوديا شمالي بنكالا خمسة وستين الف راس من الحيوانات حتى انه لم يمكن
لجماهير الزوار ان يأكلوا لحومها كاملاً فرموا كثيراً منها في النهر وفي وقت عيد
لاله آخر ارسل هندي غني نفدمة لهيكل ذلك الاله ستة عشر الف رطل من
الحماي ومثلها من السكر والف بدلة من الجوخ وقدرها من الحرير والف صندوق
ارز . وهندي آخر قدم سبعة آلاف وخمس مئة كيس عدا عن الفين وخمس
مئة كيس كان يقدمها في كل سنة . وكذلك الفقراء يندمون بتدري طاعتهم . يحكى
عن عائلة فقيرة توجهت لزيارة احد الهياكل فكان الاب حاملاً دجاجة
والولد الصغير راكباً على كتفه حاملاً نارجيله (جوزة هند) والى جانبه ولد
آخر ماشياً بيده ثلاث موزات والوالدة حاملة صحن فواكه وزهور

ومن اغرب الغرائب ما يحكى عنهم في ما يكابدونه ويتجادون لاحتماله
طوعاً باختيارهم من العذابات الالهية تكفيراً لخطاياهم وارضاء لاهتهم فان من
البراهمة المذكورين من لا ملبس له اصلاً . ومنهم من يطرح نفسه في الاوحال
والافنار . ومنهم من يرى في الشمس الحارة جداً وذلك يسمونهم فلاسفة
متفشين بل لا يبالون من الموت ايضاً حتى انهم كثيراً منهم من قتل نفسه مفتخراً
لخص الرياء والسمعة ومع ذلك لا يحسب هذا شيئاً بالنسبة للامور التي تفوق
الاحتمال فان منهم من يمكث واقفاً على رجليه او متكئاً على شجرة مدة سنوات

لا يرقد اصلاً ومنهم من يشبك يديه ويضعهما على راسه دائماً والناس تافهة
 الطعام كالاطفال . ومنهم من لا يستعمل رجله أبداً فيرقد دائماً ولا يتحول عن
 موضعه الا بظهوره . ومنهم من يحلق شعر راسه ويربط رجله في غصن شجرة
 ويبقى مقلوباً بحيث يرتفع راسه مقداراً يعينه الذاتية عن الارض ولا يترك هذه الحالة
 حتى يبت شعر راسه ويصل الى الارض . ومنهم من يكابد العذاب على ارجوحة
 دينية وهو انه يلقي ذاته بوجهه الى الارض فيعلق رجال الارجوحة في لحم ظهره
 صارين من الحديد ويربطونها على طرف سارية الارجوحة التي تدور على
 راس عمود عالٍ وهكذا يدبرون السارية فيبقى المتعلق فيها ساجداً في الهواء
 ودائراً معها واذا صرخ من شدة الاوجاع لا يسمع صراخه لشدة ضيق الطبول
 والصنوج التي يضربونها ويقال ان البعض يبقون معلقين خمس دقائق والبعض
 نصف ساعة وقليل من يجتمل العذاب اكثر من ثلاث ساعات ويقال ان
 انساناً واحداً تعلّق في يوم واحد ثلاث مرات فمدح وعظم قدره من الجميع
 لكونه على زعمهم محال كل خطابه

ومنهم من يقدم ذاته ضحية لمعبوده بطرحه نفسه تحت عجالات عربية ذلك
 المعبود في يوم عيده عند ما يطوفون به في الشوارع والاسواق . حكى انه في
 يوم عيد الاله المدعو جاكاثوت (اي رب العالم) الذي لم ينزل من اعظم
 الاعياد عند الهنود كان يحضر الوف من الناس من كل جهات الهند وكان
 يبلغ عددهم احياناً الى ست مئة الف نفس وكانوا يضعون هذا الاله في مركبة
 عظيمة ثقيلة ويحرقونها فينفع تحت عجالاتها عدد وافر من جهلاء الزوار يقدمون
 ذواتهم قرباناً لاجل ارضاء ذلك الاله . ونظيره ما يعتقدونه بنهر الكنك من
 تطهير الخطايا ايضاً ولذلك يجلبون من كان منهم مريضاً لا يرجي برؤه الى
 هذا النهر ويتركونه على شاطئه لتجذبه الامواج ويفرق فيه وينزعون انه اذا
 مات على هذه الحالة يدخل النعيم بغير حساب فاذا اراد المريض ان يرجع الى
 بيته ويتداوى بحشره اهله ويبغضونه ولا يتقبلونه ولو كان عزيزاً عندهم قبل ذلك

ويطردونه معتقدين انه ليس هو اهلاً لمثل هذه المينة الفاضلة ويقال بان كثيراً من هؤلاء المرضى يصرخ بشدة صوته ويرجو اهله ان يتركوا له حياته فلا تاخذهم عليه شفقة اصلاً بل يغطسونه في النهر ويلاؤن فيه بالطيب حتى يموت سريعاً ويقال ان بعض قرى بنغالا عمرت من المرضى الذين قدروا ان يخلصوا ذواتهم من الغرق فيه . وفي عيد اله هذا النهر السنوي يحضر القوم الى الهيكل من الاطراف البعيدة وكل منهم يعطي تقدمة من الدراهم الى الكهنة ثم بعد ذلك ينزلون الى النهر لاجل الاغتسال بماء فيطهرون من خطاياهم وتطهر قلوبهم ايضاً ويوجد هناك اناس يجامون ماء هذا النهر في جرار يطوفون بها لبيعوها في اقاصي البلاد ومنهم من يملأها من انهر اخرى ويدعي انها من نهر الكنك غير ان بعض المعلمين المعتبرين عندهم يقولون ان قوة هذا النهر الروحية ستزول بعد سبع وثلاثين سنة . ومن قبائلهم قبيلة تسمى الكوند تعبد الالهة قاسية دموية وهي عندهم ملكة كل الالهة واصل كل البلايا والشرور ويزعمون انها تقتلهم اذا كانوا لا يقدمون لها ذبائح بشرية ولذلك اعنادوا ان يسرقوا بعض المساكين او يشترونها بالثمن وفي اليوم المعين للذبيحة يجتمعون من كل الجهات مزينة باحسن اثوابهم وعليهم ريش الطواويس وجلود الضباع ويضربون الطبول ويغنون ويفرحون وفي وقت العصر يقوم كاهنهم وباخذ الذبيحة ان كانت رجلاً او امرأة او صبياً او بنتاً ويربطها بعمود موضوع في وسط الميدان وحول هذا العمود يوجد جمهور من الكوند بايديهم سكاكين وخناجر منتظرين الاشارة حتى متى صارت يركضون على ذلك المسكين ومن كان منهم يقطع اول قطعة من جسده يكون له الفضل على غيره

وجميع الاديان الوثنية من دون استثناء تخفض شأن النساء وتحقرهن وتحسبن كالعبيد لرجالهن واخوتهن وفي كتاب اليهود المسمى بالشستر انه لا يجوز للخنازير والكلاب والنساء وغيرها من الحيوانات النجسة ان تدخل هياكل الالهة . وايضاً ان النساء رذيلات وعذابات الصدق كانهن اكاذيب

منجسدة ولذلك لا يسمع لمن ان يقرآن الكتب الدينية ويزعمون ان السبب
الوحيد لوجود المرأة هو لكي تكون خادمة ومستعبدة للرجل . وفي الكتاب
المذكور ايضا اذا ارادت امرأة ان تطهر فلتنسل قدمي رجلها وتشرب الماء لان
نسبة الرجل للمرأة هي نسبة الاله للانسان اذ هو الهها وكاهنها وديانها . ولما كان
من عوائد الهند الفاحشة في الرداءة حرق جثث موتاهم في النار فقد تزايد
هيجان تخيلاتهم الكثيرة بجمرة طبيعة قطرم فتولد منها عندهم من جنون الاوهام
الفاسدة ما جعل النساء يلزمن انفسهن بان كل من مات زوجها تحرق نفسها
معه وهي حية طائفة مخنارة . قال بعض المؤلفين ان المرأة تفعل ذلك اكراما
للالاهات لكي تخدم زوجها في العالم الآخر . وقال آخرون ان علة ذلك هي
كونهم يعتقدون ان برهمة الذي يرون انه ابن الاله (وقد مر ذكره) نزل من
السما وصار بينهم وتزوج عدة نساء فلما مات حرق احب نساؤه اليه نفسها
معه للحقة الى السماء فصارت هذه الحادثة سنة متبعة بينهم . وان من العادة
عندهم ان اقدم زوجات الميت هي التي تفعل ذلك فان ابنت الاولى فعلت
الثانية . قال بعضهم انه راي هناك رجالات وكان له من الزوجات سبع
عشرة فحرقن انفسهن مع جثته . وفي اختلاف عوائد الامم ان هذه العادة
كانت جارية عند قدماء السالو وفي بلاد اسوج وهي الان باقية ببلاد الهند
وذلك ان الرجل اذا مات وخلف زوجة فانها تدخل شيئا فشيئا الى الموقد
الذي تحرق فيه جثة زوجها وتقاسي موتها باحتراقها معه . ففي مملكة كالكتا
يهلك كل سنة نحو ثمان مئة امرأة بهذه العادة القبيحة . ثم ان افلام النساء على
الموقد يختلف باختلاف الجسامة وعدمها وقوة الاعتقاد وضعفه فمن النساء من
تسب على الموقد بفرح وتخصن بحبيبة جثة زوجها في النار ولا تنجبر ابدا حتى
تتحرق معه ومنهن من هي ضعيفة القوة والاعتقاد ولا تدخل الموقد الا بدلائل
برهية وبترغيب الابوين لها في ذلك ثم حين دخولها في النار تضرب الآلات
وتوهج النار الموقدة بالدهن الخالص فاذا صرخت الزوجة في النساء لا يسمع

صوتها لدوي الآلات والنار وهذا الامر عندهم من القربات فيسمون هذه القرية سوطه ومعناه باللسان الهندي قرية مستجبة تصدر عن الايام . وهي دليل على ان الاعتقادات الباطلة والعوائد العاطلة نتجكم في النساء . ثم ان اصل معتقد الهنديين لا يوجب ان يهلك الانسان نفسه وانما جرت العادة بذلك لان البراهمة يسمون لمن تلك القربى ويرغبونهم فيها ويقولون لمن انها وسيلة الى اعلى درجة في الجنة لمن وللزواج الاموات . وقيل ايضا ان ما يؤكد عندهم فعل هذه العادة هو ان بنات الهند يتزوجن حديثات السن ويتعودن على مفارقة الاهل والعيشة تحت تربية الزوج فاذا فقدن الزوج كان لاسند لمن ولاحمى فتدعوهم الضرورة الى العود الى الوالدين والصيرورة تحت ايديهما وكفايتهما مع انه لاشفقة للوالدين عليهن ولا عدل في حقهن في هذه الحالة اذا رغبهن البراهمة وحرصوهن على الاحتراق استسهلته واثرتة على الحياة والفين انفسهن في الموقد طمعا في ان يعشن عيشة اخرى هنية لا تنغيص فيها ولا نكد . وقد وعدهن البراهمة بان كل امرأة احتارقت مع زوجها فلها بعدد كل شعرة من راسها تتمتع الف سنة بالعيشة المرضية فلذلك كان كثير من النساء يقدمن على النار من غير خوف ولا حزن بعد هبة حليهن وتوديعهن لاحبا بهن انتهى . فالعجب كل العجب من هولاء الناس الذين يتغالون في اجتناب قتل النفس ولو بهيمة ويجرقون الاحياء على رؤوس الاشهاد . ويقال بان الانكليز قد ابطالوا هذه العادة منذ استيلائهم على تلك البلاد واذا فعلوها فلا يكون الا في المحلات البعيدة بحيث لا يراهم احد . وفي بعض النشرات المطبوعة في سنة ١٨٧٠ م ان الخرافات قد اخذت في الزوال من بلاد الهند في هذا العصر الحاضر وبما تسلط الكهنة الى الاضمحلال حتى انه انعقدت جمعية خيرية بين البراهمة لاجل ابطال هذه العادة الوحشية وتم اول زيجة ارملة هندية في شهر حزيران سنة ١٨٦٩ م بحضور جمهور من الروساء والذوات المعترين

واما زواج الاولاد في صغر سنهم على ما ذكرهنا فهو من عوائد بعض

القبائل البربرية العديدة النظام وفي بلاد الهند التي نحن بصدد ما يزوجون البنات في السنة السابعة والصبيان في السنة التاسعة . حكى بعض الكتبة انه منذ مدة تعين عرس كاد ان يبطل بواسطة صراخ العريس والعروس لانه لما قام الكاهن البرهي ليعقد للعروسين هرب العريس وكان ابن تسع سنين ليفتش على امه واذا لم يجدها اخذ يبكي ويصبح فلما سمعت العروس التي كانت ابنة سبع سنين فقط بكيت ايضا واخذت في الصراخ فامرها الكاهن ان يسكتا فلم يسمعا منه فخرج واتى بعضا قائلًا اسكتا او اضربكما فخافا منه وسكتا . ولا يخفى ما في هذه العادة من المضرات التي تهدم اساسات التاديب والتهذيب في العائلة وفي الهيئة الاجتماعية . ومن نتائجها الرديئة ما يحكى عن قتل البنات في كثير من قرى هذه البلاد وقد تحقق ذلك من الفحص الذي أجرته الحكومة الانكليزية منذ بعض السنين في حالة اهل الهند المدنية والادبية فوجدت مقاطعة فيها ست وعشرين قرية لم توجد فيها بنت واحدة عمرها ست سنين لان قبل ذلك كانوا دائما يقتلون البنات وقتلها وجدت بنت في اكثر الضياع وان وجد فتكون نسبتهم الى الصبيان كنسبة الواحد الى عشرة وسبب ذلك هو لئلا ينالوا من العيشة الشاقة وتوفر مهرهن عند الزيجة ولو بقي الحال على هذا المنوال لكان انقطع الجنس البشري من تلك الاراضي

وللبراهمة طرق احيائية في اكتساب الاموال يساعدهم عليها تمرنهم على احتمال المولات في العبادة وسخاء الشعب وتعلقه بالخرافات ومن ذلك ما رواه بعضهم عن انسان وثني في الهند كان متعبدا جدا واراد ان يجعل ابنا بلك ممنونين له ويكتسب للذات فضلا واستحقاقا بواسطة بناء بركة ماء عظيمة في تلك الاقاليم الحارة العطشانة ومع انه كان ذا ثروة كافية لهذا العمل اراد ان يزيد فضله باستعطائه المبالغ اللازم لاجل بنائها من الامليات ولذلك اصطنع قفصا من الحديد ثقيلا ولبسه في راسه ونذرانه لا يخلعه حتى يكون قد جمع اموالا كافية لبناء البركة فيضي عليه عدة سنين وهو على تلك الحال وصار معتبرا

عند الاهالي ومعدودا من الاولياء حتى ان الكهنة مع انهم ممنوعون عن معاشرته
مثله لكونه من رتبة ادني من رتبهم صاروا يعدون حضوره بينهم شرفا لعظم
فضيلته واخيرا باع من ارزاقه ما اكل به بناء البركة فاجتمع الاهالي وخلعوا عنه
الاراكندم اي الففص الحديد والبسوة اكاليل وتشاكيل من الزهور علامة
لشكرهم له ثم اخذوا منه الففص المذكور ليعلقوه في احد الهياكل كما هي العادة
عندهم تذكارا له . ويحكى انه لما مرض ملك كلابور مرضا شديدا دعا الكهنة اليه
ايصالوا لاجله اولاً بالاجرة فكان ياخذ كل واحد منهم روييا بالنهار اي اثني
عشر غرشا ثم لما اشتد به المرض ورأوا ان موته قريب وليس له اولاد الزوجه
ان يجعل ابن اخيه وليا لعهد وبعد ذلك امره حسب تعليم كتاب الشسندر
ان يضع نفسه في ميزان مع امرائه لكي يزوهم بالمعاملة فكان وزنه في علمهم ما
يوازي خمس مئة ليرا ووزن امرائه الف ليرا فاخذوا منه حينئذ هذا المبلغ الذي
هو الف وخمس مئة ليرا ووزعوه فيما بينهم مدعين ان الصلاة والوزن لا تنفعان
ما لم تصل الدراهم ايدهم فصودف بان الملك اصبح في اليوم الثاني ناقفا فنادى
الكهنة قائلين ان الميزان هو الذي شفاه لكن بعد قليل رجع اليه المرض بشدة
ومات

ومن خرافاتهم يزعمون بانه يلزم الاطباء ان يستشيروا بعض الوحوش
قبل ان يصنعوا الادوية اللازمة لمعالجة المريض لكي يخبروهم عن المرض
والعلاج المناسب له وان حضور الوحش المنتخب من الطبيب لا يكون الا ليلا
بحيث لا يراه احد وقد يكون اسدا او نمرا او ذئبا او فيلا او نمناسا الى غير ذلك
وحيث ان البعض منهم يعتقدون ان كل خير هو من الهنم وان رئيس
الالهة لا يعتني الا بالامور الكبرى واما الحوادث الصغرى كالامراض الاعيادية
والخسائر وما اشبه ذلك فهي تحت سلطان وتدير الالهة الادنى فلكي يرضوا
هؤلاء الالهة فيمنعون عنهم الامراض والخسائر وباقي المصائب يستعملون وسائل
عجيبة منها ان كل شاب عند بلوغه السنة العشرين من عمره يلزم ان يختار

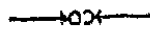
لذاته دواء يسمونه بلغنهم وكون وهذا الواكون يكون اما من جلد ارنب او جلود
بعض الطيور او تصاوير على الخشب او الحجر او خرزات مخيطة على جلد او
تصويرات ديب وذئب وحيات وجواميس وتنانين غريبة او اشياء اخرى
حسب ذوقه واختياره ثم يلف هذا الواكون بلفائف من الجلد ايضاً ويضع معه
شلة شعر من شعر بعض اصحاب المتوفين وقطعة تنبك ويجعل الكل في كبسي
من الجلد مزين بالخرز والالوان الظريفة ويعلنه على رقبتة لكي يحفظه من
المصائب والشور والامراض واذا مرض احد يضعون هذا الواكون فوق
راسه او تحت مخدته ولكنهم يعتقدون ايضاً بان هذه الذخائر والاثواب والاكياس
لا تقدر من ذاتها ان تشفي المريض بل هي واسطة لاجل جبر خاطر الالهة
الصغرى لكي تتوسط بينهم وبين رئيس الالهة

الكلام على البوذيين

لا يخفى ان بلاد الصين تحوي على ممالك كثيرة واسعة جداً وسكانها
ينفون عن ٤٠٠ مليون من النفوس البشرية فيكونون نحو ثلث سكان
الارض ويعادلون عدداً اهالي اوربا واميركا الشمالية والجنوبية معاً ومع
استقامة ملكهم التي لها لحد الآن اكثر من ثلاث آلاف سنة وكل حكمهم
واختراعاتهم التي ذكرناها تلخيصاً في المقالة الاولى من هذا الكتاب فهم وثيون
ولان كانوا يعتقدون بوجود اله واحد غير منظور كما سبق القول اذ انهم يتخذون
الوثان كالهنديين ويقتربون بالذباح للكواكب السماوية وفي عبارة بعضهم ان
هذا الشعب لا يعرف والحالة هذه غير عبادة الاصنام حتى ان المسيحيين قد وجدوا
صعوبات عظيمة في الشرح عن الديانة المسيحية بلغة اهالي البلاد حيث لا يوجد
فيها كلمات توافق التعبير عنها لكون هذه اللغة صارت مستعبدة بمجملتها الى
الوثنية نظير قلوب اصحابها

واعظم الديانات الوثنية المتسلطنة في بلاد الصين واعمها الآن هي الديانة البوذية ومعناها الادراك والمعرفة الا انه قد تفرع عنها عدة انواع مصدرها الامم المجاورة لهذه البلاد اضافة على ما يوجد فيها من الاديان القديمة كدين السحرة الذين يعبدون الشياطين ويستعملون السحر وغير ذلك من الاعتقادات لكن مع كثرة هذه الانواع الموجودة لا يوجد بين اصحابها ما كان ينتضيه تباينها من التناقض بل كانما هي كلها لكل منهم لان الرجل الصيني لا يعتقد بشيء اعتقاداً حاراً بل يصلي في جميع معابد بلاده.

ويظن كثيرون من المؤلفين بأن الذين ينقادون الى هذه الديانة هم نحو ٢٧٢ مليوناً من النفوس اذ انها ليست متغلبة في نفس الصين فقط بل في جزائر يابان وشائعة في بلاد الهند ومملكة سيام ايضاً وهي تُنسب الى رئيسها المدعو كوتاموبوذة وهو عندهم رئيس جميع الآلهة



فصل

في اخبار كوتاموبوذة المذكور وتعاليمه

يقال عنه بانه ابن ملك مملكة كييلا التي كانت معروفة قديماً بين جبال هيلاليا في شمالي بلاد الهند وُلد في سنة ٦٢٢ قبل التاريخ المسيحي وسُيَّ اولاً تمام المراد وله قصة طويلة ملخصها انه بعد ما ماتت امه رباهُ ابوه تحت تدبير خاله ثم لما شبَّ هذبهُ بواسطة اشهر المعلمين والفلاسفة وازوجه وهو في سن ١٦ سنة خوفاً عليه لكونه كان هادئ الطبع يحب الانفراد والدرس ويميل الى التنسك ووضع عليه حراساً لئلا يهرب. فمع كل ذلك وجد فرصة للهرب وانضم جماعة من احكم البراهمة ليتعلم علومهم لكنه لم يقنع بما استفاده منهم بل اخذ في الاختلاء

بنفسه للتأمل والتفكير مدة ست سنين الى ان انكشفت له معرفة الخالق وهو جالس تحت ظل شجرة وان هذه المعرفة هي التي تعين الانسان على احتمال مشقات الحياة وتنبهه من التقيص في صور متعددة بعد الموت على ما سوف يأتي تفصيل ذلك في محله ومن ثم سمي نفسه بوذا اي المنور. والبعض يقولون ان هذا اللقب لنبه به تلاميذه بعد حين وسّي في بلاد الصين سكياموني اي ناسك عائلة سكيما وخلاصة الامر انه بعد ان انكشفت له هذه المعرفة صم على نشرها بين الناس واصلاح الدين البرهي الذي سبق الكلام عليه فطاف مدينة بنارس وكل شالي الهند وعلم مدة ٤٥ سنة الى ان مات وهو في سن ٨٠ سنة من عمره فاقام له تلاميذه ثمان قبب معابد على قبره وانتهى الحال بان تغلبت تعاليمه على راي البراهمة وديانتهم في كل تلك البلاد التي ذكرناها فيها مرّاما دخولها الى الصين خاصة فكان في سنة ٢٧٠ بعد المسيح

ويعتقد معلوم هذه الديانة ان كثيرين يدعون باسم بوذا قد ظهروا لخصوا العالم ومنهم سكياموني بوذا المذكور الذي ظهر في العصر المنوّ عنه وعند البعض منهم ان هذا البوذا هو فشنو الذي ذكر في الكلام على الدين البرهي وهو الاقنوم الثاني من الهم المثلث الاقانيم والجنم في الواحد والثلاثة عندهم الاله الاكبر وان هذه المرة التاسعة من تجسده واعتقد آخرون انه ابن القمر ووكل المريح ولا يخفى ان برهمة يضاهي عندهم الالهة فيرونا التي هي عبارة عن السماء وفشنو يضاهي اندرا وهو عبارة عن الهوى. وسوا يضاهي اكني وهي عبارة عن الارض وهذه الالهة الثلاثة الاولى هي التي وقعت في الاختلاف مع غيرها من الالهة الثانوية فقام عوضها الالهة الثلاثة وهي التي لا تزال تشخص لم قوة الطبيعة الاصلية المساوية والهوائية والارضية التي حملهم نفعها لم وغير ذلك من الاعتقادات على تأليهها وعبادتها

وكان لما شرع بوذا في اصلاح الدين البرهي على ما ذكرنا قرر نظامات بسيطة وقوانين مبنية على الرأفة والحلم عوضاً عما كان من القوانين الظالمة

ولذلك جعلوا تاريخه خرافة طويلة مقسومة الى ١٢ قسماً . الاول تاريخه لما عزم وهو في السماء الرابعة ان يخلص العالم وان ينجار لنفسه ان تلد سود هودانا العذراء ملكاً على كيبلا (٢) تاريخه عند ما نزل من السماء بهيئة فيل ايض ونظر كانه شعاع ذا خمسة ألوان (٣) ولادته في وسط حدوث معجزات كثيرة من خاصرة والدته اليمى وتبائه مامورينه في ساعة ولادته بجدي لا مزيد عليه (٤) تسميته باسم ثارفا ارثا سيدها اي كل الرغبة في التمام وموت امه بعد ان ولد بسبعة ايام واعشاء اخنها به واسمها براجا باني كوناما اي العالم والبشر والسيد والحكمة ولذلك يلقب سكوتاما اي الحكمة (٥) اختياره كوبا وهي ايضاً فشنو الذي سبق ذكره متجسداً لتكون عروساً له وحصوله عليها بعد ان بين قوته في لعب عومي وبين معرفته وحذقه الصناعي (٦) خروجه من بيت ابيه بعد ان تأمل بطلان الملذات وصيرورته ناسكاً متقشفاً (٧) احتماله الآلام الشديدة جداً وذهابه الى بودهياندا ومعناه عرس المعرفة وجلوسته تحت شجرة يجلس تحنها كل عارف بالحق الذي يصير بودياً (٨) احتماله تجربة مارا اله المحبة والخطية والموت ولكنه لا يسقط بل يصادم هذه التجارب (٩) تذكاره ولادته السابقة وولادة كل الكائنات ووصوله الى المعرفة ولعانه كالمعرفة النيرة وعدد اسمائه ١٢ الف اسم ووقوف كل الكائنات على خبر وصوله وخبر التاجرين اللذين انما من بلاد بعيدة ونظراه قبل كل البشر وقدما له عسلاً ولبناً وغيره (١٠) خبر ابتداءه في تعليم الدين واجتماع الرجال والنساء والافقياء والفقراء والمرضى حوله وايمان كثيرين من الحكام والافقياء به وبنيان مدينة سرافاستي اي مدينة السماء على شاطئ نهر الكنك الشمالي في الهند وبنيان دبر فيها حيث عين رسله وعمل المعجزات ومضاداته انتظام النساء في سلك الخدمة الدينية وقبوله بذلك بعد حين ومجادلته الفلاسفة وغلبته عليهم وعلى كل الحيل والشراك التي نصبت له (١١) خراب مدينته واهلاك كل قومه قبل ان مات بمدة يسيرة وموته وله ٨٠ سنة من العمر وحدث اضطرابات عظيمة

في الطبيعة عند موته (١٢) علم اشتعال الحطب الذي جمعه ليعرقوا جسده بحسب عادتهم وخروج نار من صدره بعد تقديم الأكرام لرجليه وحرقها جثته وحدث سحس عظيم وانشفاق كبير بسبب ما وقع من النزاع للحصول على عظامه التي كانت بيضاء كالدرّ وكانت تنضوع منها روائح سماوية (ومن قومه من قال انه مات قبل المسيح بخمسة مئة وثلاث وأربعين سنة)

وما يروون عنه انه جلس عند ولادته على الأرض والفتت الى جهات الدنيا الأربع فلم يجد احداً يعادله مطلقاً فصرخ قائلاً انا الاعظم في الدنيا انا رئيس الدنيا انا اشرف الدنيا وهذه ولادتي الاخيرة وقال عن ذاته انه عاش عدة اجيال في غير هذا العالم واعدّ لذاته كل الفضائل والامور اللازمة له في المستقبل وانتقل وسكن في السماء السادسة فضى اليه الآلهة وبرهم وطلبوا منه ان يظهر بالجسد في هذا العالم فقبل طلبهم وظهر في السنة المذكورة على هذه الحالة المحاضرة ثم اقام ٢٩ سنة في حالة الغنى العظيم و٦ سنين في حالة الزهد والتشف والسكنى في البرية ثم مضى وجلس تحت شجرة قائلاً انه لا يقوم من هناك حتى يصير رب الكون فاخذ البراهمة يبشرون به ويعظونه حتى ظهرت له خصم يدعى ماريا وحضر اليه بعساكر جرارة لكي يمنعه عن تملك الكون فلما رأى البراهمة وجميع احزائه ذلك هربوا وتواروا خوفاً منه فغضب ماريا من ذلك وجعل ظلمة حالكة على وجه الأرض حتى لم يعد الواحد ينظر الاخر الاً جسد بوذة فبقي منيراً اكثر من الف شمس فتقدم اليه ماريا قائلاً ما هي البراهمين التي تثبت انك اهل لهذا المركز الذي انت فيه اجابه ليس عندي شهود ولا براهين ولا انا محتاج اليها وفي الحال امر الأرض ان تظهر حقه وعند استماعها صوته ارتجفت ١٠٠ الف مرة وابتدأت تدور فلما رأى ماريا ذلك خاف وافرّ بسلطته واخفى مخجولاً وللحال ظهرت الآلهة والبراهمة لخدمة بوذة ومن ثم صار رئيس جميع الآلهة

وقاعدة هذا الدين الاساسية هي ان ارواح البشر والحيوانات كلها خالدة

فإنها كلها من مادة واحدة ولا تختلف إلا بالنظر الى الظروف التي يصير وضعها فيها وإن لا بد لهذه الأرواح من ثواب أو عقاب بعد الموت ويسمون دار الخلود جو كوراكف ومعناه السعادة الأبدية وعندهم أنه كما ان بين معبوداتهم تفاوتاً كذلك بين ارواح البشر فسعادة كل انسان تكون بحسب استحقاقه غير ان السعادة مثلاً ذلك المكان حتى ان كل انسان يظن ان قسمه منها اعظم قسم فلا يحسد غيره ولكنه يمتنى ان يكون نصيبه اعظم نصيب . ويسمون رئيس دار الخلود اميلا وعندهم انه يحب البشر ويحبهم وأنه اب الذين يدخلون دار السعادة ومعبودهم وبدون شفاعته وحده لا ينال البشر غفران الخطايا ولا يتمكنون من الحصول على السعادة المذكورة وعندهم ان لا سبيل الى الحصول على رضا ونوال مكافاته إلا بالتقوى والمحافظة على نوااميس معبودهم بوذة واساس هذه النوااميس عندهم خمس وصايا وهي (١) لا تقتل مخلوقاً فيه حياة (٢) لا تسرق (٣) لا تزن (٤) لا تكذب (٥) لا تشرب مسكرات شديدة التأثير

اما الذين يخالفون هذه النوااميس ويرتكبون الاثام فلا يستحقون ان يدخلوا دار السعادة بل ترسل ارواحهم الى دار الشقاء واسمها دسجوكف ليتعذبوا فيها ليس الى الابد ولكن بحسب ذنوبهم فانهم يعتقدون ان في العذاب تفاوتاً كما في السعادة وعندهم ان رئيس دار العذاب اسمه جيا وكذلك يسميه البراهمة والصينيون جرجيا ويزعمون ان في يد هذا الرئيس نظارة مكبرة ليرى جميع ذنوب البشر كما هي وعندهم ان العذاب لا يدوم اذ يمكن بواسطة تقوى اقارب المذنبين وفضائلهم في الارض تخفيف العذاب وافعل الوسائط لتقصير زمان العذاب صلوات خدمة دينهم والتقدمات التي يقدمونها لمعبودهم اميلا رئيس دار السعادة المذكور فان رضا بجملة على ان يجعل رئيس دار العذاب يطلق سبيل المذنب فيدخله الى السعادة الابدية

اما بعد الزمان المفروض لعذاب روح احدهم وإطلاق رئيس التعذيب

سبيله بدون تلك الوسائط التي ذكرناها فيسمح له بان يصير روح حيوان صفاته قريبة من ميله السابق فيصير روح حية او ضفدعة او طير او حوت او حمار او فرس او اسد وغير ذلك ثم ياخذ في الانتقال من جسد حيوان الى جسد حيوان آخر ارفع درجة منه الى ان يعود الى جسد انسان مرة ثانية فان سلك سبل الصلاح والتقوى يدخل السعادة الابدية والا فيعذب ويرجع الى التقيص على ما ذكرنا

وهذه القواعد المذكورة مبنية على تعاليم هذه الديانة يبطلان الطبيعة اذ ان آخر جملة نطق بها بوذة المذكور هو ان كل مركب فان والغاية هي خلاص النفوس من كل الاوجاع والمهموم بمنع دوران التقيص الذي يتم بمنع النفس عن ان تولد مرة اخرى والوصول الى هذه الدرجة يكون بارتفاع الانسان عن هذا العالم حتى يصير غير راغب في الوجود . وعندهم اربع حقائق متعلقة بالالم ومصدره وملاشاته والطرق الموصلة الى ملاشاته . الحقيقة الاولى هي ان الالم هو الولادة والعمر والمرض والموت ومصادفة ما تكرهه النفس والانفصال عما تحب والتقصير عن بلوغ المآرب والثانية ان مصادر الالم هي الاميال والشهوات والثالثة هي ملاشاة كل هذه الاسباب والرابعة الطرق الموصلة الى هذه الملاشاة وهي ثمانية اقسام (١) البصيرة الصحيحة (٢) الحسبة الصحيحة (٣) الكلام الصحيح (٤) العمل الصحيح (٥) المركز الصحيح (٦) النشاط الصحيح (٧) الذاكرة الصحيحة (٨) التاملات الصحيحة وهذه هي قاعدة الايمان واسم هذه القواعد طرائق الحقائق الاربع وتعليمها انما يكون بادارة دولاب الايمان اما اساس آدابهم فهو مجانية كل شر وعمل كل خير وترويض الافكار

وايس عدمهم خليفة فان العوالم عندهم هي من الازل في حركة دائمة تظهر وتلاشى والحقيقة هي في ان شيئاً يخلق شيئاً وهذا الدوران ليس له سبب ولذلك لا ابتداء وان اربعة اشياء لا يعرف قدرها ومقدارها (١) عالم بوذة (٢) الفضاء (٣) عدد الكائنات التي تنفس (٤) عدد العوالم وان من يؤمن بان للارض

حدًا أو بان ليس لها حد فقد كفر ونصف الأرض عندهم هو جبل سومرو .
 وإن من البشر من يعيش ٥٠٠ سنة وطولهم ٢٤ ذراعًا ومنهم من يعيش
 ١٠٠٠ سنة وطولهم ٤٨ ذراعًا . أما العوالم فمنها ما هو محاط بأسوار حديدية
 ولكل منها شمس وقمر ونجم وجههم . ويقسمون أيضًا السماوات إلى أقسام كثيرة
 وكميات مختلفة وإن الآلهة يسكنون في السماء السادسة والعشرين والثامنة
 والعشرين وعندهم جهنمات كثيرة ويؤمنون بالجان وإن الغيالات والجان
 والأرواح تصير بشرًا بالولادة

ويزعمون أن أصل الإنسان كان روحًا سمويًا ولما شرب من ماء هذا
 العالم اشتعلت فيه الشهوات وشعر بالاحتياج إلى الشمس والقمر اللذين لم يطلعا
 إلا عند ذلك وهكذا استغشى الإنسان شيئًا فشيئًا واشتدت فيه الأميال والطمع
 واختراع الفلك وهذا أتى بالكسل والبلل والحرب والسرقة وغير ذلك إلى أن
 وصلت الدنيا إلى ما وصلت إليه وأقل حياة يعيشها الإنسان هي ١٠ سنين
 وأكثرها ٨٠ سنة وهكذا يندى الدور من العشرة وينتهي في الثمانين عشرين
 مرة وهي مدة دوران الخطية

ثم بعد أن مات بوذا عقد تلاميذه مجامع ومجالس كثيرة وكتبوا كتبًا
 ورسالات فانتشبت بين تابعيه حروب كثيرة دموية بسبب اختلاف الآراء

— ١٥٣ —

فصل

في أخبار كنغوشيسوس وتلاميذه منسيوس

وبعد زمن قليل من وفاة بوذا المذكور أيضًا ظهر أحد فلاسفة الصين
 المعتبرين المسي بالغة اللاتينية كُون فُوتس ومعناها الأصلي المعلم المحترم إذ يقال

لثة بلغة الصين كون فوشو ويعرف بكفوشوس وفي الكتب العربية كنزة ولد في مملكة لول الصغيرة التي هي الآن بعض ولاية كتون من الصين في ١٩ حزيران سنة ٥٥١ ق م وهي السنة التي تسلطن فيها قورش ملك مادي وفارس فتكون ولادته قبل موت بوذا ببضع سنين وقبل ان ولادته كانت في سنة ٥٤٩ ق م وعلى كل حال يكون معاصراً لعزرا الكاهن الاسرائيلي المشهور وقد توفي ابوه واثم من العمر ثلاث سنوات فاهتمت امه بتعليمه وتربيته والظاهر انها غرست فيه ميلاً شديداً الى محبة الادب كما انها اهتمت بتعليمه ولما بلغ السبع عشرة سنة من عمره انتظم في سلك الخدمة السياسية ثم استعفى منها لما بلغ من العمر اربعاً وعشرين سنة ليقوم بواجبات الحداد على امه المتوفاة مدة ثلاث سنوات وفي تلك المدة انصب كل الانصباب على درس التأليف القديمة فحركه ما رآه فيها من الآداب الى محاولة ترجيع العادات القديمة وتعاليم الحكماء القدماء فشرع بالاستعداد للقيام بحق ذلك ولما بلغ سن الثلاثين انخرط في سلك المعلمين فذاع صيته في مدة قصيرة وازداد كثيراً عدد تلاميذه ومحبيه ولكي يوسع دائرة انتشار تعاليمه كان يذهب من مدينته الى مدينة واعظاً ومعلماً لللاهين وفي سنة ٥٠٦ ق م رجع الى بلاده وتسلم وظيفة سياسية وتبوأ مسند الصدارة العالي ولكنه لم يقم فيه غير مدة قصيرة لان حيل امير من الامراء المجاورين له الجأته الى الخروج من الخدمة العمومية والاقامة في المعيشة الخصوصية فذهب هو وبعض تلاميذه الى بلاد الاميروي وصرف بقية حياته في نشر تعاليمه ومات في سنة ٤٧٩ ق م وكان له من العمر ٧٢ سنة وذلك قبل ولادة سقراط الفيلسوف اليوناني باحدى عشرة سنة ولكنه نال حظاً اكثر من حظ سقراط المذكور اذ انه اشتهر جداً في مدة حياته وقدمت له الامة اعتباراً يكاد يكون كاعتبار الآلهة ولا يزال نسله الى هذا اليوم محفوظاً في رتبة مفرزة عن باقي الاهلين وقال بعض الكتبة ان عبادة هذا الفيلسوف هي الآن ديانة اهل الصين الشرعية لان الحكومة الصينية مع انها تبيح التعبد بسائر الاديان لا تساعد رسماً إلا

عبادة كن فوشو فقط وفي الصين نحو ألفي هيكل على اسمه وعلى مذبحه الخاصة
تقدم يومياً تقديمات لا تحصى من الأثمار والخمالي والشاي والخور وبذبح أيضاً
أكراماً له نحو ٦٠ ألف ذبيحة سنوياً من خنازير واراناب وجميع المعلمين والعلماء
يحترمون اسمه وكل ولد عند دخوله إلى المدرسة لابد أن يركع أمام صورته
المعلقة على حيطانها والتلاميذ يحرقون بخوراً أمام مذبحه صباحاً ومساءً ويرتلون
ترنيمات في مذبحه يقولون فيها يا كن فوشو يا كن فوشو ما اعظم اسمك يا كن فوشو
وكذلك يكتبون على الواح من الرخام ويضعونها في كل قرية هكذا "مقر
نفس أشهر علماء القدماء . وهذا لذكر رئيس عشرة آلاف حكيم . وهذا لذكر
كن فوشو المتأله معلم الازمنة القديمة الاقدس" وكذلك يعلمون صورة
تلاميذه الاثنين والسبعين في المواضع العالية من الهياكل وجميع الولاة والحكام
والمشاخ يلتزمون ضرورة أن يقدموا له العبادة يومياً وإن يفصوا من جهة
معرفتهم بكتبه الخمسة التي ألفها وشريعة الملكة مبنية على امثاله وشرائعه المدونة
فيها ولا يجوز لاحد ان يتلفظ باسمه وإذا صادف احد ذلك الاسم وهو يطالع
في الكتب وهو في لغة الصين كيؤ فلا يقول كيو بل مؤ ويقولون ان غاية هذا
الفيلسوف الوحيدة هي ان يفتح عين ربوات الاجيال وليرعد في آذان الوف
الاجيال ويبرق على نظر الذين سوف يحيون تحت السماء

ومع كل ذلك لم يتكلم هذا الفيلسوف في شيء من العقائد الدينية بل
اجتهد كل الاجتهاد في تنظيم طفوس منفصلة وإقام تعاليم من الحكمة الادبية
فان في كتبه الخمسة المذكورة التي ألفها في ما علم به من جهة نسب الانسان
الخمس والفضائل الخمس تكلم على النسبة الاولى وهي ما بين الملك والرعية
والثانية ما بين الوالدين والاولاد والثالثة ما بين الرجل وامرأته والرابعة ما
بين الاخوة والخامسة ما بين الاصحاب . ولم يذكر بين هذه النسب النسبة الاولى
والعظى التي هي بين الانسان وخالفه . واما الفضائل الخمس فهي المحبة والبر
والاحشاش والمعرفة والايمان وقيل بل هي السخاء والعدل واللاطف والحكمة

والبساطة وكذلك لم يعط فيها أمراً ولا رأياً بخصوص واجبات الانسان نحو الله بل يقول احترم جميع الآلهة ولكن ابعدهم عنك وقال ايضاً ملعون هو أول من صنع صنماً . ثم لما مرض واشرف على الموت زاره صاحب الهه يقال الهه صي او وطلب منه ان يصلي فجأوبة هل يليق ان اصلي . قال نعم حيث قال صلوا للآلهة السماوية والارضية فقال الهه انني قد صليت منذ زمان طويل

ثم بعد موت هذا الفيلسوف قام بعده رجل آخر على مذهبه اسمه مان فوتس وهو المعروف باسم منسيوس ولد في اثناء سنة ٢٠٠ قبل الميلاد وتوفي سنة ٢١٤ ق م وأنزل منزلة استاذ من الاكرام . قال بعض المؤلفين ان لهذا الرجل واستاذ المذكور تصانيف كثيرة في الفلسفة العقلية وهي في غاية الاعتبار عند اهل الصين الى يومنا هذا وأكثر قواعدها الادبية مدوحة عند الذين اطلعوا عليها من الافرنج وقد تُرجم بعضها الى اللغة الفرنسية والانكليزية

فصل

في ما وصلت اليها اخباره من معتقدات فروع الديانة البوذية المذكورة

الفرع اللاموي وهو ينسب الى لاما رئيس اهالي البلاد المعروفة عند اهالي اوربا بالتيبت وفي ممتدة من ينبوع نهر الاندوس الى تخوم الصين وعدد اهاليها ٦ ملايين من النفوس

واصحاب هذا الدين يؤمنون بالله واحد وبالثلوث وبالجنة وجهنم وبالمظهر على ما سبقت الاشارة اليه فيما مر غير ان ايمانهم غير واضح وفي اعتقاداتهم ان الروح لا تترجح فانها عند خروجها من الجسد تنطلق الى جسد آخر اما معبودهم الاصلي فيسميه الصينيون فو ويسميه اللامويون الذين نحن

بصدهم "لا" وهو اسم ملك ولد قبل المسيح بالف وست وعشرين سنة وأنه كان يملك في الهند وسمى نفسه نشاتشور وسبتين وأدعى أنه اله متجسد ويزعمون أنه عندما مات لم يمض إلا ليغيب مدة قصيرة ثم يعود وأنه عاد وهو لا يزال حياً في جسد لاما العظيم ليتمكن القوم من عبادته

وهذا يقيم في مكان يسمى باتولي وهو قصر متسع جداً بيته وبيت لاسا ٧ أميال ولا يرى إلا في مكان سري من قصره ويقال عنه بأنه جالس مربع الرجلين في وسط مصابيح كثيرة ولابس من الحلي الذهبية والجواهر ما يفصله عن القيام بوصفه والذين يفوزون بالدنوم من ذلك المكان يلقون أنفسهم على الأرض احتراماً له وهم يعبدون عنه لأنه لا يجوز لأحد أن يقبل رجلاً ومع ذلك لا تبدو حركة منه تدل على أنه قد سرّ بعلمهم ولو كان فاعل ذلك أحد الأمراء بل ولا يمن عليهم بأقل الالتفات لأنه لا يمتنع أعظم الرجال باستماع كلمة واحدة من كلامه وإذا تمكن أحد أولئك العظام من أن يفوز بالاقتراب منه ليضع يديه على رأسه لا يكفه ولكنه بعد الحصول على بركته يوضع يديه على رأسه يخرج وهو معتقد بأنه قد نال غنائماً ثامناً. وكثيرون من الهنود يذهبون إلى قصره للقيام بزيارة تكفيرية وأما عظماء أهالي بلاده فيفرغون جهدهم للحصول على شيء قليل من غائطه أو من بولهم فانهم يضعون الغائط في كبس ويلبسونه في أعناقهم ويضعون من بولهم في مآكلهم وعندما ان ذلك يحميمهم من الأمراض وقد تقرر أن اللاويين الصغار وسوف يأتي ذكرهم بنالون هبات كثيرة من العظماء والأعيان ليطعمهم شيئاً قليلاً من ذلك ويرفعون في قمة جبل قصره شيئاً منه لصيانة البشر والمواشي حتى أن جميع الملوك المتدينة بدينه يرسلون إليه سفراء عندما يجلسون على تختهم ليطالبوا بركته هذه للفوز بالسعادة والتوفيق إذ لم تنحصر عبادته هذا اللاما بأهالي البلاد التي هو مقيم فيها فقط ولكنها ممتدة بين قبائل كثيرة من التتر الوثنيين حتى أن نفس إمبراطور الصين وهو في الأصل من التتر يحترمه احتراماً دينياً ويذل أموالاً كثيرة للقيام

بصاريف سفيرة يقيم عنده في باكين عاصمة الصين
ثم ان القريبيين من مركز هذا اللاما يعتقدون فيه بانه الرئيس الاول
الديني وفيه روح الاله على ما ذكرنا واما البعيدون عنه فيعتقدون بانه هو الله
ويسمونه لاما كنجواي الآب الازلي ويسمونه ايضا رئيس الروساء ولاما اللامويين
هذا عند قطع النظر عن كونه المعبود وملاحظة وظيفته الدينية اما عندما
يلاحظون وجود معبودهم فيه فيقولون انه الآب الساوي وبصفوته بجميع صفات
المعبود ككونه ازلياً وعارفاً بالضائر وفاحص القلوب وانه لا يموت ومنتع بجميع
الفضائل ولذلك ياتونه من اماكن بعيدة ليعبدوه ويقدموا له التذمات
وعند المتدينين من اهل تيبه انه عند ما يموت اللاما العظيم من كبر
السن او غير ذلك فيكون قصده ان تخرج روحه من مسكن ضعيف لتدخل
مسكناً اقوى وانسب لها ولذلك ياخذ اللامويون الصغار الذين مر ذكرهم
في ان يفتشوا كل البلاد على الطفل الذي يكون سكن فيه ولهم للتوصل الى
معرفة علامات جسدية كما كانت كهنة المصريين يفتشون على العجل المسمى
ابيس . وخلاصة الامر انهم يجدونه ويشيعون بان روح اللاما قد دخلت فيه
وقد قال طبيب من اللامويين انه عندما يطعن اللاما المذكور في السن
ويصير قريباً من الموت يجمع مجلس مشورته ويقول لاعضائه انه اخذ في
الانتقال الى جسد ولد صغير ولد قبل ذلك مدة قصيرة وانه بعد ان ياخذوا
ذلك الولد ويربوه باعناء عظيم الى ان يصير عمره ست او سبع سنوات
يقدر ان يتحنوه بوضع رزمة اثاث من اثاث اللاما السابق فيميزاثاث اللاما
عن غيره وان ذلك برهان انتقال روحه اليه
والاما المذكور نحو ٢٠ الفا من الكهنة الخاضعين له ولهم منازل عند
حضيض الجبل بالقرب منه وتلك المنازل مخصصة بهم وفرهم من مركز رئيسهم
او بعدد من عنده انما هو بحسب رتبهم الدينية
اما اعوانه او خدامه فيسمون باللامويين الصغار وسلطانهم انفذ سلطان

في البلاد ولم منازل مخصوصة بهم وهم على الغالب مفسودو الاخلاق ومع ذلك لهم المركز الاول ومحترمهم الملوك والعظام وينقاد الشعب اليهم انقياداً اعمى. ومنهم من يعرف شيئاً من الطب ومن علم الفلك ولم مدارس لتعليم فروع الدين ونواميسهم ومعاشهم انما هو بالهدايا التي ترد اليهم من جميع البلاد من اقاصي الشرق فان سلطان رئيسهم المذكور مع انه سائد منذ ٢٠٠٠ سنة لم يضعف بل هو نافذ في امبراطورية المنغول الواسعة وفي اكثر البلاد الهندية علاوة على بلاده وما يجاورها من بلاد الصين وغيرها ومع ان اهالي الصين وجزائر الهند قد اقاموا كمنة من بينهم منذ قرون كثيرة وقد خلطوا هذا الدين بدبت بلدانهم فلا تزال بلاد التبت واكثر بلاد التتر خاضعة له في الامور الدينية

وحيث ان اللاما المذكور لا يقدر ان يسوس مملكته الدينية نظراً لاتساعها بدون وكلاء واسمهم هونكتوس ولا يكونون اكثر من مئتي رجل واپس لهم اماكن مخصوصة للاقامة فيجلون ايضاً ارادوا ويجمعون اموالاً كثيرة في زمان قصير بواسطة هدايا الذين يعبدونهم بالوكالة عن رئيسهم لاما المذكور

الفرع البورمي وهو ينسب الى مملكة بورما من بلاد الهند الصينية اهلبا نحو ٢ ملايين ونصف يتفقون في امر الزواج مع الصينيين فلا يكون للرجل منهم اكثر من امرأة واحدة شرعية لكنه لا يقتصر عليها بل ياخذ من الجواري بقدر ما يشاء ويتفقون مع الدين البرهي بكونهم يحرقون جثث موتاهم ثم يجمعون ما نحصل من الرماد والعظام ويدفنونه

الفرع الغداعي وهو ينسب الى اله يعبدونه يسي غلاماً ويعتقدون بالتناسخ مثل البراهمة على ان النفس بعد التقمص في الوف من الاقصة تتلشى في الذات الالهية لكن قبل هذا التلشى يكون قبضها الاخير جنة فيل ايض وقال بعض الكتبة في كلامه على معتقدات اهالي سيام انهم يعتقدون بان في كل حيوان ايض روح رجل عظيم ميت او روح ملك من الملوك المتوفاة فعندما يرون

ديكاً ايض يكتشفون رؤوسهم ويحنونها اجلالاً لها ويخصصون بالاكرام الفيل
الابيض القليل الوجود في العالم لانهم يظنون ان روح ملكهم تحل فيه قبل ان
تلاشي في المات الالهية ولذلك يلتزم ملك سيام ان يقتني فيلاً ابيض يسكنه في
قصر بالقرب من قصره فانهم يضيفون الى ما ذكر من اعتقادهم فيه ان سعادة
البلاد وراحتها تصدران عنه حتى اذا مات الفيل الذي عند الملك يتزلون
الملك عن ملكه بعد موته بسنة وقيل انهم يدفنون معه ولذلك كان الملك
شديد الاهتمام بهذا الفيل الذي يسمونه شنفاجي وهو لقب ملكي معناه عظمة
ويكون قصره المذكور فاجراً جناً فيه من الاثاث الثمين ما يقصر التلم عن
وصفه وهو كقصر الملك اذا لم نقل احسن منه ويقيمون له نحو ١٠٠٠ نفر خداماً
وطباء من العظماء ليقومون بخدمته وملاحظته على الدوام ويلبسونه ثياباً فاخرة
ويطوقونه بطوق من ذهب ويضعون على راسه تاجاً ذهبياً مرصعاً بياض
الجواهر وآنية آكله وشربه من الذهب وكل يوم يفودونه الى الحمام فيسير جمهور
غفير امامه ووراءه المشدودون واصحاب آلات الطرب ويتسابقون الى حمل
المظلات فوق ظهره ولا يخرج العظماء من حضرته ما لم يحنوا رؤوسهم اجلالاً له
ويغذونه بانقى الحلوى والمأكول واذا مات بصطادون غيره ويدخلونه الى
المدينة فيلقيه الملك ووزراء الدولة وعظماء القواد ووجوه البلاد واعيانها
الفرع القوي وهو فرع او مذهب مخصوص احدثه قوة ملك الصين في
سنة ٥٢ بعد الميلاد فسمي دين قوة نسبةً لهذا الملك الذي اعتقدوا فيه الالهية
ويرون انه منجي الناس من الذنوب

الكلام على السيتويين

اما الديانة السيتوية ومعنى سيتو تابع الآلهة فان مصدرها بلاد اليابان
التي هي مجموع جزائر جهة شرقي الصين في الاوقيانوس المحيط وعدد سكانها مع
باقي الجزائر الموجودة هناك يبلغ نحو ٥٠ مليوناً من النفوس البشرية واعظم هذه

الجزائر جزيرة يابان المذكورة وجميعهم في الغالب يشبهن أهل الصين في الهيئة والعوائد

قال بعض المؤلفين ان من نظام ملكة يابان عدم التعرض الامور المذهبية ما دامت لا تخل براحة الامبراطورية وسلامتها وهذا هو السبب في سهولة نشر الاديان الخارجية فيها مع انها اخرت الاديان القديمة جداً وكانت فيها اربعة اديان الاول سينتو الذي نحن بصدده وهو الدين القديم ومؤسس على عبادة الاوثان . والثاني بدسودو (اعني الديانة البوذية) وهو عبادة اصنام اجنبية اتى بها من سيام والصين وقد سبق الكلام عليها . والثالث سموتو وهو تعليم حكائهم واهل الادب منهم . والرابع دفيوس او كريستاندو اي دين المسيح . واقدمها الدين الاول واتباعه ليسوا باكثر من اتباع غيره واهما الدينان الاولان وهما السينتوي والبوذي فانهما اعم الاديان

وذكر بعضهم ان الخواجه ميلن الفيلسفي يقول ان ما اخبره من جهة ديانة اهل تلك الجزائر وتعاليمهم هو ان الديانة المسيحية كانت امتدت منذ القرن الاول حتى بلغت الى تلك الاطراف عن طريق الهند ومنها علوا طريق الفداء بواسطة ابن عذراء قدم نفسه فدية عن العالم وتعلموا ايضا عن الثالوث الاقدس وبعد ذلك رفضوا ما تعلموه حتى انه لم يبق منه شيء لانتهى كلامه . والظاهر انه لاحظ هذه القضية من تعاليم المعتقد البوذي التي سبقت تفاصيلها لاتشار هذا الدين هناك على ما ذكرنا . واما زمان دخول الدين المسيحي الى هذه الجزائر على ما هو معروف فانه كان في القرن السابع عشر بواسطة خدمة المذهب الكاثوليكي واكثرهم من اليسوعيين وانتشر بسرعة انتشارا غير مؤسس على فهم المحتائق الدينية . وفي سنة ١٦١٥ م عرف امبراطور يابان بانه قد تدخل اليسوعيون في امور سياسية فغضب جداً وامر بابطال هذا الدين ونفى خدمته المذكورين وعين اعظم قصاص للذين يتنصرون فرجع اكثر الذين كانوا قد تنصروا وبقي البعض منهم مسيحيين فجرى عليهم اضطهاد من اعظم اضطهادات

العالم ومنذ ذلك اليوم اشتد بغض الاهالي لكل شيء نصراني غير ان مداخلات ملوك اوربا غيرت في هذا الزمان اموراً كثيرة ولا زالت تغير

واما الديانة السينتوية فقد ذكرنا بان مصدرها هو بلاد اليابان وهذه البلاد كانت تعبد في الازمنة القديمة الشمس والعناصر ولا يزالون يعبدون الشمس وقيمون لها مثالا في كل الهياكل السينتوية من الاجسام الشفافة او المرآئي ومن الطفوس التي لا تزال محفوظة في هذه البلاد هي الطفوس العجيبة القديمة الهندية الموجودة في كتبهم الدينية وهي الرمز الذي كان يرمز اليه تقديم الخيل ذبيحة لان القدماء كانوا يعتبرون الحصان رمزاً يرمز الى الكائن الاول العمومي ولما قالوا ان هذا الكائن انما هو الشمس قالوا لا بد من ان يكون الحصان من اعوانه وهكذا يقدم اليابانيون العبادات الدينية الى تن زيود لي زن وفي بعض الكتب تنسوديزن اي الى ذلك الذي يرسل اشعته بواسطة اقامة حصان وامثاله في هياكله ولذلك يقيمون في كل هيكل من الهياكل السينتوية صوراً كثيرة من صور هذه الافراس المقدسة عندهم ويعلفونها على حيطان هياكلهم وهكذا كانت الشمس موضوع اعظم العبادات الدينية عند الذين يعتقدون بالتعاليم السينتوية

وبراد بالتعاليم السينتوية العبادة الروحية لان هذا الدين ولئن كان يعلم بوجود اله واحد خالق كل شيء نظير باقي الاديان التي مر ذكرها وينسبون اليه جميع الصفات الكاملة غير انهم يزعمون بانه منزّه عن الامور الدنيوية وقد سلمها لالهية غيره كما هو شأن من عداهم من الوثنيين ولذلك يعتقدون بوجود عدد لا يحصى من الارواح التي تدبر مهام العالم ويحصل المتعبدون على رضاها بواسطة الصلاة والقيام بحق حفظ بعض قوانين مما يتعلق بالسلوك والنظافة وطهارة القلب وسروره ويسمونهم سوكامي ومعناها ارواح ويسمونهم احيانا بالعالين والمندسين والعماديين والغبوريين وهم دون الشمس في العبادة التي يستعملونها لكونهم معدّين لاجل خدمتها المتنوعة اذ منهم من خصّ بالسلام

ومنها من خصّ بالفهم ومنها بالكلام ولذلك كانت أكثر عبادة التجار منهم لاربعة
معبودات وهي (١) جيسيو الذي يزعمون ان اخاه تنيسوديس نفاه الى جزيرة
سكن فيها وعندهم انه كان يعيش بومين او ثلاثة ايام تحت الماء وهو معبود الصيادين
والذين اشغالهم في الجار وتمثاله عندهم جالس على الصخر وفي يده آلة توقيف
مسير القوارب . الثاني داكوكو وعندهم انه حينما ضرب بمطرقة يخرج ما يرغب
في ان يخرج من الارز والمال والملبوس وغير ذلك وتمثاله جالس على قفة من
الارز وفي يده المطرقة ومجانبه كيس لوضع ما يخرج . الثالث اسمة توسيتوكي
ويعبدونه في اول السنة ليماركم بحيث ينالون فجاجاً وتوفيقاً . والرابع فولي وهو
الفنى والصحة والسعادة . وهذه المعبودات اعمّ معبوداتهم واسمها وهي بعد العناصر
ويسمونها واي زن اي الارواح الكبيرة . اما الارواح التي هي دون هذه فهي كثيرة
جداً وهي على الغالب ارواح الابطال والجهنميين الذين تأهلوا باعمالهم العظيمة
او صفاتهم الحميدة واشهرها عندهم واعظها فانس مان اله الحرب وهو امبراطور
اليابان السادس عشر المتأله عندهم يزعمون انه ولد ولادة في معجزة ويحترمه
كل اهالي المملكة ويصنعون له صورة يتميز بها وهي انهم يرسمون صورة تدل
على شخص مهبب كانه نازل من السماء راكباً على خنزير عظيم الجثة ويده آلة
الحرب

وعندهم ان المعبود الاول السائد على جميع المعبودات والمخلوقات ساكن
في اعلى السموات وان المعبودات الثانوية ساكنة بين النجوم ومع انهم يعتنون
كل الاعشاء بعبادة المعبودات التي يعتقدون بانها تدبر احوال العالم على ما
ذكرنا فلا يعبدون هذه المعبودات المرتفعة ولا يقيمون لها اعياداً كما يقيمون لمن
هم دونها اذ انه مقرر عندهم ان معبودات مرتفعة بهذا المنزلة من الارتفاع عن
البشر لا تهتم باحوال مخلوقات خنيرة كال بشر على انهم يحلفون بها ويكتبون
اسماء ما في حلفهم الرسمي وانما عبادتهم وطقوسهم هي متعلقة بتعظيم المعبودات
التي يزعمون بانها متسلطة ادارة احكام بلادهم واهوال محصولاتها وعناصرها كالماء

غيره وحيواناتها اذ انهم يعتقدون بانها هي التي تقدر ان تاتيهم بالشفاء والسعادة
ان تمكثهم من الحصول على امور حسنة في الآخرة بحسب اعمالهم

وقال بعض الكتبة ان قاعدة هذا الدين هي التمتع بالسعادة في هذا العالم
لانهم وان كانوا يعتقدون بخلود النفس والدينونة والمجازاة الاخيرة بوجود الجنة
وجهنهم وينكرون التناسخ الذي هو اعتقاد اكثر الشعوب الشرقية الا ان ذلك
غير واضح عندهم لانهم اولاً لا يذبحون الحيوانات النافعة لخدمة البشر ويقولون
انه لا يفعل ذلك غير الكنود الفاسي . ثانياً لا يدركون حق الادراك متعلقات
الثواب والعقاب وانما يقولون ان انفسهم تذهب الى مكان سعادة تحت ٢٣ سماء
لمعبوداتهم وان انفس الصالحين منهم تدخل ذلك المكان حالاً اما ارواح
الاشرار فتُمنع عن الدخول الى ان تكفر عن خطاياها فهذا كل ما يعتقدون
به من متعلقات الآخرة والثواب والعقاب

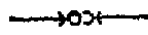
وكما انهم لا يعرفون اماكن العقاب غير ما ذكرنا كذلك لا يعرفون شيطانات
غير شيطان الثعلب اي الذي يعتقدون بانه ساكن فيه لان الثعلب في يابان
اكثر عدداً على المزروعات والاهالي يخافونه اذ يعتقدون بان فيه شيطانات حتى
ان بعضهم يقول ان الاشرار بعد موتهم ينتقلون الى الثعالب وخدمة دينهم يسمونه
الروح الشرير

والاعتماد عليه في دينهم خمسة امور اولها وجود نار طاهرة عندهم علامة
واسطة للتطهير . الثانية التطهير وهو اما روحي والمراد به الخضوع التام الى حكم
العقل واما جسدي والمراد به الاحتباس من كل شيء نجس كالدم واكل بعض
اللحوم ومعاشرة السفهاء واستماع الكلام الفج . الثالثة حفظ الاعياد الكثيرة .
والرابعة الحج الى الاماكن التي يحسبونها مقدسة وهي تبلغ الى ٢٣ مكاناً اعظمها
المكان الذي فيه الالهة الشمس وهذا المكان الذي لا بد لكل انسان منهم ان
يزوره في كل سنة . الخامسة عبادة الالهة في الهياكل والبيوت وعند بعض
المتدينين جداً ان قهر الجسد هو من الفروض ايضاً

اما قوانين طهارة القاب وسروره التي تكررت الاشارة اليها هنا وفي بدء الكلام على التعاليم السيئانية عندهم فهي عبارة عن الفروض الموضوعة بامر الرؤساء الروحانيين او السياسيين واما طهارة الجسد التي ذكرنا بان المراد بها الاحتراز من كل شيء نجس كالدم وغيره فان تفاصيلها هي هذه . الامتناع عن مسّ الدم وعن اكل اللحم وعن لمس الموتى والذي يتنجس بشيء من ذلك لا يقدر ان يدخل الهيكل ولا يزور الاماكن المقدسة ولا يجوز دخول النساء الى الهيكل في ايام الحيض وعندهم ان النساء اللواتي يذهبن لزيارة اوجي (محل زيارة معروف بهذا الاسم) ينقطع حيضهنّ وعلاؤه بعض الكهنة فقال ربما كان ذلك مسببا عن شدة انعاب السفر الطويل او من اجتهاد اللواتي ينقطع حيضهنّ طبعاً فيرغبن في ستر الامر خوفاً من العار انتهى . ثم ان كل من ياكل لحماً من حيوانات من ذوات الاربع يبقى نجساً ثلاثين يوماً اما الذي ياكل لحماً الايل فلا يتنجس والذي ياكل الطيور يكون نجساً ساعة واحدة بابانية (وهي قدر ساعتين من ساعاتنا) والاستثناء لطير البازي وطير آخر . اما من يقتل حيواناً او يحضر قتل انسان او موت انسان او يدخل بيتاً فيه ميت فيكون نجساً يوماً واحداً وهو اليوم الذي يرى فيه ذلك ومن اعظم اسباب التنجس موت الاقارب وكل ما كان الانسان اقرب الميت يكون تنجسه اعظم وعندهم اذا قصر الانسان في القيام بهذه الامور ينحسر الطهارة الجسدية ومعبوداتهم لانحب الثباسة ولذلك لا يسوغ لمن كان كذلك ان يدنو من هياكلهم

اما الطلبة الذين يريدون ان يتعلموا امور الديانة ليصيروا متدينين فيلزمهم ان يتعلموها من فرقة من فرق الكهنة عندهم نسي ميكاووا اتخذوها لتكون واسطة بينهم وبين تلك الالهة العظيمة المستحقة للعبادة التي يعتقدون بانها لا يمكنهم الاقتراب اليها وهذه الفرقة تنسب عندهم من حيثية السلالة الى الالهة الخالقة المذكورة ويلزمهم ان يدفعوا اجرة على التعليم ولا يتعلمونه الا اذا تعهدوا بكم ما يتعلمونه ولا سيما القانون الاخير المتعلق ببناء كل المخلوقات فان ذلك القانون

لأنهم الكهنة المذكورون الآن بعد ان يتعهد الطالب بالكتابة تحت اسمه وختمه
بانه لا ينجس تلك الامور المقدسة عندهم والعالية باظهارها للعامه الجاهلة وهذا
القانون في كتابهم المسمى اوداكي وترجمته في ابتداء فتح كل الاشياء كان الخلود
والخوا سامحين كما تسبح الاسماك في البحر المنزه فخرج منها شيء متحرك وقابل التغير
فصار ذلك الشيء نفساً او روحاً واسمه كونيتوكودا تسنو ميكونو



فصل

في ما وصل اليها من اخبار معابد ومناسك وطقوس الديانة البوذية
وفروعها والديانة السينتوية بوجه الاجمال

من المعلوم بان جميع عبدة الاوثان يتخذون تماثيل لآلهتهم ويضعونها في
الهياكل والبيوت والمنازل لاجل العبادة ويتقربون اليها بالصلوات والتقدمات
عن يد الكهنة المعينين لخدمة الدين عندهم كما يستبين ذلك ما ذكر انفاً ومن
التفاصيل الاتية ايضاً وكثيراً ما يصرفون اموالاً جسيمة على اصطناع هذه
التماثيل وزخرفتها وتزيينها ولها في بلاد الصين معامل مخصوصة تصطبغ فيها
هذه التماثيل من الصيني ايضاً منها ما هو مختص بالعبادة ومنها ما هو لزيينة
البيوت ومنها ما هو لاجل لعب الاولاد لكي يالفوها ويعتادوا على محبتها في صغرهم
فلا ينشرون منها متى كبروا. غير ان هذه التماثيل التي للعب الاولاد لا يكرسونها
كما يكرسون ما يستعملونه للعبادة منها وقد يكون من الاصنام المعدة للعبادة ما
هو طويل هائل فقد ذكر بعضهم انه يوجد في مدينة من مملكة سيام صنم هائل
طوله ٥٥ ذراعاً ودائرة منطقتيه ١٢ ذراعاً وطول اصبع رجلاه ذراع ونصف

وهو معمر من حجارة مغطاة بالذهب وموضوع في احد الهياكل الواسعة وقد اضطر الذين صنعوا هذا التمثال لصرف عدة ملايين من الاموال ومدة من السنين مع الاجتهاد الكلي في عمارته

وجرت العادة عندهم وخاصة في بلاد يابان ان تكون مراكز خدمة دينهم مبنية في اجمل مواقع البلاد وعلى الغالب هي في المدن الكبيرة المهمة او بالقرب منها ويكون امام هياكلهم طرق واسعة على جانبيها شجر السرو وقد تكون هذه الهياكل مركبة من طبقات كثيرة لكنها ضيقة المساحة وتختلف في الزخرفة والرونق والاعتبار نظراً لما يوجد فيها من الذخائر المقدسة عندهم . ومن ذلك هيكل مذبح السماء في مدينة باكين قصبة مملكة الصين موقعه في وسط جنبه واسعة مزينة وفيه ثلاثة مذابح معتبرة الاول مذبح السماء والثاني مذبح قبة السماء وفيها تماثيل ومساجد مستوقة بالقرميد الصيني الملون بالذهب اللامع وحولها بلاط واسع من الرخام الابيض وفيها تقدم صلوات لاجل الطقس الجيد والمواسم الحسنة وتعبد الشمس والقمر والنجوم وفي جنوبي الجنبه يوجد المذبح الثالث وهو عظيم جداً واسمه مذبح السماء العظيم وهو محاط بنفسه بلاط واسعة ولكن ليس حولها مسجد ولا تماثيل ولا صور ولا صنم لانه مذبح الاله غير المنظور المسمى عندهم شينكي يزعمون ان عبادته تسلسلت بينهم سنة ٢٢٠٠ ق م فيكون ذلك بالقرب من الزمن الذي تفرق فيه بنو نوح على سطح الارض . وقال بعضهم ان هذا الدين هو دين العلماء الذين لا يعتقدون الا بالوهمية التلك او السماء ويتفرعون بالمذبح النجوم وهو دين الدولة ايضاً اه . وعلى هذا المذبح يقدم الصينيون في كل سنة طقوساً وذبائح عجيبة دموية لشينكي المذكور وطريقة ذلك هي انه في ٢١ كانون الاول من كل سنة يتقدم ملك الصين باحتفال عظيم مع الوزراء والروساء ويمارس وظيفة رئيس الكهنة في ذلك الوقت فيندمون ثيراناً وعجولاً محرقات لهذا الاله المجهول ويحرقون ايضاً اوراقاً مذهبة وحريراً وقطناً ونخوراً ويرتل المنزلون ترنيمات تسبحة

وفي مدينة نانكين توجد قبة قديمة جداً تعدُّ من العجايب علوها ١٢١ ذراعاً وهي تُقسم الى ١٠ طبقات مبنية بالفرديد ودائرة الطبقة الارضية ٦٠ ذراعاً ثم تأخذ تستدق شيئاً فشيئاً حتى تنتهي الى راس قياسه ذراع واحد وخارجها جميعه مغشى بالصيني الخالص ومصفحة من داخل بالذهب ومאוذة اصناماً صغيرة مذهبة ولكل دائرة رفٌّ معلقٌ على دائرته اجراس عددها ١٢٥ جرساً وعليها ١٢٨ مصباحاً وقد تمَّ بناؤها سنة ١٤٢٠ م وكانت مدة الشغل فيها ١٩ سنة ويصعد الى قمته بمئتي درجة من داخلها على شكل اواب وقد حُسبت مصاريفها فكانت ٢٣١٢٩٧٨ ريالاً ويوجد فيها جسد بوذة الهم العظيم

وفي مدينة كنتون كثير من الهياكل وبيوت العبادة وفي احد هياكلها قد حفظ ظفر من اظفار بوذة المذكور ايضاً

وفي مدينة خيوى بالقرب من البحيرة الغربية يوجد هيكل فيه ٥٠٠ اله ولكل اله صنم مخفي به وهذه الاصنام مصطفة في الهيكل واصغرهما على علو قامة الانسان واكثرها ملبسة بالذهب وكثيرون من الناس يقصدون هذا الهيكل لاجل العبادة

وفي بلاد يابان يسمون الهياكل السينتوية ميَا اي القصر الملكي او المنزل الملكي . وفي بعض النشرات معناها مسكن الارواح الخالدة . ومنها اسم قصبتهم ميَاكو التي هي منزل امبراطورهم الروحي الذي يعتبرونه كانه اله حي لابس الجسد وجرت عادة اليابانيين في عبادتهم التي يقدمونها في الهياكل ان يغسلوا اجسادهم ويلبسوا احسن ملابسهم وثوباً مخصوصاً بالاحتفالات الدينية ثم يسبرون برزانه الى فسيحة الهيكل ويغسلون ايادهم من بركة توجد هناك اذا مست الحاجة الى ذلك ثم يسبرون الى نفس الهيكل وهم مطرقون الى الارض ولوايح الورع والاحترام تلوح على وجوههم ويصعدون على الدرجات المؤدية الى داخل الهيكل وهي وافعة امام نافذة الهيكل وداخلها مرآة من البلور الصافي فيجثون هناك على ركبهم ويحنون رؤوسهم بتأنٍ وانضاع وتذال ثم يرفعون رؤوسهم

وهم راكعون ويلتفتون الى المرأة ويصلون صلاة قصيرة ويطلبون طلباتهم وبعد ما يقدمون تقدماتهم يقرعون الجرس ثلاث مرات فانهم يعتقدون بان معبوداتهم تسرُّ جداً بصوت الآلات الموسيقية وعندهم ان الجرس منها

ومن عادة الصينيين انهم قبل شروعهم في شغل مهم يستشيرون الاصنام وذلك بطرق مختلفة ولكن الاكثرين منهم يستعملون رمي قرنين في الهواء فوق رؤوسهم قدام الصنم وتكون القرون من النصب كل منها له وجهان احدهما محدب والثاني مقعر فاذا حدث انه عند وقوعها الى الارض يكون الوجهان الظاهران متشابهين فتكون الطلبة مقبولة اما اذا اختلفا وكان احدهما محدباً والثاني مقعراً فلا تكون مقبولة

وفي بلاد اموي من بلاد الصين يوجد لكل انسان اله خاص يصلي له ويعبدُه ولكن حيث ان اشغالهم كثيرة ولا تمكنهم من وقت كافٍ لتقديم ما يجب عليهم من العبادة فيكون احد الخناجين بذلك وقد يكون امرأة ارملة تتوكل من قبل جيرانها وتجول من بيت الى بيت وتقدم ما يانم من الذبائح والتقدمات لآلئائه الخاصة

واذا حصل في بعض السنين قيظ فيقدمون صلواتهم وطلباتهم بطرق مختلفة طلباً لله طرّاً وأكثرها بوجهونها للثنين الصيني الذي يزعمون انه اله المطر. يبكى انه في سنة ١٨٦٨ م حصل قيظ عظيم في شالي الصين فكان الاهالي يكتبون على اوراق ملوَّنة باحرف كبيرة ما معناه بلغنهم "حقاً هذا المطر جيد. يا اله من مطر غزير. ما اجمل هطول المطر. نطالب من السماء ان تنطر كثيراً". ثم يعلقون تلك الاوراق فوق الاسواق وعلى الجيطان وصنع الاولاد تينياً من التراب طوله ذراعان والبسوة اصداًقاً نهرية كناية عن القشر الذي يوجد في جلود التناين وعلى له سريراً من الخشب وطافوا به المدينة يتقدمهم ولدان ايضا كنهما رئيسا العمل وعلى جانب التين ولدان آخران معها دلو ماء وكلما جازوا على مخزن او دكان يقفون قليلاً ويضعون التين امام باب المحل وبرشون

الماء من فوقه على الدكان او المخزن ويرتلون لاجل المطر وياخذون من صاحب المحل دراهم جائزة لهم ثم ينصرفون الى محل آخر وهؤلاء الاولاد الثمانية لابسون اكابيل على رؤوسهم من قضبان جديدة مورقة ومثل ذلك على بقية ابلانهم وكلما تاخر المطر يمنع المدرسين اي العلماء والحكام الشعب عن ذبح الغنم والبقر وغير ذلك ويجمعون جماهير من الشعب ويطوفون في المدن والقرى ويكررون طلباتهم بتلك الكلمات المكتوبة على الاوراق التي يعلقونها لاجل المطر على ما ذكرنا

وعند اليابانيين وغيرهم من الطوائف البوذية اعياد لتذكار كثيرين من مشاهيرهم وحفظ هذه الاعياد انما يكون بالذهاب الى الهياكل وزيارة مدافن قدسيهم وهنا من الامور التي تصلح كل الاوقات غير ان القيام بها في الاعياد من الفروض ما لم يكن الانسان نجساً فيها. من ذلك ثلاثة ايام يقيم الصينيون فيها احتفالات دينية مخصوصة لبوذة اولها اليوم الثامن من الشهر الثاني عندهم وهو تذكار يوم خروجه من بيته وتصميمه على التنشف والانفراد وعندهم ان ذلك جرى قبل ان تأله وانه ولد في اليوم الثامن من الشهر الرابع اما تأله وصيرورته بوذة ووصوله الى الكمال فكان في اليوم الثامن من الشهر الثاني عشر ويعبدونه في هذه الايام باحتفالات تزيد عن الاحتفالات الاعيادية وينصبون هذه العبادة في الاديرة الآتي ذكرها بالترانيل والطواف في الهياكل بالاجراس وغيرها. ومنها ايضاً انهم يكرسون يوماً في آخر كل سنة يصرفونه في وداع آلهتهم لزعيمهم ان في ذلك اليوم تترك الآلهة الارض ويصعدون الى السماء للسلام على اله الآلهة العظيم وينخبرونه عما حدث تحت ادارتهم على الارض وياخذون منه لذواتهم فرصة عشرة ايام لاجل راحتهم وفي هذه المدة يكون العالم متروكاً بدون حماية وحكم اله بل ان الناس يحفظون فيها ذواتهم ويحكمون على انفسهم بقدر الامكان ويسمع في ذلك اليوم صوت البارود ورنين الاجراس وآلات الطرب اوداعها. اما التندمات التي يقدمونها في مثل هذه الاعياد وغيرها من دراهم

او محالي او تما وشاي الخ فتصرف على الكهنة وخدام الدين عندهم
وكهنة البلاد الصينية ينقسمون الى ثلاثة اصناف الاول كهنة البوذيين
والثاني كهنة التوبز والثالث كهنة كنفوشيوس

اما كهنة الصنف الاول اعني البوذيين فانهم يعيشون في اديرة فيها
مطابخ وقاعات للاكل والنوم ومكاتب ويضعون فيها حيوانات وطيور يقدمون
لها الطعام بدون ان يتنعموا منها بشيء وعندهم ان ذلك فضيلة دينية ومن هذه
الحيوانات ما يبعث به الاهلون بطريق النذور ويقومون بما تحتاج اليه من
الطعام ايضاً ولا يكون لحومها ولا تتاجها حتى ان بيض الطيور منها يدفنون
كما يدفنون ما يموت منها بخلاف الذين يموتون من الكهنة بالنفس فانهم لا يدفنون
اجسادهم ولكن يحرقونها ثم يجمعون الرماد والعظام التي لم تحترق ويضعونها
في اناء من الخزف يحفظونه في مكان مخصوص ارماد الكهنة وعظامهم ويضعون
في كل دير من هذه الاديرة اصنام كبيرة يسمونها سان بو اي الثلاثة الاعزاء
وتكون صفاً واحداً وهي رمز عن بوذا الماضي وبوذا الحاضر وبوذا المستقبل
وهذه عبارة عن تجسده الماضي او المنتظر . ولاكثر هذه الاديرة اوقاف تعيش
بها غير انها لانكبتهم فيجمعون ما يسد النقص من الاهالي الذين يزورونهم ومن
النذور وكثيراً ما يجتمع نحو عشرين كاهناً منهم او اكثر ويطوفون في الاسواق
يجمعون من الاهالي نفوداً او ارزاً او زيتاً وهم يرتلون اسم بوذا ويضربون
طبولاً صغيرة فيعطيم المارون وغيرهم ما تسمع به انفسهم كفارة عن ذنوبهم ومع
ذلك يطلب هؤلاء الكهنة من الذين يعطونهم ان يشكروهم على قبول ما يعطونهم
اياهُ اذ انه لخير انفسهم

وملابس هؤلاء الكهنة تختلف باللون والهيئة عن ملابس الاهالي فان
ملابسهم الاعتيادية تكون اما برشاء او بيضاء ويحلقون شعر رؤوسهم مرتين او
ثلاث مرات في كل شهر وكثيرون منهم يكونون بعض محلات من رؤوسهم بحيث
لا ينمو الشعر فيها بعد ذلك واما ملابسهم عندما يقيمون الصلاة فتكون صفراء

قطنية او حريرية يملقون عليها مسابح واجراساً ويوقدون الشموع ويطوفون بها في معابدهم

ومن فروضهم عند الدخول في خدمة دينهم ان يخرجوا عن طاعة والديهم وان يندروا بالتولية وان لا يظهر او ميل حب الى اقاربهم وان ينقطعوا عن مصاحبة الاهالي ولا يحق لهم ان يناموا في بيت فيه غيرهم من الاهالي ويزعمون انهم معفون من طاعة الامبراطور غير انهم خاضعون له بالخضوع لولائه وحكامه ولم رئيس عمومي يسوسهم ويؤدبهم غير ان سلطته ضعيفة فان ذلك متعلق برؤساء الاديرة وهم يرغون في ادبهم ترتيبات لا يعرفون معنى اكثرها لكونها هندية مكتوبة باحرف صينية وعندهم ان ترتيبها مرات متوالية من الفضائل الدينية ولذلك يحسبون عدد ترتيبها اياها بمسحاة مخصوصة واكثر صلواتهم هي كذلك غير مفهومة لانها مكتوبة على هذه الصورة

ويدعون انهم لا ياكلون لحماً البتة وانهم يعيشون باكل النبات وانهم اذا اكلوا لحماً او سمكاً يخطئون واذا قيل لهم ان في الماء والنبات حيوانات كثيرة ترى في النظارات المكبرة ولذلك لا تقدر ان تمتنعوا عن التغذي باللحم يفناظون وينكرون وجود تلك الحيوانات

ويقسمون صلوات واحتمالات في البيوت يستدعيهم الاهالي اليها لاجل شفاء المرضى وطرد الارواح النجسة وغير ذلك مما سوف ياتي ايضاحه ولا يقومون بها مجاناً ولكنهم ياكلون عند اصحابها وياخذون منهم رسماً دينياً

واما كهنة الصنف الثاني فيعرفون بكهنة التوبى وانبايعهم اقل من البوذيين ولم يقف الاجانب على تفاصيل اعتقاداتهم واحتمالاتهم لانهم يتجنبون مخالطتهم اكثر من كهنة بوذة ولا يبلغونهم اعتقاداتهم واكثر صلواتهم تقام في هياكلهم ولا يتزوجون وانهم لا تمتنعون عن اكل اللحم

وبعض آلهة هؤلاء الكهنة هي آلهة البوذيين ولكنهم لا يقيمون صلاة بالاشترك ولم ثلاثة اصنام يسمونها سان شنك اي الثلاثة الاطهار وعندهم انها رزالي تجسد

الهم لوشو فانهم يعتقدون انه تجسد ثلاث مرات اما الاهالي فلا يعبدونها الا قليلاً لكونهم لا يعرفون شيئاً عنها

وملابسهم مختلفة عن ملابس الامة ولا يحلقون كل شعور رؤوسهم ولا يجدلون ما يبقى منها ولكنهم يجمعونها . ومنهم من يحلق بعضها ومنهم من لا يحلق شيئاً منها

ومنهم طغمة مستقلة تختلف عن غيرها فان اصحابها يلبسون ملابس كملايس الاهالي لما لم يكونوا مشغولين في اقامة الصلاة ويتزوجون ويتعاطون اشغالاً وياكلون لحماً ونباتاً فلا يفرقون عن الاهالي شيئاً الا وهم يقومون بالصلاة ويعيشون بما يحصلونه اجرة لقيام الصلاة والاحتفالات للاهالي . ولكل جمهور منهم رئيس واجرته ضعف اجرهم وهم اكثر من كهنة البوذيين واشغالهم اكثر من اشغالهم فان الاهالي يستخدمونهم اكثر مما يستخدمون اولئك

وكهنة الصنف الثالث الذين هم كهنة كنفوشوس صفات صف للولاة وصف لخدمة الدين بين الاهالي فانه لكل حاكم من المدير الى نائب الملك كاهن اجرته من الخزينة الامبراطورية . ومن واجباتهم القيام باحتفالات الدينية الرسمية التي يعينها الامبراطور منها الاحتفالات الشكرية في الربيع والخريف لاله الفلاحة وفي وقت الحرب لاله الحرب وهلم جرا وهم يقومون فيها بالترتيل والاشارة الى الولاة عن وقت الركوع والنهوض وعلى الحكام ان يطيعوا او امرهم عندما يعبدون السماء والارض او غيرها اما الذين يستخدمون الشعب منهم فليس لهم اجرة من الحكومة . وملابس هؤلاء الكهنة ملابس آخر رتبة من اهل العلم وعلى رؤوسهم لباس فيوزر من ذهب هذا ما كان من امر كهنة البوذيين

واما كهنة السيكتويين فيسمونهم كانوثيري ومعناها المعلمون الروحانيون وليسوا في شيء من الرتب الممتازة وليس لهم رسم مخصوص ولا امتيازات او عادات مخصوصة وانما يعتبرونهم كاعبارهم اكبر اكبرهم ومنهم طائفة الميكادو

التي ينسبون لها من حثية السلالة الى الالهة الخالقة وقد اتخذوها لتكون واسطة بينهم وبينها وتعلم طلبة الدين باجرة كما سبقت الاشارة الى ذلك في ما مر ونساء كهنة السيتوبين تعد كاهنات ايضا وهؤلاء الكهنة يسكنون في جوار الهياكل لاجل الخدمة وضيافة الزائرين والغرباء ويتعيشون بالتقدمات والهدايا التي يقدمها الشعب والزوار المذكورون لهياكلهم

ويوجد عندهم ايضا رتبتان هما دون رتبة الكهنوت والذين يمارسونها لا بد من ان يكونوا عادمي البصر واصل واضع هذه الخدمة على هذا النوع على ما قيل انه منذ اجبال قليلة وجد لاحد الملوك ولد جميل الصورة جدا لم يكن له نظير الا بنت ملك آخر وجدت في ايامها في عنقوان الشباب فاراد ابن الملك ان يتزوج بهذه البنت الا ان المنية سبقت الى اخنطافها فلما ماتت حزن عليها حزنا مفرطا افضى به الى العبي وحينئذ شرع في ممارسة هذه الخدمة ثم سلمها الى اناس مثله عريان وهم ايضا لم يهدم وهلم جرا الى يومنا هذا. وهذه هي الرتبة الاولى. واما الثانية فتند اسمها رجل شجاع مشهور في شجاعته كان اسير بعد ان قتل مولاه في احدى الوقائع الحربية ونظرا لفرط شجاعته اراد الملك الذي اسره ان يرتبط معه بهد المحبة ويجعله متوظفا عنده بوظيفة تليق به بحيث يكون بينها مودة فلما ان عرض عليه ذلك اجابه اني نمت اعظم ممنونية لك لانك لم تعاملني الا بالاحسان والمعروف غير انني لا افدر ان ارى وجهك لكونك قتلت سيدي وبناء على ذلك يجب علي ان افعل ما يمنعني عن رؤيتك كي لا تفرك حاسيات غضي عليك عندما انظر لك واقتلك كما قتلتني ثم ذهب وقلع عينيه وقدمها له على طبق فعند ذلك تعجب الملك منه غاية العجب وزاد في اكرامه وهو الذي مارس الخدمة الثانية ووضع اساسها

ثم ان اهالي البلاد الصينية مع كونهم على مذاهب مختلفة من الديانات البوذية على ما ذكرنا فهم جميعا متفقون على عبادة البشر احياء وامواتا وليس انهم يؤلهون فلاسفهم وشجعانهم فقط كما يستبين ذلك من التفاصيل التي ذكرت

بل يعبدون ايضاً اسلافهم على وجه الاطلاق في حالة الحياة وبعد الوفاة ايضاً
اما عبادة البشر وهم في حالة الحياة فنستبين ما جرت به عادتهم من اكرام
الوالدين والاقارب اكراماً مفرطاً بلغ بهم الى ان يسجدوا على ركبهم امام والدهم
واجدادهم واعمامهم وعماهم واخوانهم وخالاتهم وكذلك البنات اللواتي يتزوج
بهن الشبان فانهن يشتركن بعد زواجهن مع ازواجهن في هذه العبادة
لاقارب الزوج بعد ان كنّ يقدمنها لاقاربهن على هذه الصورة في بيوت
ابائهن قبل الزواج كما يشتركن معهم ايضاً في عبادة ارواح الاموات من
السلف ايضاً. ومن غرائب ما يحكي عنهم من هذا القليل هو انه كان في احدى
مدنهم رجل صرف اكثر ايام حياته وكل ماله في لعب القمار ولما لم يبق في يده
شيء من الدراهم والاملاك ابصرف على نفسه اخذ موضعاً مرتفعاً ووقف عليه
واخذ يصرخ في الناس ويقول انا بوذة الحي والموت لا يصيبني واني اعيش الى
الابد وبقي على ذلك مدة ايام وهو يصلي الصلوات البوذية ففي بداية الامر لم
تعبأ به الناس لكن اخيراً ابتدأوا يؤمنون به رويداً رويداً ويقدمون له اكرامات
وتقدمات من المأكول والدراهم ثم بعد ذلك بنوا حوله مكاناً صغيراً واخذوا
في تقديم العبادة له زاعمين انه قد تحول الها وجمهور من الناس اضافوا عبادته
الى باقي عباداتهم

واما عبادة ارواح اسلافهم بعد الوفاة فهي عتيقة شائعة بينهم ومهما اختلفوا
في باقي خرافاتهم فهم متفقون على هذا الامر تماماً وهذه العبادة تسلتزم مصاريف
زائدة واحتفالات مكلفة من وجهين الاول هو من وجه اعتبارهم الاسلاف
المذكورين واکرامهم ابائهم. والثاني من الخوف والجزع لانهم ينسبون كثيراً من
خيرهم وشرهم الى رضا هؤلاء الاسلاف او غيظهم فيزعمون انهم اذا تغافلوا عن
اكرام احد اسلافهم فتغضب روحه عليهم وتنعكس مصالحهم او ترسل اليهم
الامراض او تميمهم موتاً ويعتقدون ان ارواح الاموات اقدر على عمل الشر من
الاحياء حتي قيل ان الانسان منهم يقتل نفسه لكي يصير روحاً ويتنقم من عدو

له لم يقدر عليه وهو حي ولذلك كان تركهم هذه العنائد صعب جداً كقطع اليد
أو قلع العين لزعيم بان تركها يقطع انفسهم عن كل خير ويحلب عليهم لعنة
الوالدين ويستدعي ارواح اسلافهم من عالم الغيب لكي تمينهم وتهدئهم
وقد بلغ هذا الاعتقاد عند اهالي مملكة سيام من الغرابة انهم عند ما يبنون
بأياً لاحدى مدنهم يذبحون عليه ستة رجال ابرياء من اصالح ما يوجد بينهم لكي
تحمس ارواحهم ذلك الباب من غير الاعداء

ويعتقدون ان لكل انسان ثلاث ارواح وعند الموت تذهب الواحدة من
هذه الارواح الثلاث الى عالم الغيب للدينونة وواحدة تبقى في الكرسي الخشبي
المقام للميت في البيت ويسمونه عرش الروح والثالثة تذهب مع الجثة الى القبر
ثم لا بد من وجود مائدة للسلفاء في كل بيت توضع في محل مخصوص او
في قاعة البيت خاصة بالاموات من العائلة الساكنة فيه ليوضع عليها لوح لكل
من مات او يموت من تلك العائلة ويوضع عليها ايضاً اناة لحرق البخور وابتداء
المصايح عندما يقدمون التقدمة في جميع ظروف مسرائهم واكبارهم ويصلون
لالراح تلك الارواح ويسجدون لها

اما الروح التي تذهب الى عالم الغيب للدينونة فيعتقدون انها تدخل في
ظلمة فلا ترى طريقها ولا المكان الذي تدخله ولذلك يشعرون مصباحين
ويضعونهما على كرسي عند السرير الذي يلقون الميت عليه لانه لا نار الطريق لروحه
لئلا تضل وكثيرون لا يرتضون بالمصباحين المذكورين فقط بل يقومون بعمل
يسمونه السلم والجسر بواسطة كهنتهم وجرت العادة بان يكون مصروف ذلك
من اصهار الميت اذا كان له بنات متزوجات ولا يسعنا تفصيل كيفية هذا
العمل وانما المراد به هو ان السلم لكي تمكث من الصعود على الاماكن المرتفعة
والجسر يملكه من قطع الانهر التي يزعمون انها تصادف في طريقه وكذلك
يصنعون مركبة من خشب او ورق كالتي يجلس فيها الانسان وتنقل على اكثاف
الرجال ويضعون فيها خبزاً وكساءً من الخمر ثم يحرقونها وعندهم ان ذلك يمكن

روح الميت من ان تذهب الى عالم الاموات السفلي راكبة عوض ان تحمل مشاق السفر ماشية واذا كان الميت منعوذاً استخدم الخدّام يجعلون له صورة ويجلسونها عند صورة يسهونها طول الحياة ويضعون صورتين احدها صورة خادم والاخرى صورة خادمة ويجلسون كلاً منها على جانب من جانبيه ويضعون في يد صورة الخادم قصبة الدخان والكيس وفي يد صورة الخادمة فنجان الشاي او غير ذلك ويحرقون هذه الصورة مع المركبة المذكورة ليقوما بخدمة الميت في عالم الارواح ويزعمون انهم اذا قصروا في ذلك يبقى الميت هناك بلا الخدمة التي تعودها فيكون ذلك مصداقاً لكدره

وسميت زعموا بان روح الميت لا تعرف الطريق التي ينبغي ان تسلكها على ما ذكرنا فيبعث اليها ملك عالم الاموات بشيطان صغير ليدلها عليها ولذلك يضعون لهذا الشيطان ماكلاً في احدى جهات القاعة ليحمله على الاعتناء بروح الميت في المسير في سبل العالم السفلي وعندما اذا اغاظوا ذلك الدليل يجبد بروح المتوفي عن الطريق المستقيم او يتمنع عن ان يدلها فيلحق بها ضرر ولما كان من عادتهم ان لا يدفنوا الميت حالاً بل يبقوه اياماً في مدة اقامة الثابوت في البيت لا بد لهم من ان يقدموا له في كل صباح ماء سخناً ليستقم به ويقدمون له ماكولاً وشراباً مرتين كل يوم وقت الاكل ويحرقون نفوداً كاذبة لمنفعته

ومن واجبات الذين يحضرون للتعزية ان يركعوا امام الثابوت ثلاث مرات لكنهم لا يفعلون ذلك ما لم يشاركهم فيه احد اقارب الميت اعتباراً لهم والبعض منهم يخبرون ملوك عالم الاموات العشرة بموت من يموت لهم ويطلبون غفران خطاياهم بواسطة احتفالات يقوم بها الكهنة وعندهم كثير من العفائد والاحتفالات التي تتبع هذه بطول شرحها منها تقديم الذبائح للجنة الميت بعد سبعة ايام من موته واحتفال آخر يجرونها في اليوم الرابع عشر ليجعلوا معبودهم بوذة يقطع بروح الميت نهراً يسبح فيه خطاياهم ووليمة اخرى لاقارب

الميت في اليوم الحادي والعشرين يبادر بها الضيوف الى عبادة الميت بالنوع الذي سبق وصنعه ومنها تقديم وليمة الى ملوك العالم السفلي يذكر فيها الكهنة فضائل الميت وياتمسون الغفران له ونظائر ذلك من الولائم والطقوس التي تبقى الى نهاية الاحتفال المسمى عندهم بقطع الطقوس وذلك في نهاية السبعة اسابيع من موته وبهذا الاحتفال الاخير يبلغون روح الميت بانهم قد انقطعوا عن تقديم المأككل لها وانما يقومون بطقوس في اليوم الثالث عشر والرابع عشر من كل شهر الى نهاية الثلاث سنوات يقدمون فيها مأككل بضعونها مع بخور على المائدة امام صورة الميت مع اكل للشيطان الدليل الذي مر ذكره لانهم يعتقدون ان روح الميت ترجع الى بينها العالي في هذه الايام ولذلك من واجبات اهلها ان يقدموا لها مأككل كافية دلالة على احترامهم مدة الثلاث سنين المذكورة ومن ثم يضعون لوح السلف وهو لوح المتوفي في محل معد له وينقلون المائدة والكرسي اللذين سبقتا الاشارة اليهما ويقبضون ذكراً للميت يومين في السنة وها يوم ولادته ويوم موته يقدمون فيها مأككل كثيرة وخمراً وبحرقون بخوراً امام مائدة الميت ومنهم من يقوم بذلك ثلاثة اجيال ومنهم اربعة ومن الصينيين من يعتقد بانه بعد وفاة الانسان بخمسة اجيال تخلق روحه في هذا العالم او تصير روح طير او حيوان هذا اذا كان مخالفاً للاعتقاد بالتناسخ ولذلك لا يعبدون موائد سلفائهم بعد وفاتهم الا خمسة اجيال فقط

والسبب في هذه التقديمات والخسائر التي يتكبدونها على ما ذكرنا هو اعتقادهم ان الامور في عالم الارواح تجري على سباق مجراها في هذا العالم غير انها لما كانت روحية لا محسوسة فتحتاج الارواح الى ما تحتاج اليه الاجساد لكن على هيئة روحية مثل طعام وكسوة وماوى . وان هذه الاشياء تتحول الى حالة تناسب الارواح بواسطة احرافها ولذلك يصنعون تماثيل هذه الاشياء من الورق فان كان معاملة البسوها قصديراً او كانت يمتاً فمن الورق ايضاً وكل اثنائه كذلك ثم يحرقون هذه الاشياء زاعمين انها تتحول الى حالة تناسب استعمال

الارواح . اما الطعام فيقدمونه للارواح بواسطة مائدة يضعون عليها اصنافا من الاطعمة السخنة ويزعمون ان الارواح تغذي من الابخرة الصاعدة منها ثم متى بردت تسخن ثانياً ليأكلها الاحياء

ولاربيب ان هذه الموائد تكون مهيأة ما يباع في اسواق اللحم عندهم فان فيها يباع لحوم الخيل البرية والكلاب والسنابير والجردان والفيران واعشاش الطيور وما اشبه ذلك لان نفوسهم لا تعاف شيئا من ذلك اصلاً وبالمناسبة نذكر هنا ما نشرته بعض الجرائد في سنة ١٨٧١م عن صفة مائدة اتخذها احد رجال دولة الصين الى الخواجه مينجس الانكليزي المرسل من طرف الدولة الانكليزية الى تلك البلاد ولئن كان ذلك يخرجنا عن المقصود وهي انه كان من جملة الاطعمة المتفنة التي حضرت الى المائدة مرق افراخ الخطاف (نوع من الطيور) وفيها شيء من الكا والطاطم (بطاطا) ثم رنيلوات زرق مشوية عليها فئات الخبز ثم فيران بيض مطبوخة بمرق ثم ضفادع عليها قرّة ولما حان حضور المشوي انوا بكلب سمين وحوله عقارب بحرية وفوقه حشيشة القرّة وزهر البنفسج وزهر الدفلى ومع ان الضيف كان تمالك نفسه عن اظهار القرف او التعجب وتناول جانباً من تلك الاطعمة حشمة ووقاراً لئلا يكدر صاحب المائدة ووطن نفسه على الشبع متى حضر اللحم المشوي وفيما هو في انتظاره لم يبر الا وقد حضر الكلب المذكور وقال له صاحب المنزل وهو يهش ويهش لماذا لم تأكل بهناء يا سيدي من لحم هذا الكلب المعلوم لاسيما ان الكلب هو من احسن الاصدقاء الذين يحفظون الوفاء والذمام للانسان فاجابه الخواجه المذكور ولاجل هذا انا اتحاشى اكل لحمه حرمة لحفظ ذمامه ثم كان من جملة الخالي التي أحضرت الى المائدة صنف يعرف عند اهالي اوربا بالكرما مصنوعاً بالسكر وصغار البيض وحليب النساء وماء زهر الاترج

ولنرجع الى ما كنا بصدده فنقول ومن عقائد الصينيين ان ارواح الاجساد التي تبقى بغير دفن كالقتولين في الحرب او الغرقى في البحر والذين

يوتون في بلاد غربية تقيم بغير راحة ولا مسكن فتستعطي وهذه الارواح المستعطة المستعطة تنفق معها وتضاف اليها ارواح الذين يتغافل عنهم اصحابهم الاحياء والذين انقطعت عشايرهم وليس لهم من يعتني باحتياجاتهم وكثيراً ما تشعب هذه الارواح الشخاذه الاحياء وتزعجهم فاذا حدث مرض لاحد الاغنياء او اصابته مصيبة ما فتئ سب الى تلك الارواح المستعطة ولذلك تنفق التجار في المدن مع مشايخ الشخاذه على مبلغ سنوي يعطونه لهم بشرط انهم يكفونهم شر الارواح المذكورة وكثيراً ما يرسلون الشخاذه الاحياء فارغين لكي يعطوا ما يمكنهم ان يعطوه لهم لهذه الارواح المستعطة لتكف عنهم

وقد حسب بعضهم ان اهل الصين يصرفون في كل سنة نحو ٢٠ مليوناً من الليرات الانكليزية على تلك الارواح وان جانباً كبيراً نحو ٤٠ مليوناً من النساء يعشن من اصطناع الورق المذهب والمفضض الذي تكلمنا عنه لاجل هذه الارواح ولهذا السبب يرغب كل من اهالي الصين في ان يكون له اولاد ذكور ولا يكون له بنات لانه اذا انقطعت الذكور من عائلته فلا يكون له من يعمل الولائم ويمدها لروحه فتنتقر روحه وارواح كل اسلافه كما انهم يغيضون كل ديانة تنهي عن عبادة الاسلاف لانه اذا صار احدهم مسيحياً مثلاً فيزعرون قطع سلسلة العبادة بواسطته وافتقار ارواح العائلة كلها . يحكى انه لما قصد رجل منهم ان يتنصر قال له ابوه ان فعلت ذلك لاقتلن نفسي فاضطر الوالد ان يتع خوفاً من ذلك لانه لو تنصر وقتل الاب نفسه لُسب اليه قتل ابيه وكانت الحكومة تقاضيه بقطع الراس لكي تذهب روحه بغير راس الى عالم الارواح فتلقاها هناك الارواح بالجزء والشربة والتعبير

وزعم كهنتهم انهم يكتشفون في ممارسة عبادتهم عن البعض من ارواح اسلاف العائلات ذات البسروي في حالة العذاب فيرسلون عنها الخبر الى تلك العائلة ومن ثم تستدعي اعضاؤها الكاهن لكي نعمل ما يلزم من الوسائل لتخليص تلك الروح من عنائها فيقول الكاهن ان ذلك لا يتم الا بواسطة

احتفال عظيم يكلف ما مقداره كذا وكذا من الليرات ومن ثم تقع المساومة بينها وبينه الى ان يرتضي الكاهن مبلغ مئة ليرا او اقل او اكثر وعند ما بشرع القوم في الاحتفال المطلوب بالخمر وضرب الصنوج يقف الكاهن ويقول ان المبلغ المتفق عليه لا يكفي فتعرك غيرة الاهل ويدفعون مبلغا آخر ولو انهم استدانوه ثم يتقدم الاحتفال وربما بعد ذلك يقول الكاهن ايضا ان الروح صاعدة على جواب الحب ولكنها لا تستطيع ان تنجو بالتمام مع انها صارت قريبة واذ ذاك يجتهد اهل الميت بتحصل مبلغ آخر من الدراهم ولو انهم يتزعون زيتهم او صيغتهم ويوطونها لذلك الكاهن وعندها يصرح بان الروح قد نجت من العذاب وقد تكون العائلة غنية وبعد مدة يكشف الكهنة عن روح اخرى من ارواح اسلافها في العذاب فيعاد العمل

وللشعوب الصينية واليابانية تخيلات غريبة واوهام عجيبة غير ما ذكر متسلطة على عقولهم تذكر بعضها بالاختصار لعظم غرابته . فمن تخيلاتهم الغريبة ما رواه احد دعاة الدين المسيحي الذين يجوبون في تلك البلاد وهو انه رأى في احد الايام في مدينة يقال لها لانكان بالقرب من جماعة من الناس مجتمعين صباحا حول صندوق عظيم طوله ذراعان وعرضه ذراعان وعلوه ثلاث اذرع وهو مسقوف بمصبرولة بابان كبيران وباب صغير وكان مضروباً في ذلك الصندوق مئات من المسامير الطويلة ورؤوسها الحادة من داخل وكاهناً واقفاً داخل الصندوق لا يقدر ان ينام بل ولا ان يقعد الا على هذه المسامير الحادة وكان قد صار له شهرين وهو محبوس في هذا الحبس العجيب فتقدم الى الباب الصغير وسأله عن سبب هذا العمل فاجابه انه قد نذر نذراً بانه لا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى يجمع دراهم كافية لعمار هيكل جديد لبوذا اله الصين . ورأى ايضا اوراقاً صغيرة ملصوقة كل واحدة منها على راس كل مسمار من تلك المسامير ثمان ثمانية فكان ثمن الصغير خمس ليرات والكبير خمس عشرة ابرة والذي يدفع ثمن المسار بقلعة ويتبارك منه ويكتب اسمه عوضاً عنه في موضعه

حتى متى قُيِّمَت تلك المسامير كلها يخرج ذلك الكاهن ويسمر الميكل . وكان عددها خمس مئة مسمار وكان معلقاً فوق الصندوق جرس صغير معلق بخيط والخيط في يد الكاهن وهو يدقّه دائماً بلا انقطاع وكاهن آخر واقفاً من خارج وقدامه صنم صغير وهو ينادي ويدعو الناس ليشتروا تلك المسامير . ومنها انهم يسّمرون احياناً شفاههم على ابواب مخازن التجار وموائدهم ولا يرضون بان يسحبوها ما لم ياخذوا من صاحب المخزن ما يرضيهم . وروى رجل آخر من افاموا في تلك البلاد من السياح انه خرج ذات يوم للتمتزه في البرية فرأى صبيّاً جالساً على الطريق يستعطي وكل اصابع رجليه مقطوعة ودمه جارٍ وهو يصرخ من شدة الآلام لان والديه قد قطعوها كي يحركا عليه شفقة الناس . وفي مكان آخر رأى انساناً أقطع اليد اليسرى وهو حامل تلك اليد يابسة في يمينه يتسوّل عليها وانه لولا الاختصار لكان اخبر عن امور اشنع من هذه ايضاً

ويوجد كثيرون من المتعبدين اللامويين قال بعض الكتبة انهم نحو ٢٠ الف متعبد وانتخابهم يكون بامر الرؤساء الدينيين وهم يندرون نذوراً كثيرة منها الفقر والطاعة والعفة اما النساك السيخويون فمنهم من يترك العالم وملذاته للتفرغ للعبادة ومن اوهامهم العجبية انهم يصرفون اكثر اوقاتهم في تعب انفسهم بالصعود على جبال مقدسة عندهم والانحدار عنها ويغسلون بالماء البارد في وسط الشتاء واما الاغنياء منهم فيقيمون في بيوتهم ويقومون بذلك لكن الفقراء يعيشون بالتسوّل وعندهم انه اذا صعد الانسان على جبل مقدس وهو نجس يدخله الشيطان اي روح الثعلب الذي سبقت الاشارة اليه فيصاب بالجنون ومن واجبات كل الذين ينتظمون في سلك هؤلاء النساك ان يعرضوا انفسهم لمخاطر الصعود الى جبل من الجبال المقدسة المذكورة مرّة في كل سنة وكثيراً ما تزل اقدام بعضهم فيسقطون من اماكن مرتفعة ويوتون او يصابون بامراض من مشقة السفر ورداءة المأكّل التي يتخذونها من الاعشاب النابتة في الطريق . اما الذين يقومون بذلك ويرجعون سالمين فيذهبون الى رؤساء

السالك ويقدمون لهم هدية مالية فيرفعون درجاتهم بتغيير ملابسهم الدينية بعض التغيير وإذا كانوا فقراء فمن واجباتهم ان يستعطوا المبلغ اللازم لهذا الرئيس وكثيراً ما يظنون ان سبب امراضهم هو غضب آلهتهم او فعل الارواح المستلطة عليهم او غير ذلك من الاعتقادات وإذا مات المريض فيقولون ان الموت لا يكون الا بحكم الله اما الشفاء فلا يعتقدون انه يكون بحكمة ولكنهم ينسبونه الى فعل آلهتهم ولذلك عند ما يمرض لم مريض يحرقون بخوراً ويشعلون مصابيح امام اصنامهم وإذا مرض أكثر من نفس واحدة من عائلة واحدة فيقولون ان ذلك هو فعل اله من آلهتهم يسمونه الاله المملك وعند ذلك يقيمون احتفالات دينية ارضاء لحاظه بواسطة كهنة كثيرين من التوزيعين وقد مر ذكرهم يسمونها في يوم واحد او يومين او أكثر وإذا طرأ على الانسان مرض بغتة في راسه او رجله او عينه او يديه فيقولون ان ذلك فعل احد الارواح النجسة وعندهم انها ٧٣ روحاً وأنه لا بد من المبادرة الى مداواة ذلك فياتون بكاهن ليرتل ويطرد ذلك من المريض بعد ان يضعوا في مخرج المريض شيئاً من الاثمار والخمر والبخور ويشعلون مصابيح ويضعون نقوداً كاذبة. وكثيراً ما يستنجد ذلك الكاهن بروح نجس آخر بلا راس وعندهم انه يسعته في طرد غيره من الارواح النجسة. وكثيراً ما يقولون ان سبب مرض بعضهم هو روح زوج مائت او امرأة متوفاة فان روح المتوفى تأخذ في التفتيش على رفيقها الى ان تجده ويستخدمون لطرد تلك الروح ساحراً. ومن اسباب الامراض عندهم ايضاً اما روح شريرة لا يحكم عليها غير آلهتهم الاولين او غضب بعض آلهتهم لسبب تعدي يقع من المريض عليهم بالفعل او بالفكر او اهانته تقع منه على الاصنام او عدوان روح عدو بعد موته. وكثيراً ما يحاولون ترجيع روح المريض بواسطة صلوات يقيمها الكهنة وعودات يملفون عليها ثوباً من اثواب المريض لندخله الروح اذ يعتقدون بان روح المريض فارقت غير انها لم تخرج بعد من الامكنة المجاورة لبيتها فرجوعها بتلك الوسائط الى الثوب يمكن اهل المريض من ترجيعها الى

جسده

ومن اغرب ما يحكى عنهم في هذا الباب هو ان احد الامراء الاغنياء من اهلالي الصين كان له ابن وحيد مرض مرضاً ثقيلاً فذهب ابوه الامير المذكور الى هيكل من هياكل الاصنام وقدم تقدمات ثينة للاله الموجود فيه لاجل شفاء ابنه ولكنه لما لم يتنفع شيئاً ومات ابنه ذهب حالاً الى المحكمة وقدم الى القاضي شكواه على الاله المذكور بانه لم يعامله بما حق له عليه فغضب الفحص المدقق امر القاضي باحضار ذلك الاله لاجل المحاكمة . ومن ثم اثبت الامير عليه بانه قد تم له جميع الواجبات المفروضة على مثله للالهة حسب الرسوم ولم يتاخر عن شيء لكن هو لم يقابل في نظير ذلك بالواجب عليه في ظروف نظير هذه ولما سأل القاضي ذلك الاله وكان من الخشب عن جوابه في هذه القضية ولم يجاوبه بشيء حكم باعطاء الحق للامير المدعي وامر باخراج ذلك الاله من المقاطعة

ويعتقدون ان حدوث الاوثة في الصيف انما يكون بسماح خمسة من آلهتهم وهم خمسة اصنام يخافهم الاهالي خوفاً لا مزيد عليه ولهم هياكل يعتقدون بان لها حشماً اخصها اثنان يسميهما الاجانب الشيطان الطويل الانيض والشيطان القصير الاسود ففي ابتداء الصيف يخرج من تلك الهياكل تماثيل بعض حشم آلهتهم المذكورين ومن حملتهم صنما الشيطانين المذكورين ويسير القوم معهم بطبول ليحرقوا ١٠ قوارب من الورق على شاطئ النهر وقبل حرقها ياخذ الشياطين البيض والسود الكثيرة التي ترافقها في ان تركض حولها وعند ذلك يحرقونها فتركع تلك الاصنام التي حملتها الرجال وسارت بها امامها الى ان تاكلها النار ويعتقدون ان بذلك يبعدون في البحر اسباب الامراض التي ترغب آلهتهم المذكورة في ابعادها

واغرب من ذلك جميع طرق الزواج وشرائعه المتنوعة عندهم بصرف النظر عن الاحتفالات المختصة به فان بعضهم لا يتزوجون الا بامرأة واحدة

وبعضهم يتزوجون باكثر وكثيراً ما تنزوج امرأة واحدة بعشرة رجال وغالباً
 يكونون اخوة وتقوم لهم بواجبات الزوجية جميعاً وإنما حق انتخابها أولاً يكون
 لا كبرهم . ولا يمكن ان يتم عند الخطبة الا بعد الفحص عن ولادتها وولادته
 ايعرفوا في اي شهر وفي اية ساعة كانت ذلك لمعرفة طالعها ثم بعد ان يجري
 العقد يكتب اسم العريس والعروس في ورقة يضعونها تحت اناء النجور الموجود
 على مائدة السلفاء التي سبقت الاشارة اليها . وبعد ذلك لا يعود يمكن ان يفسخ
 عند الخطبة الا لأسباب ذات اهمية كالمخرج عن طريق العفة على ان ذلك
 لا يسوغ للفناء ان ترك خطيبها بخلاف ما اذا أصيب احدهما بداء البرص او
 بداهية عطلت عضواً او أكثر من اعضائه او كان سارقاً فانه يحق عند ذلك
 لكل من المتعاقدين ان يطلب الفسخ . اما الفقر والمرض وقبح المنظر فلا تسوغ
 لاحدهما هذا الطالب ومتى تزوجت المرأة فلا يسوغ لها ان تطلق زوجها لانه
 عاقبة كانت بل يجب ان تنقاد اليه في كل حالة الى ان يموت او تموت هي او يبيعها
 غيره او يطلقها هو لعل من العلل السبعة الآتي ذكرها وهي (١) اذا اساءت
 معاملته ابويه (٢) الزنى (٣) الحسد (٤) كثرة الكلام (٥) السرقة (٦)
 الوقوع في مرض عضال كالبرص (٧) العقم . وقد قيل ان اهل المعارف
 لا يسهلون بالطلاق لاحدى العلتين الاخبرتين في هذه الايام وما يمنع سوانية
 الطلاق خدمة المرأة لابوي زوجها الى ان يموتا او ان وصل الى مراتب عالية او
 تمكن من جمع ثروة ولم يكن حاصلاً على ذلك قبل الزواج او اذا لم يكن لها
 بيت لنذهب اليه بسبب موت ابويها واخوتها ويندر قبول فناء حرّة ان تكون
 زوجة ثانية ولو كان رجلها غنياً فانه لا بد لها من الخضوع للمرأة الاولى والانقياد
 اليها والركوع امامها لعبادتها عند الوصول الى بيت زوجها ولا تعبد السماء
 والارض مع زوجها في يوم زفافها لان ذلك محصور في المرأة الاولى ولكنها تعبد
 مائدة سلفائه فقط

وعندهم ان لكل امرأة شجرة في عالم الابدية فان كانت ذات زهور بيضاء

تلد ذكورا وان كانت حمراء فاناثا وان كانت من النوعين تلد ذكورا واناثا
 واذا كانت خالية منها تبقى عقيما . غير ان النساء يعتقدن بانهم يقدرن على ان
 يحصلن على البنين او الخلاص من موت البنين بواسطة اصلاح تربة الشجرة لان
 ذلك يكون مسببا عن رداءة تربتها فيستخدمن ساحرة لتغييره بعد ان يستخدمن
 منبهات لتخبرتهن عن حالة شجراتهم وزهورها ويزعن بانهم يقدرن على
 جعل شجراتهم يزهرن بالتبني ايضا فتتبنى المرأة العقيم بنتا من غير عائلتها
 وتربها وتعاملها معاملة ولدها وعندها ان ذلك يكون واسطة للولادة لانهم
 يعتقدن بان لاسعادة المرأة التي لاتلد فيكون هذا التبني كالتطعيم الذي يجعل
 ثمرة شجرة كثر غيرها . وكذلك يندرن ايضا للالاهة المسماة بالأم ندورا بان
 تاخذ الناذرة منها حذاء ومتى ولدت ترجعه لها مع حذاءين آخرين وهديّة من
 الطعام على الوجه الذي سبق تعريفه وبعد ان تحمل المرأة بخمسة اشهر في
 الظروف المذكورة يقيم زوجها صلاة شكر لهذه الالاهة او غيرها

وعند الولادة يختارون يوم سعيد لارضاء شيطانتين شائها قتل الامهات
 عند الولادة ومنهم من يقول ان اقامة الاحتفالات في ذلك اليوم انما هي لطردھا
 بالتخويف وعند ذلك ينادي الكاهن رئيس البركة الدموية في جهنم ان
 يحضرا بعدد زوج المرأة ارضاء لحظاظه ليحمي الولد من الضرر واذا تعسرت
 الولادة يقولون ان روحا شريرا يمنع الولد عن الدخول الى العالم فيستدعون
 كاهنا ليستخدم لها امورا مع الصلاة تسهل ولادتها ولم امور كثيرة من هذا
 القبيل كقائمة ماكل لصورة الالاهة الأم بعد ان يولد الصبي بثلاثة ايام وربط
 يده بمنسوج احمر وتعلق نقود قديمة عليها لابعاد الارواح الشريرة عنه وكتابة
 حرفين على ورق احمر يضعونه حول رزمة فيها بعض اشياء ويعلقونه على باب
 خدر الوالدة عوذة لمنع وصول تاثيرات ردية الى الولد والاشياء التي في تلك
 الرزمة مؤلفة من بصل وفم وشعر كلب وعندهم ان لكل من هذه الاشياء منزلة
 تمنع الضرر عن الولد وغير ذلك كثير من الخرافات التي لا يسع كتابنا هذا

تفصيلها

ويقتدون من المحرمات ان ياد الانسان اولاداً في زمان الحداد وهي
عندهم ٢٧ شهراً واذا تعدى احد ادنياء القوم هذا القانون فربما كانت الحكومة
لا تنبه اليه ولكن اذا تعداه وال او احد القواد او اهل المعارف وطلبة العلم
يتجاوزون بدفع جزاء نقدي او بالتزليل عن رتبهم او غير ذلك

ويتفق فقراؤهم مع الهنود في قتلهم البنات من الفقر يحكى عن امرأة صينية
سألتها احد دعاة الدين المسيحي هناك هل لها اولاد فاجابت ان لها ثلاثة صبيان
وبنتاً واحدة فقال هل قتلت احداً من اولادك قالت نعم غرقت بنتاً واحدة
في النهر فقال لاي سبب علمت هذا العمل الشنيع اجابت كيف نفدر نعمل
يا صاحب لاننا نحن فقراء وليس لنا من القوت ما يكفي عائلة كبيرة فقال لها
هل كنت فتاتها لو كانت صبياً عوضاً عن كونها بنتاً فاجابت حاشا لان الصبي
يشتغل ويتسبب

—o—

ذيل

لاجنفى بانة في سنة ١٨٤٨م قام رجل في بلاد الصين يقال له تي ين أون
قيل انه عرف الديانة المسيحية من معاشره بعض المبشرين وادعى بان له نوعاً
من الالهية وهي حركة عجيبة غريبة في تلك المملكة واخذ ينتقل من مدينة الى
مدينة اخرى ومن قرية الى غيرها وبجرك اصحابه بحمية عجيبة لمقاومة عبادة
الاصنام ويظهر لهم فضل الديانة المسيحية فانضم اليه عدد غفير واشهروا معتنדם
وهو ان الله الحي الحقيقي هو موضوع عبادتهم وسجودهم واليه يلتجئون في الضيق
ومنة وحده يطلبون المعونة وحفظ السبب بكل تدقيق واتخاذ الوصايا العشر
قاعدة لايمانهم والتوبة عن الخطايا والايمان بالمسيح ومنع الافيون والدخان

مطلقاً الا انهم لم ينتصروا على هذه القواعد بل مزجوها ببعض قواعد وثنية فلما سمع الامبراطور باخبارهم غضب جداً وحبس كثيرين منهم مات بعضهم في الحبوس ومن جرى ذلك هاج الذبن لم يفعلوا في يده تحت رياسة قائدهم تي بن اون المذكور وضربوا الدولة وانتصروا عليها وجعلوا يتقدمون من بلد الى اخرى فكل بلد اطاعتهم امنوها وضربوا رجالها اليهم وكسروا اصنامهم والقتلوا رجالها ونساءها واولادها بدون شفقة ويطرحون الاصنام التي يكسرونها في الاسواق الى ان دخلوا اكثر البلاد ونشروا كتابات كثيرة ضد الحكومة حتى جعلوا الاهالي يكرهونها للغاية

اما الآن فان المبشرين بالانجيل من كل الجمعيات يتواردون الى بلاد الصين بكل همة ونشاط ويفتحون مدارس ومطابع ويبنون كنائس وقد تيسر لهم الدخول الى كل اقطار المملكة بعد ان كان لا يؤذن لهم ان يسكنوا الا في بعض المدن التي على الشواطئ البحرية وزيادة على ذلك قد اصدرت الحكومة من تلقاء ذاتها او امرت بهي الحكام عن مفاونهم واضطهاد تلاميذهم وبها ايضا منع تصليح او ترميم الهياكل الوثنية التي خربت في المملكة الا ما يخص منها بالفيلسوف كنفوشبوس الذي مر ذكره وفي احدى المقاطعات منعت الحكومة دوران الاصنام جهراً بالاحتفال حسب العادة القديمة وشارت على الاهالي بان يفللوا مصاريهم التي يصرفونها على الذبائح والاولثان

الكلام على المشركين

وهم الفائلون بتعدد الآلهة ويبلغ عددهم نحو ١٥٠ مليوناً من النفوس يقال ان منهم نحو ٢٢ مليوناً يتعبد بدين ينال له دين الفتيش وهو اشع ما علاه من هذه الاديان الفائلة بالتعدد ويوجد باشكل مختلفة عند الامم المتعمقين في الجهالة نظير سودان افريقية

ويراد بالفتيش الشيء الذي له روح او خالٍ عن الروح كالشجر والصخر والبيض والشوك والمحجوب والبلج والقرن وعروق الحشائش وما اشبه ذلك اما الذين يتخذون الاوثان بينهم فمنهم من يصور معبوده على صورة الانسان ايضاً . وكل عبدة هذه الاصنام من السودان يعتقدون بان من التي صنفاً من اصنامهم او اهاثة فان دمه يصير هدرًا ومن هذه الفرقة ملك السودان بيلاد بنان في مملكة غينا فانه يامر رعاياه ان يعبدوه لدخوله في حيز الاصنام المذكورة

وما عدا ذلك من السودان فمنهم من له فتيش خاص يعتقد تعظيمه فيعتقد مثلاً ان الثعبان هو اله القتال والتجارة والزراعة والخصب فيضع هذا الثعبان في نوع من المعابد يغتدي فيه ويخدمه عبادة ويوقف عليه عبدة بنات يختصن بالرفص المخل بالحيا وحيث ان وثنهم عيين فالعباد يقومون مقامه في توفية حظ الانثى من الذكر وكل من تولى السلطنة قرّب لهذا الثعبان قرباناً من هذا النوع

وفي مملكة داهومي اي بلاد الموت يعبدون الثمر اسفكه الدماء ويزعمون بان الالهة قد اباحت لملكهم ان ياتي ما شاء من الاعمال الدموية الفاسية ولا جناح عليه

ومنهم من يعبد التمساح . يحكى انه كان في مدينة ايوكونا غربي افريقية تمساح كبير ذورونق عظيم بين الشعب وكان يسكن مغارة عظيمة على شاطئ البحر ويخرج منها احياناً في طلب ما يقتات به فياتي اليه الاهلون بتقديمات من الخبز والطحين ويقف كاهنهم يصلي على باب المغارة ويطلب من التمساح البركة على المواسم وعلى الشعب وحفظه اياهم من المرض والموت فانفق ان هذا التمساح قُتل في شهر كانون الاول سنة ١٨٦٥ م فلما سمع بعض البرابرة بهوتوا به وبانه ليس الهًا وصاروا يقبلون الديانة المسيحية

ومنهم اناس يسكنون على جانبي نهر نيجر غربي افريقية يعبدون جنساً من

الحيوانات يسمى الفوانا وهذه الحيوانات قبيحة المنظر وكرهية للغاية اذ تشترك في
الهيئة ما بين التماسيح والحية ويزعم اهالي البلاد ان قتلها يوجب غضب الآلهة
على عموم البلاد انتقاماً لذلك فكانوا يخافون ان يضروها وكان قصاص من
يقتلها ولو بغير قصد الموت او الجراد الفاسي وبهذا السبب تكاثرت جداً
وتجاسرت على اقتراس دجاج الاهالي وما اشبه ذلك من مضرات تسبب لهم
خسائر تؤذيهم . ومع ذلك قد قتلوا كثيرين من الناس بسبب قتلها . وكان
اذا اعترضهم احد من الغرباء على هذه العبادة الوحشية يجاوبونه كما ان عوائد
بلادكم تناسبكم كذلك عوائد بلادنا تناسبنا نحن ايضاً لكن منذ مدة انفق ملك
تلك البلاد مع رؤسائه على ابطال هذه العبادة مع ان اباه كان باشر قبلة في
ابطالها ولم ينجح نظراً للصعوبات التي منعتها عن ذلك بسبب اوهام الناس
ووساوسهم . ثم لما صدر امر ابنه هذا بقتلها على ما ذكرنا امتلأت المدينة من
جنثها حتى انه اجتمع في سوق واحد سبع وخمسون جثة منها وبعض الناس
طبخوا من لحومها واكلوا

فصل

في المتواتر من اخبار مناسك هذه الامة وعوائدها

يقال ان اهالي هذه البلاد وخصوصاً اهالي سنغيبيا وغينا لانعاف نفوسهم
شيئاً اصلاً فلا يمتنعون من اكل لحم الفيلة ويض التماسيح والقرد ولحم الكلاب
ولو ميتة ولا يمتنعون من اكل السمك الذي به عنونة وانما لا يرضون باكل
السلطنة المعتادة في ولائهم حذراً من ان يشبهوا الحيوانات التي تاكل البقول
بل يحضرون الكلب مشوباً فيها . حكى ان بعض اكابرهم عمل وليمة ولما لم يجد

كليباً يناسب للشيء ابدل زوج بقر جيد بكلب سمين وجده عند احد الاهالي .
غير انه لا غرابة في ذلك عند هؤلاء القوم الهمل المتوحشين اذ يوجد نظيره عند
اهالي الصين المحسوبين من اهل المدن وقد سبقت الاشارة اليه فيما مر . وانما
العجب الاعظم هو اكل البعض من قبائلهم لحوم بني آدم حتى ان منهم من يفخر
بذلك ويبرهن عليه باخذه قطعة من لحم احد اخوانه واصحابه واكوه اياها
حالا . وقد حكى عن رجل من قبيلة الويو غربي افريقية انه تنصّر واقام في
احد المدارس ليتعلم ثم خطب خطبة في بعض السنين عند فحص المدرسة قال
فيها انه لم يكن يعرف شيئاً في ايام جاهليته سوى طبخ لحوم الناس الذين يقتلون
في الحرب غير ان احد الفرنسيين لا يرى في ذلك عجباً على السودان ايضاً
حيث انه تحقق وقوعه عينه عند البعض من اهالي جزائر الغرب فانهم ياكلون
لحم الادي لا عن اضطرار ولا لاجل التشفي من الاعلاء كما يفعل السودان
المذكورين ولكن لجرّد الرغبة فيه فقط

وحكى رجل من دعاة الدين المسيحي وكان بطوف غربي افريقية عند
مصب نهر النيجر وفي مدينة كلابار الجديدة وهو ذاته من اهالي افريقية بانه
عندما وصل في سفره الى شط النهر وطالع الى البر رأى عند مدخل البلد
المسماة مزمغي شخصين معلّفين على شجرتين كما تُعلّق المعزى المذبوحة وقد بليت
جنتهم اطول مدة تعليقهم حتى ان بعض الاعضاء سقطت على الارض ثم لما
دخل القرية رأى عظام الناس في كل جهة منها ما هو مطروح على الارض
وبعضها باقى على الاشجار وفي ذلك اليوم امتاز رجلين ففقطعا راس الواحد
واكلوه واما الثاني فربطوه بحبال وعلقوه على شجرة فمات بعد ساعتين . وان
من عادتهم ان يذبحوا الناس اما في كل يوم واما في كل يومين مرة والمقتولون
هم من العبيد الذبن يستعبدونهم في حروبهم فياكلون السمان واما الضعفاء
فيعلقونهم على الاشجار ذبيحة للاصنام . والذي يعلقونه على الاشجار يجمع حوالة
جمهور من الناس لينظروا موته فمنهم من يشفق عليه ولكن الاكثرين يضحكون

ويستهزئون به . وهم يعتبرون الغنم والماعز أكثر من البشر . وإذا مات غني بينهم يدفنون معه في القبر خمسين عبداً وهم احياء ويسمون هذه الذبائح جُوجُو . وإن الشيخ الكبير المسمى وُوقطع شجرة كبيرة وذبح عليها خمسة من العبيد وسكب دمه على الشجرة وبعد ذلك سحبا الشجرة الى المدينة فعاد وذبح بنتاً صغيرة عمرها تسع سنين وعاقى جثتها على طرف الشجرة

والظاهر ان عبدة السودان تقرب من اعتقاد البوذيين في ان الانسان يكون في تخليده في الآخرة على ما كان عليه في الدنيا فهم يدبحون الرقيق بعد موت سيده ليحقق به ويخدمه في الدار الآخرة اذ انه يحتاج هناك اليه . وكذلك اهالي جزيرة برينو يفعلون كما يفعل الهنود وهو انه اذا مات هناك رجل عن زوجات اضطرت احب زوجاته اليه ان تقتل نفسها لتلحقه الى دار الآخرة لكن ليس لاحد منهم ان يقهرها على ذلك وانما اذا ابت حبيبت اولادها عن الارث وثبت الارث لاولاد زوجة اخرى تقتل نفسها لتلحق زوجها . واذا ماتت الزوجة ذبحوا معها عبداً ليعدها واذا كان الميت لا يملك شيئاً من الرقيق اشترى له عبداً وذبحوه معه . فاذا لم يذبح في الجنازة رقيق كانت نافصة . يجي ان ملكاً من ملوك الحاكمة ببلاد افريقية يقال له افرنج لما مات قتلوا جميع عبيده وكانوا الوفاً ثلاث مئة وستة وثلاثين من نسائه وكل هؤلاء دفنوه احياء بعد ان كسروا عظامهم . ولما مات اشاتي المدعو كوكودوا ذبح على قبره ٣٠٧٠ نفراً ولما مات الملك ادهرسو ملك بلاد داهومي سنة ١٧٧٦ م عمل له خليفة اكوينكرا مناحة عظيمة حسب عادة البلاد وامر ثمانية رجال ان يحفروا له قبراً طوله ست اذرع ويقبوا فوقه شبه قبة من الخشب ويضعوا عليها اصنافاً من الجواهر وفوق الجميع اعمدة ملفوفة بالحريز الفاخر ثم امرهم ان يصعدوا الى تلك القبة ويستعدوا للقتل ثم امر فقطعت رؤوسهم ورُميت الى الوحوش . ثم انتخب اربع وعشرين امرأة ليدفن مع الملك المتوفي احياء ففرحن فرحاً لا مزيد عليه لانهن يزعمن بانهن يكنن في العالم الآتي منتخبات الملك المذكور وكان

الملك اكوينكرا بوصيهن ان يغسلن هناك الملك ادهرسو بكل اكرام ويخبرنه
 باعشاب ذكية الرائحة ويوقدن له اللبان كل يوم ثم امر بذبح اربعة آلاف
 نفس اكراما له وليكون عنده من العبيد بقدر ما كان له في الدنيا غير ان من
 عادتهم ايضا ان يوزعوا عدد المعدن للذبح على مدار السنة لكي تطول مدة
 شظوظية شعب البلاد من هذا العمل . وكذلك الملك الحالي المسمى بادونك
 فانه لما خالف اياه منذ بضع سنين ذبح اكثر من اربعة آلاف شخص اكراما
 لابي وفي عيد جلوسه الواقع في ١٦ تموز سنة ١٨٢٠ م اشار لمن كان يحضره عن
 رجل مغلول اليدين وملثم وقال ان مراده برسله لابي في عالم الارواح ليخبره
 عن الحوادث الجديدة ثم ارسله فذبح على قبر المتوفي وبعد مرور ساعة حضر
 اربعة رجال ومعهم فرد وابل وطير كبير فقطع رؤوس الرجال الاربعة بعد ان
 امرهم بان يخبروا الارواح عن ما يعلو بحسب شدة نقواه وصلاحه من الاحترام
 اكراما لابي وامر الاول بان يبلغ ذلك الى الارواح التي تزور الاسواق والثاني
 يبلغه الحيوانات التي تعيش في الماء والثالث الارواح التي تسافر في الشوارع
 العظيمة والرابع سكان السفن وبعد ذلك ضرب راس الفرد والابل وقال
 للفرد ان يصعد على رؤوس الاشجار ويخبر جميع النفود عن هذه الاحتفالات
 وللابل ان يبشر جميع الحيوانات بما نظره من تلك الاعمال واما الطير فابقاه
 حيا واطلق سبيله لينبهر سكان الهواء عن تلك الامور العظيمة . ثم لما عيل عيد
 الكوستية وهي الجنازة العظيمة في ٢٩ تموز كان كل جمهور المدينة قد احاطوا في
 اليوم السابق بقصر الملك ليصرفوا الليل باجمعه هناك وعند طلوع الفجر اخذ
 الجميع في عويل مزعج نحو عشر دقائق ثم قتل مئة رجل من الشعب وذبح مئة
 من النساء داخل النصر ثم خرج الملك من بين اطلاق البواريد واصوات
 الفرح فمثل امامه تسعون من النواد ومئة وعشرون من الامراء والاميرات
 مقدمين له الطاعة والخضوع وقدموا له هدايا من العبيد ليذبحوا اكراما لابي
 ومن الغرائب انه كان هناك ثلاثة رجال من البورتغال اهدوا الملك ايضا

عشرين شخصاً ليدبحوا اكراماً لايه وبقراً وغنماً ومعزى وطيوراً ودرهم الى غير ذلك وفي اول آب دفن الملك المتوفى ودفن معه ستون رجلاً وخمسون من البقر ومثلها من الغنم والمعزى والضباع ومبلغ عظيم من دراهم تلك البلاد . ثم ان من العادة عند مثل هؤلاء الملوك اذا كانت اسرى الحروب الموجودة لا تكفي او لا تقوم بالمقدار المطلوب لتقديم هذه الذبائح المشومة فيأخذون الباقي من رعاياهم بالقرعة

ومن هذه الاحاديث الهزلة ما يروى عن بعض الشيوخ الذين قبلوا الديانة المسيحية في جزائر الشركاء بالبحر المحيط وكانوا يبيكون ويولولون بصراخ ودموع في يوم معلوم عينوه ليقدّموا فيه الشكر لله على دخول نور الانجيل بينهم وكان ذلك عند ما اخذ الاولاد في ترتيب نشائد الشكر في الكنيسة ولما سُئِلوا عن سبب ذلك اجاب احدهم قائلاً كيف يمكن ان لا ابكي واولادي لا يرتلون الآن مع هؤلاء الاولاد لكوني قتلهم بيدي لما كنت وثناً وكانوا ثمانية عشر وقال آخر وانا ذبحت اولادي وكانوا خمسة . ومنها ان احد الفسوس المسيحيين كان ماشياً في الصباح باكراً على شاطئ البحر في ليبريا غربي افريقية فرأى جمهوراً من السودان مقبلاً اليه وهم متسلحون وحاملون شيئاً ارادوا ان يخنقوه عنه وبعد ان عرف ذلك وجدّه بنتاً صغيرة ضعيفة بمجاله التفت من الجروحات اخذوها من والديها بالرضى والاختيار ليقدّموها ذبيحة لاله ذلك النهر ازعمهم بانه امات بعض اناس غرقوا فيه لكونه يطلب ذبيحة دموية بشرية ولم يرتض منهم بتقديمه من الزيت والخمر او عظم الفيل ولذلك اجتمع ديوان من مشيختهم وحكموا بتقديم هذه البنت ذبيحة له ومن ثم خالصها منهم ذلك المبرر واخذها الى بيته

ومن عاداتهم ايضاً اذا كان المولود سمي التركيب فانهم يقتلونه ومنها انهم يعتقدون في السحر ومنهم جماعة يدعون معرفته ويحصلون بذلك المال والجاه وهم كثيرون جداً لرواج صناعتهم ولذلك كان غالب

الناس بهذه البلاد يرغبون الدخول في هذه الحرفة
ومن مزعوماتهم انه لا يموت احد فجأة الا مسجورا فلما مات احد
مشايخهم وكان اسمه امبومو موتا فجائيا اجتمع الكهنة واتهموا ثلاثا من النساء
بانهم هن تسببن في موت الشيخ المذكور بسحرهن فتراخص جمهور الاهالي بصوت
واحد رافعين الاسلحة وصارخين يطلبون امتحانهم بشرب السم لكي يعرف هل
هن المذنبات ام لا ولما قبضوا عليهن انزلوهن في قارب وسط النهر وسقوهن
السم الميت فوقعن جميعهن موتي فعند ذاك حكموا عليهن بانهم مذنبات
وهملوا عليهن بالسيوف والفؤوس وقطعوا رؤوسهن واجسادهن قطعاً واشترك
معهم في ذلك اخ واحد من تلك النساء حال كونه عارفا بان اخنثة بريئة ما
اتهمت به من معرفة السحر والجميع كانوا يشتمونهن ويلعنونهن وان كن من
اقربائهم . وكذلك جرى في موت ابن الملك اذا غربي افريقية فانه سيق الى
الحكمة ستون امرأة من نساء لينبتن براءتهن ولما شربن السم مات منهن احدى
وثلاثون امرأة والبقية حسبن بريئات لكونهن لم يمتن وذلك بناء على ما
يزعمون من ان للسم عيوناً فاذا نزل الى المعدة يفتش على الخطية واذا وجد
شيئاً منها يجل في المعدة ولا فيخرج من دون اذى وكذلك كان يجري في
ملاكسكرا احدى جزائر المحيط قبل ان تنصر اهاليها وكانوا يسمون هذا الامتحان
باسم التابغينا وبواسطته كان يموت في تلك الجزيرة نحو ثلاثة آلاف نفس في
كل سنة

ومن حكاياتهم التي تخرج الحزن بالضحك هو انه كان في بعض المخلات
التي قبلت حديثاً الديانة المسيحية وأقيم فيها كهنة عن عهد قريب شماس
مسن وكان من اهل النفوس والصالح فأت عندما كان المبشر يطوف غير
شمالات للتبشير ثم لما رجع المبشر المذكور من سياحته ولم يجده سال عنه
فاخبروه بموته فسألهم عن قبره فاجابوه بانه لما كان من اهل العبادة ومشهوراً
بحسن السيرة لم يستحسنوا دفنه في التراب وانما اكلوه ليدفنوه في بطونهم . ومنها

ان رجلاً من امراءهم طلب الدخول في دين النصرانية فتوقف القسيس عن قبوله حيث كان متزوجاً بست زوجات فغاب ثم عاد اليه بعد مدة واعاد على القسيس طلب الدخول في الديانة المسيحية حيث لم يبق هناك مانع يمنع من قبوله فقال له القسيس وماذا فعلت في ازواجك فاجابه ابقيت واحدة وكلنا الباقي. ومنها ان زنجياً قوياً شديداً اتى بولده وكان بالغاً ليبيعه للافرنج المتوطنين بتلك البلاد وكان الولد صاحب حيل وله معرفة ببعض اللغات الغربية فقال للافرنج بلسانهم ان والدك اقوى منه واطول واعظم فهو الاول بالاخت والشراء بدلاً عنه فاخذوه فصاح الاب يقول ليس للابن حق ان يبيع اباه والعكس معهود. ومنها ان بعض الزوج كان اذا ضربه سيده يقول له اضرني يا سيدي كما تريد ولكن لا تشتم امي

ومنها ما يحكى عن غرائب احوال ملوكهم فقد روى احد سياح الديمارك عن سلطان امية من السودان يقال لها الاسينطة انه ذهب الى حضرة فراه جالساً على كرسي من الذهب في ظل شجرة اوراقها من الذهب وهو مخيف البنية مسلول البدن طويل القامة طويلاً خارجاً عن العادة ومدهون بدهن عليه رق من النبر وعلى راسه قلنسوة اشبه ببرنيطة عليها شريط عريض من القصب وله حزام من القماش المنصب من الراس الى القدم ومزين بالمرجان والعقيق واللآلئ وما هو كالاساور ومنها ما هو كالشارنج والسلاسل ورجلاه موضوعتان ايضاً في طست من الذهب وكبار مملكتهم مسطوحون على الارض وروؤسهم مغطاة بالتراب ونحو مئة نفس من ارباب الدعاوي والشكاوي في هذه الحانة عينها ووراءهم عشرون سيافاً بسيوفهم مجردة من اغنادها في ايديهم ينتظرون امر الملك الذي هو في اغلب احواله يامر بقطع رقاب كل من المدعي والمدعى عليه قطعاً للتراع وحسماً للتطويل ثم بعد ان مرجع جماعة لم تنشف دماؤهم قرب من الكرسي فشرع سعادة علي الشان صاحب النور يخاطبه بالطف خطاب وهو يجاوبه بارق جواب فكان من جملة كلامه له ان

قال اوذان تبقى عندنا مدة ايام لتكون عندك معرفة بعظمتنا فهل رايت طول
عمر ك نظير ما ترى هنا . فاجابه لا يا مولانا الملك لم ار لك نظيراً في الدنيا
على وجه الارض اصلاً . فقال . صدقت ان فاقني احد في علو الشأن فهو رب
السموات والارض والفرق هين . وكان يشرب البوظة الانكليزية في قزارة
فشرب ثم اعطاها له عقب شربه فشرب منها يسيراً واعذره بان هذا الشراب
يسكره . فقال له الملك ليس الشراب هو الذي يسكر انما الذي يسمر عقلك
هو نور وجي الذي يدهش جميع اهل الكون ويجبر البائس . وحارب هذا الملك
اميراً شجاعاً يقال له ارسوة ملك الحاكمية فلما وقع في يده قتل نفسه فامر
باحضار راسه ووضع فيه حلقات من الذهب وجمع ديوانه وشرع يقول ها هو
الامير الذي لا نظير له في الكون غير واقع على الارض . يا اخي لماذا لم تعترف
لي باني اعظم منك وانك دوني ولكن قد توهيت ان تجد فرصة وتنتلني لانك
ترغب ان لا يكون في افطار الارض الا واحد عظيم فقط وانه لا ينبغي تعدد
الملوك الكبار و اردت ان تكون عظيم الملوك وفي الواقع رايت حسن وينبغي
الملوك الكبار ان يروا مثل هذا الراي . ونقل آخرا ان الملك ادونك ملك
داهومي بعد ان فرغ من احتفال دفن ابيه علما ما سبقت تفاصيله وقف على
العرش واستل سيفه وقال قد صرت متسلطاً على هذه المملكة وانني ساضع جميع
اعداء الملك المتوفى موثقاً لقدمي . ثم بعد ان تم احتفال جنازة ابيه ونثر على
الناس كثيراً من الكوريس وهو نوع من الودع يتعاملون به كالنفود وخلع عليهم
كذلك انواع الملابس اخذ في ان يلقب نفسه القاباً مضحكة منها افورسيويكتور
اي الملك الثقليل الذي لا يقدر احد ان يرفعه عن الارض . وملك التنانين
وملك الظل . وما اشبه ذلك من الالقاب . واذا قال احد من اهالي بلاده
عنه ان الملك يموت او ياكل ويشرب كباقي البشر او ينام فيحسب عليه ذلك
ذنبا عظيماً يستحق لاجله الموت . وفي بعض بلاد السودان متى قام الملك عن
المائدة ينادي قائلاً قد شبعت فلما اكل من شاء من اهل الدنيا . وذكر بعضهم

انه من عادة بعض ملوك النرج ان لا يلبسوا حذاء في ارجلهم ولا يمشون بغير ظل
شمسية اذ انهم لا يتناولون الى الاحتياج لشيء من ذلك . وانما يزينون قصورهم
بجهاجم الاعلاء وعند ما يجلسون على كراسيهم يضعون منها تحت ارجلهم . قال
بعض الكتبة ان ارما اي علامة ملكة داهومي في غربي افريقية مصنوعة من
رأس انسان ميت وكل من دخل هذه الملكة يرى ان الجاهم معتبرة جداً
عند اهلها حتي ان حائط القصر الملكي وقوائم ابوابه وأغلاقيه جميعها مزينة
بالخوف من الجاهم وكذلك حرش الملك مزين بها ومركب على رؤوس اناس
من الاموات وعلى اسفله جاجم ثلاثة من الملوك قتلوه في الحرب وساحة القصر
مرصوفة بالجاجم واثن جواهر ما كنهم الجاجم الفضية التي هي زينة القصر الملكي
وراية حكومتهم والصولجان الملكي لا اعتبار له عندهم ان لم يكن رأسه مزينا
بزر كالحججبة من الفضة وهذا الصولجان بحلة ملكهم بيده كلما رقص امام رعاياه
عند تقديم ذبايحهم التي يتخذونها من الناس الذين بأسروهم في الحروب كما
تقدم الكلام على ذلك ويحكى انه في سنة ١٧٨٥ م استظهر هذا الملك على ملك
البدكري الذي عاصمة بلاده واقعة على شاطئ البحر وذلك بعد حرب شديدة
فطلب ملك داهومي من ملك البدكري ضريبة قدرها سنة آلاف حججبة
فقدم له ٥٨٧٣ والنزم ان يذبح ١٢٧ من المسجونين ايضاً لكي يكمل العدد
الذي طلبه علامة للنصر فاتخذ ملك داهومي تلك الجاجم زينة لنصره ومن
عادة اهلالي بلاده ان من اراد ان يمدح الملك او يدعوه بالنصر يتلو على
مسامعه ما معناه ان الملك يسير بالدم منذ جاوره على العرش الى وفاته
ويروي كل سنة قبور سلفائه بدم البشر . وقد ذكرنا في ما مرّ تقديم الذبايح
البشرية على قبر من يموت من ملوك السودان وصيغة القبر الذي عمله الملك
اكوينكرا الى سلفه ادهرسو وقد وضع في هذا القبر ايضاً برنيطة ذات ثلاثة قرون
وست عصي بازرار ذهبية وفضية وقليلاً من التبغ مع غليون وهذه يحسبونها اعظم
اكرام يقدم للملوك وفي اواسط تشرين اول سنة ١٨٦٠ م قدم الملك ادونك

ملك داهومي هدية الى روح ابيه وهي عجلتان صغيرتان ودوايب وثلاثة
مفاتيح وابريقان للشاي وعلة للسكر واخرى للزبدة وهي جميعاً من الفضة النقية
ووسادة فاخرة موضوعة على عجلة تجر بالايادي وكان ست من جيش النساء
الاتي ذكره مزعمات ان يوصلنها الى القبر ثم يذبحن بعد ذلك اكراماً له

ولما كانت اهل هذه البلاد بغاية الوحش ولا يفرقون الحلال من الحرام
كان كثير من قبائلهم لا يعرفون الزواج الشرعي بل كالبهايم السارحة في القلاة
وعند بعضهم يكون الزواج نوعاً من الخطف فكان الخاطف يخطف من
يريدها ويحفظها في داره ثم يتفق مع اهلها ويكون مصير ذلك الى الاحتفال
العظيم . واذا مات احد من الاكابر او الملوك دفنوا زوجاته معه على ما ذكرنا
ذلك في الكلام على سبب ذبح البشر في الجنائز وكانت تلك النساء المنكودات
الحظ يتغالبن بكل شراسة في السرور بدفنهن احياء مع ازواجهن لان كل
واحدة منهن تريد ان تدخل القبر اولاً والبعض من الاشراف يرضون
اجسادهن بالمقامع اولاً ثم يطرحونهن في النيران احياء ويلقون عليهن التراب . وفي
مملكة داهومي تدخل النساء في ميادين الحرب كالرجال وللملك جيش عظيم
مؤلف من جماعة منهن وهن جميعاً عبات له يفعل بهن ما يشاء وعند الحرب
يدافعن عنه بكل بسالة وجراءة الى آخر نسمة من حياتهن وكل اولادهن له
واذا كانت احدهن تريد ان يكون ابنها لها خاصة تشتريه من الملك بمبلغ
معين قدره عشرون الف كوريس وهو معاملة سبقت الاشارة اليها

وما ذكر تعلم حالة الاولاد في تلك البلاد فان منهم من يقدمه ابواه قرباناً
ومنهم من يقتلوه اذا كان سيئ التركيب . ومنهم من يبيعه قومه الى الاجانب .
ومنهم من تاخذ ملوكهم نظير اناوة ويبيعونه ايضاً . ومنهم من ياخذونه بالقرعة
للذبح . ومنهم من تخطفه القوافل وتجار الرقيق ليبيعوه في شوارع الامصار . ثم
من تبقى بعد ذلك جميعهم عاش متربياً تربية لا تفرق عن حالة الدواب وغيرها
من الحيوانات

قال بعض المؤلفين ان الزنج ادنى انواع الادميين واخسهم وان بيعهم ليس من العيب في شيء اخرهم من الدواب والوحوش فانهم بالحقيقة لا يصيرون ادميين الا بعد بيعهم واسترقاقهم ومن الصواب اعتبارهم ارق من الارقاء في بلادهم بين ظلمتهم الذين لا يرثون لحاظهم الا ان البلوى عمّت فان اخذ الارقاء من بلادهم قد يقوي التجار على سرقة الاحرار من بين اهلهم وتفريق الوالدة عن ولدها وبيعهما في البلاد الغريبة . ثم ان ما برى عند الارقاء من الامانة والفلاح يجعل الانسان ان لا يئأس من انهم يتعلمون كغيرهم من الامم وانه ينبغي لاهل الخير الاخذ في اسباب تمدنهم وتوليد الترقى عندهم بالمخالطة مع غيرهم هذا واني لمعترف هنا بانني قد اطلت الكلام حتى كآني اولف في عوائد هذه البلاد وربما خرجت عن المقصود بايراد بعض القضايا والحكايات على اصلها مع انه لا حاجة في مثل هذا الى الموضوع الذي تكون مبنية عليه واخذة منها بمفرده ملخصاً ولكن ما ذاك الا لاجعله مصداقاً لما قاله البعض من ان اكثر الضلالات تنولد بين الناس من الخطأ في العنايد الالهية ولا يعصم منه الا كتاب الله وحده

الفرقة الثالثة الكتابية

اي الشعوب اصحاب الوحي المستندون في معتقداتهم
على الكتب السماوية

لا يخفى ان جميع الشعوب التي تعبد واجتنب الوجود وتقر بوحداية الباري تعالى يبلغ عددها في جميع اقطار العالم نحو ٤٤٦ مليوناً من البشر وهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام كبرى القسم الاول منها اليهود . والثاني النصارى . والثالث المسلمون . ونحت كلٍ منهم فروع سوف ياتي ذكرها

ويجهمهم كافة هذا الاعتراف الذي كتب باصبع الله جلّ شأنه على الألواح
الحجرية المنزلة على موسى النبي مشرع الديانة اليهودية وله شهادة اقامها سبحانه
تعالى مكتبة بنور الطبيعة على قلوب البشر ايضاً وهو كما جاء في التوراة (خروج
ص ٣٠) ويسى وصايا الله العشر

اولاً انا الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية
لا يكن لك آلهة اخرى اماي

ثانياً لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ما في السماء من فوق وما في
الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهم ولا تعبدهم لاني انا
الرب الهك غيور افتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع
من مبغضي واصنع احساناً الى الوف من محبي وحافظي وصاياي

ثالثاً لا تنطق باسم الرب الهك باطلاً لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه
باطلاً

رابعاً اذكر يوم السبت (ومعنى السبت راحة) لتقدس ستة ايام تعمل
وتصنع جميع عمالك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما
انت وابنك وابنتك وعبدك وامتك ونهيمةك ونزيلك الذي داخل ابوابك
لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم
السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدمه

خامساً اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك
الرب الهك

سادساً لا تقتل

سابعاً لا تزني

ثامناً لا تسرق

تاسعاً لا تشهد على قريبك شهادة زور

عاشراً لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته

ولا ثوره ولا حمارة ولا شيئاً مما لفريقك

ثم ان الفرق بين من يعمل بهذه الوصايا او بعضها بمجرد نور الطبيعة وبين اهل الكتاب هو ان اصحاب الطبيعة يسلكون في ذلك سلوكاً ادبياً مبنياً على محبة الذات وشرف الانسانية فلا يرتكبون ما يخالف شيئاً منها ظاهراً خجلاً من الناس ووقاية لناموسهم الذاتي ولا يخشون الا عار الفضيحة فقط واما الطائعون من اهل الكتاب فانهم يسلكون بموجبها ظاهراً باطناً لجرد طاعة الله وخير القريب ورغبة في وعد الله ورهبة من وعيده

واما الخلاف فيها بين اهل الكتاب فهو اولاً ان النصارى دون غيرهم يعتقدون ان الله الموحد بالذات هو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس والتقليديون منهم يستعملون التماثيل والصور في كنائسهم ويعتبرون ذلك كنارنج صامت لمطالعة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة . ثم الاسلام يعتبرون يوم الجمعة بأنه افضل سائر ايام السبّة وانما لا يتجنبون فيه الاشغال الا نادراً . واما النصارى فانهم يبدلون يوم السبت المحفوظ عند اليهود بكل تدقيق يوم الاحد لسبب من اعظم الاسباب الدينية عندهم يفضلون به هذا اليوم على يوم السبت لكن التقليديين منهم لا يعاؤون بحفظه كما الواجب . واما الانجيليون فلا يميزون فيه ادنى عمل الا عمل الخيرات والمبرات فقط . ولا تكفي التعاليم الانجيلية بنهي المسيحيين عموماً عن ارتكاب ما يضاد هذه الوصايا بذات الفعل فقط بل وعما يضادها بالتقول والفكر ايضاً فتوضح لهم ان محبة المال هي شرك بالله بل وكل ما يلقي الانسان عليه انكالة ويصرف اليه كل قلبه من الامور الدنيوية هو من قبيل الشرك ايضاً . وان كل قسم وحلف سواه ذكر فيه اسم الله ام لا هو توسل اليه تعالى ولذلك يكون المقسم بها ملتزماً على حده سوى غير انه لا يحكم بعدم جواز الاقسام التي يحكم بها الشرع ويجب ان تكون باسم الله فقط وبكل وقار واما فيما عدا ذلك فيكون كلامهم اما لا اذا كان لا واما نعم اذا كان نعم . وتامر ببر الوالد بن ولا تسمع للوالد ان يجسوا برهم عن والديهم

ولو كان بواسطة نذيري قربانا لله . وان كل من يتوغل بالغفلة والغضب بدون داعٍ والاخلاق الخبيثة والميل الى الانتقام يُحسب عند الله قاتلا في قلبه ويقع تحت طائلة دينوته العادلة . وان كل من يربي فيه تصورات وشهوات تثل العفة بحسب زانياً وهكذا الخ

الكلام على اليهود

يقال ان بني اسرائيل يبلغ عددهم الآن نحو ستة ملايين من الانفس ولا يدخل تحت حكمهم شيء من الارض بل هم داخلون تحت حكم غيرهم ومتفرقون في سائر اجزاء القارات قال بعض المؤلفين ان منهم في بلاد المسكوب مليون وثلاث مئة الف نسمة وفي فرنسا ثمانون ألفاً وفي بلاد الانكليز ستة وثلاثون ألفاً وفي بلاد النمسا ثمان مئة الف وخمسون ألفاً وفي بروسيا مئتان وخمسون ألفاً وفي جرمانيا خمس مئة الف وفي البلجيك والفلانك سبعون ألفاً وفي اليونان ثمانية آلاف وفي بلاد الدولة العثمانية مئة واثنان وعشرون ألفاً وفي شمالي افريقية ست مئة الف وفي شرقي اسيا خمس مئة الف وفي اميركا اربع مئة الف ولم يكن محل من الارض خالياً منهم بل قد وصلوا الى ما عجز عن الوصول اليه انشط السياح واشجعهم

ومشترع هذه الديانة هو موسى بن عمران الذي اخرج هذا الشعب من ارض مصر في سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وهو الذي اعطاه الله الاواح الحجرية المكتوب فيها الوصايا العشر التي كما بصددتها . والشرعية التي جاء بها دونها في خمسة اسفار تسمى بالتوراة وهي منضمة مع سائر كتبهم الدينية في كتاب واحد يطلق عليه عند النصارى العهد العتيق ويضمون اليه كتبهم الدينية المسماة بالعهد الجديد ويعملون الكل واحداً يسمى بالكتاب المقدس

وهذا العهد العتيق يحنوي على كل تعاليم الديانة اليهودية ويقسم بحسب ذلك الى ثلاثة اقسام الاول تاريخي والثاني طقسي والثالث نبوي
 اما التاريخي فيقسم ايضاً الى قسمين الاول كتبه موسى النبي الشارع المشار اليه والثاني كتبه احبار هذا الشعب وعلماءه وانبياءه غير موسى
 اما موسى فيخبر عن خلق العالم ويظهر منه انه كان قبل المسيح باربعة آلاف سنة على مقتضى التوراة العبرانية والمقصود من خلق العالم ليس هو خلق السموات والارض اذ انه لا يعين لذلك وقتاً وانما القصد اصلاح الارض التي كانت وقتئذ خربة خالية وابداع كل الموجودات التي اوجدها فيه سبحانه جل وعلا
 في ستة ايام . فان في اليوم الاول خلق النور وفي الثاني خلق الجلد المسمى سماء وفي الثالث جميع المياه التي كانت غامرة سطح الارض الى امكنة معينة وظهر اليابسة وسمى مجتمع المياه بحاراً واليابسة ارضاً وانبت فيها الاعشاب والاشجار وكل انواع النباتات . وفي الرابع خلق الكواكب . وفي الخامس خلق الحيتان البحرية وطيور السماء . وفي السادس خلق الوحوش وكل انواع الحيوانات والذبابات . وفيه خلق الانسان ايضاً وسلطه على جميع تلك المخلوقات البرية والبحرية

وان آدم هو اول انسان خلقه الله من نوع البشر واسكنه في جنة غرسها في شرقي عدن وانبت فيها من الارض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للاكل وفي وسط تلك الجنة شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر واوصى آدم ان ياكل من جميع الاشجار ما عدا هذه الشجرة الاخيرة وهدده بانّه في اليوم الذي ياكل منها موتاً يموت . ثم طرح على آدم سبات النوم واستل ضلعاً من اضلاعه وملاً مكانها لحماً وبني على تلك الضلع حواء واعطاها الى آدم امرأة بعد ان احضر اليه كل الحيوانات البرية وطيور السماء ليرى ماذا يدعوها فكان كل ما دعى به آدم ذات نفس حية اسماً لها . ثم اغرت الحية التي هي نوع من هذه الحيوانات حواء على الاكل من شجرة معرفة الخير والشر فاكلت واطعمت زوجها آدم معها ايضاً

وكان ذلك سبباً لطردها من جنة الفردوس وإسكانها على سطح الأرض قصاصاً لها وقال لآدم أنه بالنفخ يأكل منها كل أيام حياته فيما كل خبزهُ بعرق وجهه حتى يعود إلى الأرض التي أخذ منها لأنه تراب وإلى التراب يعود وأما حواء فنال لها أنه يكثر انعاب حبلها وبالأوجع تلد اولادها وإلى رجلها يكون اشتياقها وهو يسود عليها . وقاص الحية أيضاً بلعنها وإن يكون سعيها على بطنها وتأكل تراباً كل أيام حياتها ثم وضع العلاقة بينها وبين المرأة وبين نسلها أما نسل المرأة فيسحق رأس الحية وأما الحية فتسحق عقبه . ومن نسل آدم هذا وامراته حواء امتلأت الأرض من الناس وانتشر الجنس البشري في جميع أقطارها ثم من بعد سقوط آدم وزوجته وهبوطها إلى الأرض ابتدأت الخطية تتسلط على نسلها وأول مفعولها كان في قايين بكر آدم فانه قتل اخاه هابيل حسداً لكونها كانا كلاهما قد قدما قرايين لله فقبل الله قرايين هابيل التي قدما من ابكار غنم ولم يقبل قرايين قايين التي كانت من اثمار الأرض . وبعد ان قتل اخاه طرده الله من امام وجهه ثم بعد ذلك اختلط نسل شيت ثالث اولاد آدم مع الاشرار وامتلات الأرض من الجرائم والفساد ولذلك امر الله بالطوفان العام واهلك به جميع العالم ما عدا نوح وعائلته بواسطة فلك امره بانشاءه قبل ذلك واوى اليه بعد ان اصحب معه من كل انواع الحيوانات والذبابات وطيور السماء بحسب امره الله وبذلك صار هو اصلاً ثانياً بعد آدم للجنس البشري وكان ذلك سنة ١٦٥٦ بعد خلق آدم ثم قطع الله مع نوح عهداً بانه لا يعود يضرب الأرض بطوفان آخر وجعل قوس قزح الذي يظهر في السحاب علامة لما الميثاق واباح له ولنساؤه اكل لحوم الحيوانات كما ياكلون العشب الاخضر وإنما لا ياكلون لحماً بحياته (دمه) . ومن نسل هذا الرجل نوزع الجنس البشري على سطح الأرض على ما تقدم . ولما كان له ثلاثة اولاد ذكور وهم سام وحام ويافت استقر نسل سام خصوصاً في اسيا ونسل حام تشتت في افرقيا ونسل يافت استقر في اوربا كما يستنتج ذلك من الاصحاح العاشر من سفر التكوين

وان بعد الطوفان المذكور ببرهنة وجيزة عزم نوح ان يبني مدينة
وبرجاً راسه بالسما ويصنعوا لانفسهم اسماً كي لا يتبددوا على وجه كل الارض فلم
يسر الله بهذا العمل بل بلبل السنتهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض وددهم
على وجه كل الارض ولذلك كفوا عن بناء ما شرعوا به ودعي اسم تلك المدينة
بابل لان هناك بلبل الله لسان كل الارض

والظاهر انه في ذلك الوقت انتشرت الديانة الوثنية في العالم حتى غمت
وجه الارض فاراد الله ان يختار له شعباً لاجل حفظ الديانة الحقيقية وان كان لم
يصرح بذلك في تاريخ موسى على هذه الصورة لكنه يؤخذ بالنتيجة من ماجريات
ابراهيم ونسبه فان هذا الرجل كان ساكناً في اور الكلدانيين فدعاه الله وامره ان
يترك ارض ميلاده ويذهب الى ارض كنعان لكي يعبد ويخافه فيها ووعده
بانه يكثر نسله ويعطيه اياها ميراثاً وكان ذلك نحو سنة ٤٢٠٠ بعد الطوفان .
ثم بعد ان انتقل اليها وضع له سنة الختان علامة للعهد بينه وبينه وان يكون
ختان الطفل المولود في اليوم الثامن من مولده . ومن ابراهيم هذا ولد اسماعيل
جد العرب المستعربة من هاجر المصرية أمة زوجته سارة التي كانت اخوته من
ايه واخيراً طرده هو وأمة فذهب واقام في بركة فاران وكان ذلك بامر الله
ثم وعد الله ابراهيم بانه يجعل اسماعيل هذا أمة عظيمة . وكان سبب طرده اياه
سارة المذكورة بعد ان ولدت لابراهيم ابنة اسحق وهي ابنة تسعين سنة وزوجها
ابن مئة سنة . ثم لما كبر اسحق امتحن الله ابراهيم بطلبه منه ان يقدم اسحق المذكور
ضحية لكن لما اطاع ابراهيم هذا الامر الالهي وشرع في ان يذبح ابنة افئدة الله
بكش اوجهه له ووعده بانه يكثر نسل هذا الغلام وان ينسبه بتبارك جميع ام
الارض وهو الذي ولد يعقوب المدعو اسرائيل ويعقوب ولد اثني عشر ابناً هم
آباء اسباط اسرائيل الاثني عشر (وقد اشتهر بين هؤلاء الاسباط لاوي الذي
كان منه موسى النبي المشار اليه واخوه هرون الذي اخنص هو ونسله برياسة
الكهوت كما ان باقي المسبط استقل بخدمة الامور الدينية وكذلك سبط يهوذا

الذي كان أشدَّ بأساً من الجميع وصار صاحب السلطة الملكية الى ان انقرضت دولة اليهود نحو الزمن الذي ظهر فيه المسيح . وكان اشار الى ذلك يعقوب ابو الاسباط عندما دعا بنيهِ قبل موته لينبئهم بما يصيبهم في آخر الايام . فكان من جملة ما قاله لكل واحد منهم انه قال لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتي ياتي شيلون وله يكون خضوع شعوب الخ)

ثم بعد ما يتكلم موسى النبي عن تفاصيل ما جرى لابرهم مدة اقامته في ارض كنعان ورحلاته التي في خلال المدة ووفاته زوجته سارة وهي ابنة ١٢٧ سنة وزواجه بعدها بامرأة اسمها قطورة وما ولد له منها ومن سراريهِ الآخر ووفاته وهو ابن ١٧٥ سنة يتكلم ايضا عن ماجريات ابنه اسحق واولاده عيسو ويعقوب بكل تدقيق وما جرى بينهما من التنافر واسبابه وهرب يعقوب الى ارض الكلدانيين من وجه اخيه واقامته عند خاله المدعو لابان وزواجه بابنتيه ليئة وراحيل بعد ما خدمته لاجلها اربع عشرة سنة ثم رجوعه الى ارض ميلاده بثروة عظيمة وما جرى بعد ذلك من اولاده الذين باعوا اخاهم يوسف الصغير بينهم الى الاساعيليين الذين نزلوا به الى مصر وباعوه هناك وما جرى له من الحوادث مع امرأة مولاة فوطيفار وبعد ان تسببت في سجنه سبع سنوات اتصل بفرعون بواسطة تفسيره لاحلامه وكان ذلك سبباً الى توليته من قبل فرعون مسطاً على جميع اعمال مصر ونزول ابيه يعقوب وسائر اولاده اخوة يوسف الى هناك واقامتهم في عين شمس وتغريهم ونسلم من بعدهم مدة اربع مئة سنة احتملوا فيها من المصريين ما لا يوصف من الاضطهاد الذي اضطرهم فيه اواخر المدة الى طرح اطفالهم في النهر خوفاً من فرعون لانه كان امر وقتئذٍ بطرح صبيانهم فقط اي دون البنات فيه نظراً لما كانوا عليه من النمو والكثرة حذراً من ان ينضموا الى جيش عدو بحارب المصريين

وكان من جملة من طرح في النهر من الاطفال موسى النبي الشارع المشار اليه بعد ان خبأته امه نحو ثلاثة اشهر بعد مولده واخيراً لما لم نجد بداً من

طرحه وضعتة في سبطٍ مطليّ بالزفت والفته بين الخلفاء على حافة النهر فاراد الله ان تجده هناك ابنة فرعون ملك مصر فاخذته وربته وجعلته لها ابناً وسمته موسى ومعناه منشول من الماء. ثم بعد ان كبر قتل رجلاً مصرياً انتصاراً لرجل من قومه العبرانيين فبلغ الخبر الى فرعون واراد ان يقتله فهرب وسكن في ارض مديان وتزوج بامرأة اسمها صفورة بنت كاهن مديان وبقي هناك الى ان ظهر له ملاك الله بلبس نار من وسط عذيقه وامره ان يذهب الى فرعون ويخرج بني اسرائيل من ارض مصر لانه اكل ارض التي وعد الله ابراهيم ان يعطيها ملكاً لنسائه فاستعفى موسى في ابتداء الامر من هذه الرسالة لكن اخيراً اطاع الدعوة بعد ان اعد له الله من عمل الآيات والمعجزات ما يوجب تصديق هذا الشعب اياه بانه ارسل من قبل الله لاجل خلاصهم

وكان موسى استغبر من الملاك عن اسم اله اسرائيل . وقال اذا قلت للشعب اله آبائكم ارسلني اليكم وسألوني ما اسمه فاذا اقول لهم فقال له أهية وياه اله ابراهيم واسحق ويعقوب (وفي مواضع اخرى من الكتاب قيل بانه كان معروفاً عندهم بالفادر الكافي فقط ولم يعرفوا ان اسمه الله)

ومن ثم نزل موسى بهيمه الى مصر وذهب مع اخيه هرون الى فرعون وطلباً منه اخراج الاسرائيليين ليعبدوا الله الهم في البرية لكن الله قسى قلب فرعون كي لا يجيب طلب موسى حتى يظهر الله آياته ومعجزاته ويخرجهم بقدرته الهية وآل الامر ان ضرب الله المصريين عشر ضربات بعد كل ما اجتريه موسى من الآيات مجصرة فرعون وحكام المصريين وسجنهم وعرفهم الى ان سمح فرعون بخروجهم عند الضربة الاخيرة وهي قتل كل ابناء المصريين من الناس والبهائم وبسبب ذلك وضع الله على بني اسرائيل سنة عمل النصح فداء عن ابنائهم كي لا تشاهم الضربة مع المصريين الذين كانوا وقتئذ ساكنين فيما بينهم وكان ذلك سنة ٤٣٠ من دعوة ابراهيم كما ذكرنا

ثم لما خرج بنو اسرائيل ووصلوا الى البحر الاحمر ندم فرعون على اطلاقهم

وساق جيشه ومركباته لاجل ارجاعهم . فامر الله موسى فضرب البحر بعصاه فانشق وعبر بنو اسرائيل على اليابسة واراد فرعون ان يعبر خلفهم في البحر فرد الله عليه المياه وغرق هو وكل جيشه بتمامه

ثم بعد خمسة واربعين يوماً من خروجهم وصلوا الى جبل سيناء وهناك اعطى الله موسى النبي الالواح الحجرية وفيها وصايا الله المشر التي سبقت الاشارة اليها واعطاه ايضاً الشرائع السياسية وبعدها الطقسية لكي يمارسها بنو اسرائيل ويسلكوا بموجبها ولم يدع الله هذا الشعب ان يدخل ارض كنعان حالاً لعصاوتهم او امره في افتتاح الحروب التي امرهم بها مع سكان البلاد بل ابناهم اربعين سنة في البرية تحت قيادة هذا النبي وكان يعولهم بالحن والسكوى طعاماً ويجري الماء من صخرة لشربهم واما اثوابهم واحذيتهم فلم تنهراً وبقيت على ما هي عليه الى ان امتلكوا البلاد وبعد تمام الاربعين سنة مات موسى النبي وخلفه يشوع بن نون والى هنا ينتهي القسم الاول من التاريخ

واما القسم الثاني من التاريخ وهو الذي كتبه احبار هذا الشعب وعلماءه وانبياءه غير موسى فيحنوي على الحروب التي اجراها يشوع بن نون خليفة موسى مع ملوك الارض وشعوبها وتغلب عليهم وتقسيم اراضيهم واملاكهم على بني اسرائيل وانتقال الحكم من بعده الى القضاة ثم الى الملوك الذين كان اولهم شاول بن قيس من سبط بنيامين وثانيهم داود النبي ابن يسى من سبط يهوذا وبعده ابنه سليمان الذي بنى بيت الله الشهير في اورشليم والى هذا البيت كانوا يحجون في كل سنة ليعملوا فيه عيد الفصح وفيه يقيمون صلواتهم ومناسكهم وتعبلاتهم واليه يقدمون قربانهم ونذورهم على يد الكهنة من سبط لاوي الذين سبقت الاشارة اليهم ثم ما بقي من متعلقات هذا القسم التاريخي ليس هو من موضوع كلامنا فلا حاجة الى تفصيله اذ لا يوجد فيه شيء من مبادئ الديانة اليهودية وآدابها الاصلية

ولنأت الى القسم الثاني من العهد العتيق الذي هو الطقسي فان فيه توجد

هذه المبادئ المذكورة وهو يتضمن أولاً تكريس هرون اخي موسى وبنوه لخدمة الكهنوت وما يتعلق بالشرائع والقوانين لتقدس اللاويين وتعيين ما ينبغي اعطاؤه لهم من الاملاك والعشور والنذور وغلات البيادر وفطر المعاصر واولئ الفطاف وباكورة الاثمار وابكار الانعام وسائر الحيوانات . اما ابكار البنين فيؤخذ عنهم مقدار معلوم من الفضة فداء لان الله اتخذ سبط لاوي لخدمته بدلاً عنهم

ثانياً الشرائع والنظامات المختصة بالذبايح والقرايين وهي تشرح بالتدقيق الذبايح المتنوعة التي ينبغي ان تكون من الحيوانات والطيور المعينة اظهارها ونقاوتها وكيفية تقديمها لاجل المحرقة والسلامة والخطية والاثم مع الابانة عن انواع الخطايا التي تتقدم لاجلها . والنهي عن تقديم البين والبنات محرقات كما يفعل الوثنيون الذين يحرقون اولادهم قرباناً لآلهتهم ثم تفصيل السنن المتعلقة بالنجاسات والاعطيات المختلفة والملابس والمأكول . ومنها النهي عن طبخ الجدي بلبن امه

ثالثاً السنن المتعلقة بالاعبياد وهي تشمل ثلاثة اعياد يعيدونها لله في السنة وهي عيد الفطير او الفصح الذي مر ذكره . وعيد الحصاد . وعيد الجمع او المظال في آخر السنة . وكما يكون ايضاً كل يوم سابع من الاسبوع سبتاً لله لا يعمل فيه ادنى عمل كذلك تكون كل سنة سابعة ايضاً سبتاً لا تزرع فيها الارض ولا يقطف الكرم بل تترك الاراضي عطلاً وغلات الكرم تكون ما كلاً لفقراء الشعب ووحوش البرية . وهكذا كل سبعة اسابيع من السنين تكون السنة التي بعدها اي السنة الخمسين بويلاً وهي سنة مقدسة لا يكون فيها زرع ولا حصاد ايضاً وينادي فيها بالعتق في الارض لجميع سكانها فيرجع كل الى ملكه وإلى عشيرته اذ لا يبقى فيها دين ولا رفيق ولذلك ينبغي ان يكون بيع املاكهم من بعضهم بعضاً بحسب غلة المالك المباع منذ يوم يبعه الى سنة اليوبيل المذكورة وهكذا يشتريه المشتري اذ فيها يلزم ان يرجع الى بائعه الذي هو

مالكة الأصلي ولا يستثنى من ذلك إلا بعض البيوت التي تكون داخل المدن ذات الاسوار اذا لم تُفك قبل ان تكمل سنة واحدة منذ زمان بيعها ثم في هذا القسم ايضا توجد احكام هذا الدين السياسية وتلخصها هنا لكونها صارت اصلاً لكثير من الشرائع الآتية بعدها ولا سيما عند الذين يرون من الواجب مزج الاحكام السياسية بالامور الدينية

فمن شروط المحاكمات فيه عدم المحاباة مع المسكين او احترام وجه الكبير او تحريف الدعاوي . او قبول الخبر الكاذب . او الاصغاء الى شاهد واحد بل على فم شاهدين او ثلاثة يصير اثبات المدعى . والنهي عن اخذ الرشوة . والجور في القضاء . ووجوب اليقين على المنكر . والفسامة على اهل المدينة الاقرب الى محل قتيل يوجد في الحفل ولا يعرف قاتله

ومن احكام هذه الشريعة ان لا يُسلم عبد أبى الى مولاه بل يبقى عند من ينجى اليه ما طابت نفسه . وان العبد من بني اسرائيل يخدم مولاه ست سنين ويخرج في السابعة حراً مجاناً فان كان متزوجاً تخرج امرأته معه الا اذا كان سيده اعطاه اياها ولو ولدت له اولاداً فلا يخرج الا هو وحده واما المرأة واولادها فيبقون في قبضة السيد . واذا اراد العبد ان لا يفارق امرأته واولاده واراد ان يبقى عبداً فياخذ مولاه ويقربه الى الباب او الى القائمة ويشقب اذنه بالثقب ومن ثم يبقى في خدمته الى الابد . واذا باع رجل ابنته امه فلا تخرج كما يخرج العبد بل اذا قُبِحت في عين سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تُفك وابس له سلطان ان يبيعها لقوم اجانب لغدره بها وان خطبها لابنه فيحسب حق البنات يفعل لها . وان اتخذ لنفسه اخرى فلا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها وان لم يفعل لها هذه الثلاث تخرج مجاناً بلا ثمن . واما الاسير من الاغراب فيكون لهم عبداً بتوارثونه الى الابد

واما الجزاء فهو على انواع

الاول القتل . وهو يشل من ضرب انساناً فات . ومن غدر برجل وقتله

عهداً فإنه يُقتل ولو التجأ الى مذبح الله ليخفي من الموت . ومن شتم الله . ومن
 ضرب اباه او امه او شتمها او تمرد عليها وعصاها . ومن سرق انساناً وباعه او
 ابقاه في يده . وصاحب الثور النطاج اذا كان أشهد عليه من قبل ولم يضبطه
 ثم نطح انساناً وقتله فان صاحب الثور يقتل والثور يُرجم . ومن يعمل عملاً في يوم
 السبت . والسحرة . ومن كان بك جان او نابعة فإنه يُرجم بالحجارة حتى يموت .
 ومن ضاجع بهيمة من الرجال والنساء يقتل مع البهيمة ايضاً . ومن اعطى من
 زرع للاوثان . والزاني بامرأة قريبه والتي زنى بها . والزاني بامرأة ابيه او كتمه .
 ومضاجع الذكور . والزاني بعذراء مخطوبة داخل المدينة والتي زنى بها واما اذا
 وقع ذلك في الحقل فيقتل الرجل فقط واما الفتاة فلا حيث لم يكن موجوداً
 هناك من يخلصها اذا صرخت . والفتاة التي اذا تزوجت وأدعى رجالها بأنه لم
 يجد لها عذرة ووجد الامر صحيحاً جميعاً يقتلون . اما من اخذ امرأة وامها فيحرقون
 جميعاً بالنار . واما من قتل نفساً بغير قصد واسقطاع ان يصل الى مدينة من
 مدن الملجأ الستة التي امر الله باقامتها ثلاثاً منها في عبر الاردن وثلاثاً في ارض
 كنعان لمثل فاعل هذا الفعل قبل ان يلحفه ولي الدم ويقتله في الطريق فإنه
 يبقى في المدينة التي يصل اليها الى موت الكاهن العظيم ومن ثم يرجع الى ملكه
 ولا خرج عليه اما اذا خرج منها قبل ذلك وقتله ولي الدم فيكون دمه هدرأ .
 ولا يُقتل الآباء عن الاولاد ولا الاولاد عن الآباء بل كل انسان يموت بخطيته
 والثاني الفصاحم بمثل الذنب اعني العين بالعين والسن بالسن واليد
 باليد والرجل بالرجل والكي بالكي والجرح بالجرح والرض بالرض اما اذا
 ضرب انسان عبده او امته بعضاً ومات المضروب فينتقم منه ولكن ان بقي
 المضروب بعدها حياً يومين او ثلاثة فلا ينتقم منه لانه ماله واما اذا اتلف عين
 عبده او امته او استقط لاحدهما سناً فيلزم عنته
 ثالثاً احكام الدية وهي تشل الضارب اذا عطّل انساناً بضربه اياه عن
 عليه فيلزم ان يعرض عطالته وينفق على شفائه . والذي يصدم في اثناء خصام

مع آخر امرأة حبلى ويستط جنيها بدون اذية فيلزمه ان يغرم المقتدر الذي يطلبه منه زوج المرأة . واما اذا حصل اذى فترجع المسئلة الى حكم القصاص بالمثل اعني النفس بالنفس والعين بالعين الخ . وكذلك صاحب الثور النطاج اذا اراد اهل المقتول ان يضعوا عليه دية فداء عن نفسه

رابعا الجلد . فان المذنب المستوجب الضرب يطرحه القاضي ويجلدونه على قدر ذنبه بحيث لا يزيد على اربعين جلدة

خامسا . اذا امسكت امرأة عورة رجل تُقطع يدها واذا نطح ثور رجلا او امرأة فمات المنطوح برجم الثور ولا يؤكل لحمه . وان نطح عبدا او امة يعطي صاحبه ثلاثين شاقلا من الفضة والثور برجم . وان وقع ثور او حمار في بئر او حفرة لم يغطها صاحبهما فصاحب البئر او الحفرة يعوّض على صاحب الحيوان دراهم والميت يكون له . وان نطح الثور ثورا فمات المنطوح يباع الثور الحي ويقسم ثمنه بين صاحب الثور الحي والثور الميت وكذلك يقتسمان الميت ايضا . لكن اذا كان الثور معروفاً بانه نطاج من قبل ولم يضبطه صاحبه فيعوّض عن الثور الميت بثور حي والميت يكون له . ومن يسرح مواشيه لترعى تحت غيره فيلزمه العوض من اجود حنك واجود كرمه . وكذا من اوقد وفيدا اصابته ناره شوكا فاحرقته اكلاسا او زرعاً او حنكاً . واما من اودع عنده فضة او امنعة لل حفظ وسرق ذلك من عنده فاذا وجد السارق فعليه العوض باثنيين والا فعلى الامين اليمين بانه لم يده يده الى ملك صاحبه . وهكذا في كل دعوى جنائية من جهة حيوانات او مفقود ما يقال ان هذا هو تقدم دعواها الى الله والذي يحكم عليه بالذنب يعوّض صاحبه باثنيين . وكذا من اودع عنده حيوان او غيره فمات او انكسر او تهب وصاحبه لم يكن موجوداً لا يلزمه الا اليمين فقط وليس عليه عوض واما ان سرق من عنده فيلزمه العوض . وان اقتارس فعليه ان يحضره شهادة ولا يعوّض . ومن استعار من صاحبه شيئاً فانكسر او مات وصاحبه ليس هو معه فعليه العوض واما ان كان صاحبه معه فلا يلزم ذلك

وان كان مستاجراً اتي باجرته

سادساً احكام السرقة . وهي اذا سرق انسان ثوراً او شاةً وذبح ما سرقة
او باعه فيلزم ان يعوّض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة باربعة من الغنم .
وان ضرب السارق ومات وهو ينقب فليس له دم ولكن ان اشرقت عليه
الشمس فله دم لانه يعوّض وان لم يكن له ما يعوّض فيباع بسرقة وان وجدت
السرقة في يده وكانت ثوراً ام حماراً ام شاةً بالحياة فيلزمه العوض باثنين

سابعاً احكام الزنا . وهي من راود عذراء لم تخطب وضاجعها يلزم ان يهرها
لنفسه زوجةً فيعطى اياها خمسين من الفضة وتكون زوجةً له لا يقدر ان يطلقها
كل ايام حياته وان ابوها ان يعطيه اياها بزن له فضة كهر العلاري واما من
فعل ذلك مع مخطوبة ولم تفد فداءً ولا أعطيت حريتها فلينادبها فقط ولا يقتل .
واذا اخذ رجل اخيه بنت ابيه او بنت امه او اضطجع مع امرأة طامث يقطعون
جميعاً من شعبهم . وكذلك من كشف عورة اخت امه او اخت ابيه او امرأة عمه
او امرأة اخيه فانهم جميعاً يحملون ذنوبهم ويموتون عقيبين . واذا اتهم رجل امرأته
ياتي بها الى الكاهن فيوقفها الكاهن امام الرب وياخذ ماء مقدساً في اناء خزف
ويضع فيه من الغبار الذي في ارض المسكن ثم يحلف المرأة بامها لم ترُغ ويكتب
اللعنات التي يهددها بها في كتاب ويحوها في الماء المر ويسقي المرأة ماء اللعنة
المر فان كانت قد نجست وخانت فيرم بطنها وتسقط فخذها والا فلا . واما
باقي احكام الزنا فقد ذكرت في احكام القتل

واما احكام الزواج فهي ان لا يكشف الرجل عورة ابيه ولا عورة امه ولا
امراة ابيه ولا اخيه ولا ابنة ابيه ولا ابنة بنته ولا اخيه من ابيه ولا عمته ولا خالته
ولا امراة عمه ولا كنية ولا امراة اخيه ولا امراة بنتها ولا ابنة ابنتها .
ولا تؤخذ اخت المرأة المضرة في حياة اختها ولا تقرب المرأة في ايام طهرها . والمتزوج
جديداً لا يخرج في الجند بل يبقى حراً سنة واحدة ويسر امرأته التي اخذها .
واذا تزوج الرجل بامرأة ولم تجد نعمة في عينيه او وجد فيها عيباً فيكتب لها

كتاب طلاق ويطلقها ثم اذا تزوجت رجلاً آخر وطلقها او مات فلا يجوز
لزوجها الاول ان يرجعها . واذا مات رجل عن غير ولد ياخذ اخوه امراته
والبكر الذي تلده له يقوم باسم اخيه الميت

وهناك اوامرونوا وآداب لهذا الدين متفرقة في هذا القسم اما الاوامر
فهي برّد كل مفقود بمجدة الانسان لاصحابه . ومساعدة المبتغض ايضاً في حلّ
حماره اذا كان واقفاً تحت حمل . والقيام امام الاشيب . واحترام الشيخ .
واباحة الأكل من الكرم الذي يدخله الانسان بقدر شعبه بحيث لا يحبل منه
شيئاً الى الخارج وهكذا ايضاً من الزرع فله ان يقطف السنبل بيده ويفركه
ويأكله ولكن لا يرفع عليه منجلاً . واما النواهي فهي النهي عن اضهاد الغريب
ومضايقته . والاساءة الى الارملة واليتيم . واخذ الرباء ممن يقترض فضة من
بني المذهب بخلاف الاجنبي فان اخذ ذلك منه جاز . وابقاء ثوب مرهون من
صاحبه الى ما بعد غروب الشمس . ولعن رئيس الشعب . وموافقة المنافق .
والموافقة على عمل الشر . وتعويج كلام الابرار . والجور في الموازين والمكاييل وان
لا يكون في كيس الرجل اوزان مختلفة كبيرة وصغيرة (وذلك لوزن دراهم
التعامل) وطلب الانتقام . والحقد . وابقاء اجرة الاجير وطنياً كان او غريباً
الى الغد بل تُعطى قبل غروب الشمس . وشتم الاصم . ووضع معثرة امام الاعمي .
واستعمال العرافة والعيافة والفال والسحر والرقا وسؤال الجان والتوايح
واستشارة الموتى . ولبس الرجل ثوب المرأة . والمرأة متاع الرجل . واخذ الطيور
الحاضرة مع فراخها . وترك سطح البيت بلا حائط يصونه لئلا يسقط احد منه
وزرع الحقل الواحد صنفين . ولبس ثوب مختلط صوفاً وكتاناً . وابقاء جثة
المقتول بجناية الى الغد اذا كان معلقاً على خشبة لان المعلق ملعون من الله .
ودخول ابن زنا او عموني او موآبي في جماعة الرب الى الجيل العاشر . وادخال
اجرة زانية او ثمن كلب الى بيت الرب عن نذر . ورجوع الرجل الى حقله لياخذ
حزمة الحصيد التي يكون نسيها فيه بل يتركها لتكون للغريب واليتيم والارملة .

وكذلك مراجعة اغصان الزيتون بعد خبطها . وتكميم الثور في الدراس
واما القسم الثالث من العهد العتيق وهو النبوي فان اصحابه كانوا رتبة من
رجال الله يخبرون بالوحي عن مقاصد الخصوصية في الازمنة المستقبلية ويعلمون
ارادته تعالى للبشر من جهة الواجبات المطلوبة منهم والحوادث المشهورة التي
ستجري بينهم فكانوا بهلما الاعتبار سفراء الله لدى البشر وكانوا حينئذ يدعون
الرائين والرقباء . وكان علماء امّة اليهود يدرسونهم اللاهوت ويهذبونهم في
الدين والفضيلة ويحرضونهم على واجباتهم ويكثرونهم على خطاياهم ويدعونهم
الى التوبة ويهذبون ملوكهم وينبثون باحكام الله على الشعوب ولهم مدارس
خصوصية لتعليم الامور الدينية وتلاميذها يُسمون بني الانبياء وقبولهم الوحي
محصيا يستبين من ذات كتاباتهم الذي كان احيانا بالرؤى والاجالام وحيانا في
حالة السبات والغيبه . واكثرهم لهم اسفار خصوصية تتضمن قيد حوادث تاريخية
ماضية . والانبياء بمزروعات تحدث مستقبله منها ما هو على كثير من الممالك
والشعوب الاجنبية اي غير اليهود ومنها ما هو على اليهود انفسهم وخصصها الوعد
بمسيح يخلص بولد بينهم من سبط يهوذا يفتدي اسرائيل ويسود على الامم
وتدوم مملكته الى الابد ويصفونه باوصاف رمزية فان عباراتهم سحيمية تشتمل
على كثير من الاستعارات والكذابات . ومن انبيائهم ما قد تمّ الا انه يحتاج في فهمه
الى معرفة التواريخ ومنها ما هو مغلق بعيد الادراك لا يستطيع حله الا الزمان فقط

—*—

فصل

في ما وصل اليه من اخبار الفرق اليهودية

مقدمة

لا يخفى انه بعد موت سليمان بن داود ملك اسرائيل جلس ابنه رحبعام على

تحت المملكة في سنة ٩٧٥ قبل الميلاد فاقام عشرة اسباط من اسباط اسرائيل حججاً على هذا الملك صارت سبباً الى تمردهم عليه وخلع طاعته ومن ثم انقسمت المملكة الى قسمين احدهما دُعي ملكة اسرائيل وهي التي تألفت من العشرة الاسباط المذكورين . والثاني ملكة يهوذا وهي المولفة من سبطي يهوذا وبنيامين اللذين بقيا خاضعين لرحبعام

وكان أول من تملك على ملكة اسرائيل رجل يقال له يربعام خاف من رجوع رعاياه الى طاعة رحبعام ملك يهوذا اذا صعدوا الى اورشليم في الاعياد الاحتفالية ليعبدوا الله في الهيكل ويقربوا ذبائحهم هناك ولذلك اقام في ملكه عجلين من ذهب وجعل رعاياه يعبدونها تحت اسم اله اسرائيل ورتب لهم اعياداً احتفالية وكثرة ومن ثم دامت هذه الملكة نحو مئتين وخمسين سنة ونسبة الى ان افتتحها شلمنصر ملك اشور وسي العشرة الاسباط المذكورين الى بلاده ومن هناك تبعوا الى ما لك شتى ولم يعودوا يتوطنون ايضاً في ارضهم البتة ثم ارسل ملك اشور عوضهم الى تلك الاراضي قبائل من وثني بلاده ليتحدوا مع الذين بقوا مع شعب الارض فيها ويعمروا مدينة السامرة وارض اسرائيل ثانية وارسل معهم كاهناً من سبي اليهود ليعلمهم سنة الله فعملوا الله سبحانه بين آلهم وعبدوه كواحد من الاوثان

واما ملكة يهوذا فلدامت تحت سلطة رحبعام وخلفائه من نسل داود الى سنة ٥٨٨ قبل الميلاد ومن ثم افتتحها بختنصر ملك بابل وجلا ايضاً كثيرين من اهلها الى بابل قسبة ملكته لكن بعد ان اقاموا فيها سبعين سنة رجعوا الى اورشليم وجرّدوا عمارتها وقيام الهيكل وكانوا وقتئذٍ منقسمين الى فرقتين احدهما تمسكت بالكتب المقدسة فقط وسبت صاديكم اي الصديقين ومنها انتسل السامريون والصدوقيون والاخرى اضافت الى ذلك تقليدات المشايخ وبسبب ما ظن فيها من الفلاسفة قيل لها خاسيديم اي التقبون ومنها انتسل الفريسيون والاسينيون وصادف وقتئذٍ هذا الانقسام امتداد الفلسفة اليونانية

فتشعبت اليهود في آرائها الى فرق متعددة وطوائف شتى نذكر هنا شيئاً من اخبارها

الفرقة الصاديكية

السامرة . لما شرع مسييو ملكة يهوذا في قيام الهيكل باورشليم بعد رجوعهم من بابل كان سكان ارض اسرائيل المبعوثون في الاصل من ملكة اشور قد استخلصوا من العبادات الباطلة وارادوا ان يتفقوا مع اليهود على بناء ذلك الهيكل فلم يرض اليهود المذكورون بذلك فانقاد حينئذ سكان السامرة الى فرقة الصاديكيم التي سبقت الاشارة اليها ولم يتمسكوا الا باسفار موسى الخمسة فنظت وهي المسماة بالتوراة ورفضوا كل ما عدا ذلك وبنوا هيكلًا على جبل جرزيم بقرب مدينة نابلس ومن ذلك الوقت ابتدأت العداوة بين الفئتين فلم تعامل احداها الاخرى الى الآن مع انه لم يبق منهم الا نحو مئة وخمسين نفساً منتظرين مجيء المسيح وفي كل سنة يصعدون الى راس الجبل المذكور ثلاث مرات للعبادة مع ان هيكلم لم يبق له رسم . والمرة الاولى تكون في عيد الفصح والثانية في عيد الخمسين والثالثة في عيد المظال ويذبحون في عيد الفصح سبعة حملان وباقي اخبارهم لا احتياج الى ذكرها هنا

الصدوقيون . زعم بعض علماء اليهود انهم تسموا بذلك نسبة الى رئيسهم صادق الكاهن الذي كان سنة ٢٨٠ قبل الميلاد وقد انعكفوا على تعاليم ابيكوروس الفيلسوف اليوناني ويقال له ايثور ايضاً وقد مر ذكره في المقالة الاولى ولم يقبلوا سوى اسفار موسى الخمسة كالسامريين فاعترفوا بوجود الله انكهم انكروا قيامة الموتي ووجود الارواح مطلقاً ملائكة او شياطين وخلود النفس

الفرقة الخاسيدية

(تنبيه) بعض فرق اليهود ممن تشعب بينهم اخيراً على ما ذكرنا في ما

مرّ فد ضمّهم الى هذه الفرقة وربما لم يكن لهم اشتراك معها في النسبة وانما ذكروا في الانجيل وداموا الى ان قدمت الجنود الرومانية وافتتحت اورشليم تحت راية نيطس قيصر واحرقوا الهيكل وبددت الشعب اليهودي في اقطار الارض كما هو الان على ما سوف ياتي في التتمة بعده

الفريسيون . وهم اعظم طوائف اليهود واقدمها وتسميتهم هذه عبرانية تدل على معنى الافراز ويراد بذلك افرازهم عن الشعب باعتبار القداسة المنسوبة اليهم وقد اخذوا الرصانة التي كانوا يتصفون بها عن زينون الفيلسوف رئيس فرقة الاسطوانييين واتبعوا رأي كريستوس احد تلامذة هذه الفرقة ايضا في المقدّر الاّ انهم كانوا يعتقدون بان ذلك لا ينافي حرية الجزء الاختياري وكان درسهم الخاص في الشريعة الموسوية واغلب علماء السنة والكتابة كانوا منهم وقد ازهرت هذه الفرقة على عهد اسكندر جانبوس المكابي الذي تولى المملكة في سنة ١٠٤ قبل الميلاد

والكتابة . ويقال لهم الناموسيون ايضا لم يكونوا من قبيلة مخصوصة ولكنهم كانوا ينتخون الكتب المقدسة ويميلون الى مطالعة العلوم والفنون ويفسّرون الشريعة ويهذبون الشعب وهم يوافقون الفريسيين في الديانة

والاسينيون . الذين قاموا سنة ٢٠٠ قبل الميلاد وهم فرع من الفريسيين لكنهم كانوا اضيق عيشة منهم وينسبون الى الفيناغوريين او الى الكينيكيين (واعلم الكليين) قال بعضهم والثاني اصح لانهم بعد ان جردوا ذلك التعاليم من بعض تلك العيشة الصارمة والقساوة التي كانوا يوجبون بها عيوب العامة ابتعدوا عن ذلك النوع الوخم من تلك العيشة التي كانت من تعاليم الفلسفة الكينيكية واعنادوا ان يكرروا الغسل والنظافة كل يوم وكان لهم من عوائد الفيناغوريين حب الصمت والوحدة وكانوا يميزون انفسهم عن عامتهم بنوع من العيشة الاسنيكية ما علا اجتهادهم بدرس الادب وكان لهم قوّة واجتهاد غريب بدرس علم الطب وتعليمه والفحص عن القوّة المولدة للمشائش والجمادات وكان

بعضهم يسكن في المدن وبعضهم يختفون في الغار ولا يحضرون الى الهيكل
ليقرّبوا ذبائح ويعجّدوا فيه لان اماكهم كانت بعيدة وكانوا يؤمنون بالسعادة
بعد الموت ولكنهم يرتابون في القيامة وكانوا يمتنعون غالباً عن الزواج ويتبنون
بنى الفقراء ليهذبوهم في قواعدهم واذا اراد احد ان يدخل بينهم يخضونه ثلاث
سنين فاذا قبلوه يلزم ان يحرم على نفسه عبادة الله واستعمال العدل ولا يخفي
شيئاً من اسراره عن الجمعية ولا يظهر شيئاً منها للغير ولو تحت القتل وكانوا
يحرقون الاموال ويشتركون في امتنعهم وياكلون معاً ويكثرون النقشف
ويلبسون ملابس بسيطة وكانوا مشهورين بالكد والاحسان الى الفقراء والخضوع
للحكام والصدق ولا ينطقون بقسم الا عند دخولهم في هذه الجمعية وكانت لهم
ولا تغنيان عندهم عن اليمين . ويقال ان القديس يوحنا المعمدان نبغ بينهم
والهيروديون . وهم طائفة سياسية بين اليهود لا دينية وقيل انهم كانوا
يستعملون كثيراً من عوائد الوثنيين لكي يتعطف بهم هيرودس والرومانيون
والجليليون . وهم طائفة دينية وسياسية معاً وقائدهم الاول كان يهوذا
الجليلي ظهر سنة ١١ بعد الميلاد وخالف امر اوغسطس قيصر في اكتابة اليهود
وكان يقول لتابعيه ان اليهود ليس لهم ملك غير الله
واليسريون . ويظن انهم من اليهود او من المنحرفين من الامم الذين تمتعوا
بمجنوق الرومانيين وقيل انه كان لهم مجمع مختص بهم في اورشليم

ثمة

ثم بعد ان افتتح تيطس القصر الروماني اورشليم واشعلت العساكر
الرومانية النار في ذلك الهيكل العظيم وهدمته الى اساساته تفرق اليهود على ما
ذكرنا وبطلت الذبائح والمحرقات وتلاشى ذكر الكهنوت وكان ذلك بعد سبي
بابل باربع مئة وتسعين سنة وبعد ميلاد المسيح بواحد وسبعين سنة وكان اعلن
الله ذلك الى دانيال النبي بقوله له في الاصحاح التاسع من نبوته وهو وقتئذ

في سبي بابل . سبعون اسبوعاً قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكامل المعصية وتتم الخطايا وكفارة الاثم وايوتى بالبر الابدي ولتتم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين . فاعلم وافهم انه من خروج الامر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة . وبعد اثنين وستين اسبوعاً يقطع المسيح واپس له وشعب رئيس ات يخرب المدينة والقدس وانتهاء بغارة الى النهاية حرب وخرب قُضي بها . ويثبت عهداً مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة الخ ومن راجع تاريخ صدور امر ارتحشستا الطويل ملك فارس بارسال عزرا الكاهن الى اورشليم مع الكهنة واللاويين سنة ٥٤٧ قبل الميلاد ومباشرة عزرا اصلاح احوال اليهود وما فعله فنجبها باعاده بناء اورشليم وازضاف هذه المدة الى مدة حياة المسيح على الارض منذ ميلاده الى حين صلبه وهي ثلاث وثلاثون سنة يجدد في تكمل الاربع مئة وتسعين سنة مطابقة تامة لما أعلن الى دانيال النبي المشار اليه وهناك تقسيمات اخرى الى هذا الزمان وكلام للمسيحيين في ذلك لا محل له هنا وانما نهاية ما يقال ان اختلاف الآراء بين اليهود في تفاسير آيات مثل هذه من كلام الانبياء تشير بحسب رموزها وكتاباتهما الى عجيء مسيح مخلص اوجب انقسام هذه الامة الى قسمين وذلك منذ ظهور المسيح يسوع الناصري قبل هذا الخراب الاخير بمدة نحو احدى واربعين سنة حيث اتبعه قسم ليس بقليل من ارض اليهودية . اما القسم الاعظم والاكبر فانكره ورفض تعاليمه بل سلمه بانفاق بين رؤساء الكهنة ووجوه الامة الى ييلاطس البنطي القائد الروماني الذي كان يحكم اورشليم وقتئذ من قبل الرومانيين فصلبه اثناء عيد الفصح اليهودي بعد ظهور دعوتيه بثلاث سنين وكسور

ثم ان الذين اعترفوا بانه هو المسيح المنتظر الذي وعد الله به بلسان الانبياء المشار اليهم فقد تسمى اولاً بالمسيحيين نسبة الى معلمهم الذي اتبعوه وقيل لهم نصارى ايضاً نسبة الى مدينة الناصرة التي كان تربي فيها وكان المنكرون عليه يسمونهم

شعبة او هرانقة وهم في سائر معتقداتهم من جهة العهد العتيق لا يفرقون عن النرفة الثانية المنكرة بشيء اصلاً بل هم يحافظون على الكتب المدونة فيه باقسامها حتى المحافظة بدون ادنى تغير ولا في حرف واحد منها وبينون كل ديانتهم على الكتب المذكورة التي يعتبرونها الاساس الوحيد لائمانهم ويرون بان المسيح لم يأت مبطلاً او ناسخاً لهذه الديانة وانما هو مقيم لها اذ انها وضعت وقتية وموجهة الى زمن مجيء المسيح المخلص فيكون ما جاء فيها من الطقوس التي ترمز عنه وتشير اليه قد كفت لمجيء المرموز نفسه ولذلك لا يلتزمون بحفظ شيء منها الا ما استثنته التعاليم الانجيلية كالامتناع عن اكل الدم والخنوق واما ما علاه من القسم الطقسي من سائر اقسام العهد العتيق سواء كان تاريخياً او نبوياً فهم ملتزمون بتصديقه ومتابعته بالتام وما كان متفرقاً من الاوار والنواهي الادبية فقسم من المسيحيين وهو جماعة التقليديين يرون بانهم لا يلتزمون بحفظ شيء منها الا ما ثبته الانجيل . وقسم منهم وهو الانجيليون يرون بانهم ملتزمون بحفظها جميعها الا ما نهى عنه الانجيل وكلاهما يرجعان الى الاتفاق على العنق من سنن الطقوس الرمزية فقط والحلاف في مسائل طائفية تتعلق في الآداب والسياسة ويمتاز هذا القسم المؤمن بالمسيح عن القسم الذي انكره بعدة امور جوهرية وهي

اولاً ان الله الموحد بالذات هو ذو ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس وانه اله لكل مخلوقاته اجمعين وليس لشعب اليهود فقط

ثانياً ان المسيح هو الاقنوم الثاني اي الابن فهو اله وانسان معاً وليس هي انساناً مجرداً فقط كما يظنه اليهود ولذلك كان ملكه روحياً ابدياً لا جسدياً وخلاصه متعلق بالنفس وليس بالعتق من الاحكام العالمية الاجنبية

ثالثاً العتق من لعنات الناموس الموسوي بواسطة هذا المخلص فان المؤمنين به يقدر ان يتبرروا من كل ما لم يقدروا ان يتبرروا منه بناموس موسى رابعاً الاعتقاد التام بالقيامة الاخيرة ودينونة الاحياء والاموات العامة

والحياة الابدية الخالدة للذين فعلوا الصالحات في فردوس النعيم والذين فعلوا السيئات في جهنم النار التي لا تطفأ

ثم باقي ما يمتازون به من التعاليم سوف يستبين ايضا في ما يأتي عند الكلام على هذه الديانة المسيحية

واما الذين انكروا ولم يريدوا ان يؤمنوا به فهم البقية التي بقيت من اليهود وتفرقت بعد فتوح اورشليم وخراب ذلك الهيكل العظيم على ما ذكر في ما مر وكان بقي لم مدرسة في طبرية وهي مدينة كان بناها هيرودس الملك على اسم طيباريوس قيصر وكان من معلمها حاخام يقال له يهوذا جمع تلاميذ اليهود في كتاب سماه المَشْنَةُ وذلك بين سنة ١٤٠ وسنة ٢٢٠ بعد الميلاد وفي هذه المدرسة وضعت ايضا الحركات المستعملة الآن في اللغة العبرانية وضبطت اسفار العهد العتيق

ثم ان ما اضافة كتبه اليهود وريبتهم وحكاؤهم الى كتب العهد العتيق من الشروح الكثيرة والتفاسير العديدة هي مجموعها التلمود وهو مؤلفات مؤلفين كثيرين في اعصار مختلفة ومجموعها يبلغ عشرين مجلدا كبيرا بين متون وشروح قال بعض المؤلفين من يوثق بمعارفهم وصدقهم ان في هذا المجموع اقوال حكم وتعاليم جيدة صالحة غير انه مشحون بحكايات وخرافات تفسد ما فيه من الصلاح والنفع ذكر بعضها فقال

منها ما رواه بعض حكائهم عن طير يسمونه باريمي انه طير عظيم الحجم لم يبق منه على الارض الا بعض افراده اذا بسط جناحيه تكسف الشمس كسوقا تاما ومرة سقطت بيضة من عشه فكسرت ثلاث مئة شجرة من شجر الارز وغرقت ستين ضيعة . وان رجلا اسمه ربا حفيد حنا رأى ضفدعة على حجم ضيعة فيها متون بيتا فجاءت حية وبلعت الضفدعة ثم جاء غراب واكل الحية والضفدعة مثل ما تباع حبة عنب وطار وحط على شجرة قال الربّي يا يا بن صموئيل لو لم اشاهد ذلك بنفسي لما صدقت

اما لويانان فيقول فيه ان الله خلقه في البداية ذكراً وانثى وكانا على عظمة هائلة فلو تركا يلدان ذرية لافسدت العالم كافة في مدة وجيزة فاعدم الله الذكر قوة التناسل وقتل الانثى وطمع جنتها حفظاً لها الى وليمة المسيح في الايام الاخيرة . قال الربى سفر اكنة مرة في سفينة فرايت سمكة رفعت راسها فوق سطح الماء ولما قرون وعلى القرون كتابة تقول انا اصغر خلق الله في البحر . وكان طولها ثلاث مئة فرسخ فبلغها لويانان دفعة واحدة وبعض الربية الذين كانوا معي خافوا من اناة البحر نوراً مثل نور الشمس ولما نظرنا راينا انه نور عيني لويانان اما يهيوت فخلق الله على عظمة هائلة ايضاً فخلق افساد العالم به اذا كثر فقطع الله عنه قوة التواليد وحفظ الموجود منه حتى يسمته لاجل وليمة اسرائيل في ايام المسيح وقول الزبور في مزمو ١٠٥ : واليهائم على الجبال الالوف معناه باليهائم يهيوت اي انه في يوم واحد ياكل العشب على الف جبل فلو انتقل من مكانه لاكل كل عشب الدنيا في برهة يسيرة ولكنه يثبت في مكان واحد وينام ليلاً وكل صباح يجد عشباً جديداً نبت حوله عوضاً عما اكله بالامس . واما شربه فيشرب في يوم واحد من الماء ما يعدل ماء الاردن في ستة اشهر واذا عطش يشرب مضاعف ذلك وقال واحد من الحكماء انه يشرب من نهر خارج من عدن اسمه يوال

وأعرض على واحد من حكماء اليهود بان امهم قد تبددت وتلاشت دولتهم وقد قال يعقوب تكوين ١٠٤٩ لا يزول قضيب من يهوذا ولا مشترع من بين رجليه حتى ياتي شيلون اي المسيح فيكون المسيح قد اتى والآ فلا يصدق قول يعقوب رئيس الاسباط . فقال كلاً ما زال القضيب من يهوذا وانا ملكة كبيرة حاكم عليها نسل داود وسليمان وفيها خمسون مدينة ومئتا ضيعة وخمسون قلعة وقصبة الملكة اسمها ثاي وهي منية جناً وبزرعون ويحصدون فيها لان طولها وعرضها خمسة عشر ميلاً وهناك قصر سليمان وهو جميل الى الغاية وفيها بساتين وكروم ومن مدنها نلما سكانها مئة الف يهودي ذهب الى

هناك الاسباط العشرة الذين سباهم شلمنصر ملك اشور وبينها وبين البلاد المعمورة بادية قفراء ومفازة خالية لا تُقطع باقل من ثمانية عشر يوماً فلا سبيل للوصول اليها ويهود هذه المملكة حاكم عليهم رئيس اسمه الحاخام يوسف هفله فترى انه لم تنزل لليهود مملكة وقضيب واذا ذاك فلم يأت المسيح بعد

ويقولون بوجود نهر سمي نهر السبت يجري سنة ايام ويقطع في السابع وهي محيط بالمملكة المذكورة ويكون في الستة الالام عميقاً سريع الجريان لا يستطيع احد ان يقطعه وفي السابع يجف تماماً . واليهود لا يسافرون يوم السبت وقال الربى مردخاي يوسف كان عند بعضهم قدح من رماه وكان هذا الرجل لا يهدأ سنة ايام ويسكن في اليوم السابع

اما عوج ملك بابلان فيقولون انه ولد قبل الطوفان ونجاة منه وقد وقع خلاف بين الحكماء في كيفية ذلك فمنهم من قال انه من زيادة طول مشى بجانب الملك حتى رجعت المياه عن الارض ومنهم من يقول انه ركب على السفينة مثل ما يركب الرجل على الفرس وكان نوح كل يوم يتنزه وانكر ذلك بعضهم بسبب شدة شهوته للطعام لانه مرة لما اضافته نوح اكل الف ثور وانف من الطيور البرية ثم صار خادم ابراهيم تحت اسم اليعازر وطول قدمه اربعون ميلاً وقامته بالنسبة الى ذلك ومع هذا كان جباناً وذات يوم زجره ابراهيم من شدة خوفه ورجفانه سقط سن من اسنانه فاخذ ابراهيم السن وصنع منه سريراً كان ينام عليه من ذلك اليوم فصاعداً ومنهم من قال صنع منه كرسيّاً انتهى

واخبرني بعض اليهود بان موسى النبي كان طوله ثلاثة اذرع وطول عصاه ثلاثة اذرع وقفز عن الارض ثلاثة اذرع ليضرب عوج هذا فاصاب كاحل قدمه مع ان طول سريره هذا الرجل المذكور في سفر التثنية ١١: ٣

وسمعت من بعض ذوي الاطلاع ايضاً ان بين ابحاث هذا اليهود توجد مفالات طويلة في هل يجوز قتل البرغوث او الفألة مثلاً في يوم السبت ام لا . اما وضع المحرمة في العب فهو حرام قطعاً وكذلك حمل الساعة ايضاً لانه يعدّ حملاً

والحمل ممنوع في ذلك اليوم وإنما يجوز لفث الهرمة على الحفويين كالزنازير وربط الساعة معلفة في العنق فيكون ذلك حينئذٍ وضعاً أو ملبوساً لاجملاً وهو جائز. وإن الله سبحانه نادى على خلقه الشمس أفضل من القمر وأنه يبكي ويسب نفسه على ما قاص به اليهود من هذا الخراب والشتات

وذكر في بعض النشرات عن اعتماد مجامع دينية لهذا الشعب في عصرنا هذا أيضاً وأن الأول منها التأم في مدينة ليبسليك بالمانيا في ٢٨ حزيران سنة ١٨٦٩ وقد حضره وكلاء من جرمانيا والنمسا والمجر والفلاخ والبغلات والبلجيك وانكلترا وجزائر الهند الغربية وأميركا الشمالية ودام الاجتماع نحو اسبوعين قر فيه الرأي ببعض القضايا المهمة ومن جملتها تقديم أربعة تقارير عمومية وهي. أولاً أن هذا المجمع حسب تعاليم موسى والأنبياء وبناء على واجبات وعوائد الهيئة الاجتماعية السلطان السياسي يحسب الديانة اليهودية مناسبة وموافقة لمبادئ محبة البشر ومساواة كل الناس شرعاً وحرية التامة لجميع الناس من جهة الأفكار والاعتمادات الدينية. ثانياً أن دوام الديانة اليهودية متعلق على تثبيت هذه المبادئ. ثالثاً أن سلامة وراحة جميع الأديان متعلقة على استعمال الأسلحة الروحية فقط في الجهاد لأجل الحق. رابعاً أن غاية الديانة اليهودية هي الفرار بهذه المبادئ وانتشارها انتهى

قال الناقل أن هذه الديانة حيث قد أصبحت في أيامنا بلا هيكل وبلا كاهن وبلا ذبيحة عن الخطية ليس فيها طريق للتخلص ولا تهزية في الحياة الحاضرة أو المستقبلية لأنها رفضت الذبائح الموسوية وذبيحة المسيح معاً فقد صارت كجمعية خيرية عمومية فقط قصدها الراحة الخارجية الجسدية والحرية العقلية لكل الناس

أما مجمع حاخامي اليهود الذي التأم في مدينة فيلادلفيا بأميركا أيضاً فقد قر قراره بإبطال استعمال اللغة العبرانية في طقس العبادة لكونها لغة غير مفهومة ورفضوا أيضاً تعليم قيامة الأجساد وصرحوا بأن الكهنوت الموسوي

قد مضى ولم يبق الآن سوى كهنوت شعب اسرائيل العمومي

حاشية

لم يكن القصد ما ذكرناه هنا اخيراً من النبلات اليهودية المتديد بهيوب
طرات على ديانة اليهود الا لتعرف بانها متى شاركت فلسفة البشر واحكامهم
العقلية ترتيب الديانة لاجل توفيقها مع مزعومات الناس بدخلها من الفساد
والخرافات ما يقرب من بدع الجاهلية ولو انها كانت مبنية على اساس متين
موضوع من الله سبحانه كذه الديانة التي لا ريب عند عموم اهل الكتاب في صحة
مبادئها اذ انه فضلاً عما اوردناه من مطابقة اعتقاد المسيحيين على اعتقاد اليهود
بما يخص في اعتبار العهد العتيق حرفاً نجد الديانة الاسلامية ايضاً تعترف
برسالة مشترع هذه الديانة وتعتبره من اولي العزم ومن راجع القرآن يجد سفر
التكوين مندرجاً فيه في عدة من السور بالفريق يقرب ان يكون قائماً وان كان
يوجد قليل من التفسير في بعض اجزائه ولا يخفى ما في هذا السفر من الاهمية
لائفاق اهل الكتاب في ابداع الخواقات وتوزيع الجنس البشري على سطح
الارض وامور اخرى كثيرة من المبادئ الضرورية للمعتقدات الدينية . فان في
سورة الاعراف وسورة يونس وسورة هود والسجدة نجد ان الله خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش . وفي سورة البقرة وسورة الاعراف ان
الله علم آدم الاسماء وتجد حكاية نبي الله آدم وزوجه عن الاكل من الشجرة وما
فعله الشيطان باغرائها على الاكل منها وانكشف عريها بعد ان اكلا وخصفها
من ورق الجنة المستر ومناداة الله لها بعد ذلك ثم هبوطها الى الارض . وفي سورة
المائدة حكاية قتل قابيل اخاه هابيل من اجل القرابين . وفي سورة الاعراف
ويونس والمومنين وهود قصة نوح ونجائه من الطوفان بواسطة علم الفلك وفي
سورة العنكبوت اشارة الى حياة نوح بانها كانت ٩٥٠ سنة وفي سورة هود
وسورة الناريات قصة الضيوف الذين زاروا ابراهيم وذبحه لهم عجلاً سمياً وفيها

وفي سورة هود تبشير الله ابراهيم بابنه اسحق من زوجته سارة وفيها وفي سورة الاعراف وسورة العنكبوت وسورة الحجر قصة لوط ونجاته دون امرائه وملاك القرية التي كان فيها بما أمطر عليها وفي سورة الصافات اشارة الى تقديم ابراهيم ابنه قربانا لله واقتداءه بالكبش وفي سورة يوسف قصة يوسف والاحلام التي رآها وما جرى له من اخوته وبعد نزوله الى مصر ايضا من امرأة مولاه وحبسه وتفسيره الاحلام وارتقاؤه الى المنزلة التي صار اليها ونزول ابيه يعقوب الى مصر ايضا وفي سورة البقرة صدور امر فرعون بتفريق الصبيان من بني اسرائيل واستبقاء البنات وفي سورة طه كيفية ولادة موسى ووضعه في التابوت والفائه في النهر واخراجه منه واعادته الى امه لترضيعه وفي سورة القصص ما جرى له بسبب قتله ذاك المصري وهربه الى مديان وزواجه فيها وظهور النار له في الطور ومناداة الله له من الشجرة وفيها وفي سورة الاعراف ارساله الى فرعون وعمله الآيات وفي سورة الاعراف وسورة طه كيفية تلك الآيات التي عملها بحضرة فرعون والضربات التي ضرب الله بها المصريين وفي سورة البقرة وسورة يونس وسورة الشعراء قصة غرق فرعون في البحر ونجاة بني اسرائيل وفي سورة المائدة اقامة بني اسرائيل اربعين سنة في البرية وفي سورة البقرة وسورة الاعراف حكاية تظلمهم بالغام وانفجار الماء لهم من الصخر عند ما ضربته موسى بعصاه وفي سورة الاعراف ايضا وسورة يونس اعالنهم بالمن والسلوى . وبوجد غير ذلك كثير مما في الاسفار الباقية غير سفر التكوين المذكور كما في سورة الاعراف ما ذكر في سفر الخروج عن صعود موسى الى الجبل واعطاء الله له الألواح ثم كسره اياها بعد نزوله عند ما رأى بني اسرائيل عبدوا العجل في غيبته وتجديدها بعد ان سكن غضبه . وما ورد في غير سفر الخروج ايضا من السنن والأوامر والنواهي التي أقرها الدين الاسلامي كما في سورة المائدة من احكام القصاصات بمثل ذنب المذنب كالنفس بالنفس والعين بالعين الخ وما في سورة النساء من درجات الثرابة المحرمة في الزواج وما في سورة آل عمران من اباحة الطلاق وعدم اقتراب

الحائض وعدد الشهود وتحريم الربا وفي سورة البقرة وسورة المائدة وسورة النحل من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير نعم انه يوجد في البعض ما ذكرناه اختلاف عما في نص التوراة لكنه قابل الاهمية كعدم التبريح باسم من اراد ابراهيم ان يقدمه ذبيحة من ابنه والخلاف في مراجعة الزوجة المطلقة بعد ان تزوج باخر وفي تحديد بعض انواع القصاص وفي اسماء بعض الانبياء والصراحة في امر القيامة وذكر النعم والنار الى غير ذلك . وقد وصفت هذه الطائفة في القرآن بالعلامة الشديدة الى المسلمين كما هو مصرح في سورة المائدة وغيرها . وانما ابدلت التوراة وحرفتها كما ورد مثل ذلك عند بحق النصارى من جهة الانجيل ايضا

الكلام على المسيحيين

قد ذكرنا في ما سبق من الكلام على اليهود ما امتازت به الفرقة التي آمنت بالمسيح منهم من الاعترافات التي من جعلتها ان الله اله لكل الناس وليس لليهود فقط ولذلك لم تكن دائرة هذه الديانة ضيقة بحيث تنحصر في اهل بيت واحد كالديانة اليهودية المنحصرة في بيت اسرائيل بل هي تدعو كل الناس الى اعتناقها وبناء عليه قد امتدت هذه الديانة وانتشرت في سائر اقطار الارض حتى ان عدد تابعيها الآن يبلغ نحو ٢٧٧ مليوناً من النفوس تنقسم الى ثلاثة فروع اصلية الاول الكنيسة الكاثوليكية ورئيسها بابا رومية . الثاني الكنيسة الارثوذكسية وهي الكنيسة اليونانية . الثالث الكنيسة الانجيلية وهي الكنيسة البروتستانتية . ولكل من هذه الفروع اقاليم متسعة في الارض يسود عليها وتقوم شوكتها فيها كما سوف ياتي الكلام على ذلك في محله ويجمعهم في الاعتقاد دستور ايمانهم المنصوص من الانجيل وهو هذا

نؤمن بالله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى

وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس . وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي ونُالَم وقُبر و قام في اليوم الثالث على ما في الكتب . وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب . وإيضاً يأتي بجسد ليدفن الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه .

وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي هو مع الأب والإبن يُسجد له ويُجَد الماطى بالانبياء

وبكيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية

ونعترف بمعبودية واحدة لمغفرة الخطايا

ونترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر العتيد آمين

ولا خلاف بين هذه الفروع الثلاثة المذكورة في مضامين هذا الدستور سوى بين الكاثوليكين والروم في قضية انبثاق الروح القدس فان الكاثوليكين يقولون المنبثق من الأب والإبن الذي هو مع الأب والإبن يُسجد له ويُجَد . وأما الانجيليون فلا يتعرضون للمناكحة في شيء من ذلك وإنما يقولون ان اصل الدستور الذي أنه الجميع النيقاوي المسكوني هذا فحواه

نؤمن بالله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى

وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . مساو للأب في الجوهر . الذي به كان كل شيء . الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد وتأنس وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي ونُالَم وقُبر . وقام في اليوم

الثالث . وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب . وايضاً ياتي بهجد عظيم لاهل
الاحياء والاموات الذي لا فناء ملكه
وبالروح القدس الرب المحيي الذي هو مع الآب والابن يُسجد له ويعبد
الناطق بالانبياء

ونترجي قيامه الموتى والحياة في الدهر المتبد آمين
وعلى كلتا صورتين يكون هذا الدستور ملخصاً من الانجيل المسي بالعهد
الجديد كما سبقت الاشارة الى ذلك في الكلام على الكتاب المقدس
ولما كان هذا الدين لا يدعي بانه جاء ناسخاً او مبطلاً للديانة الموسوية
وانما هو تكملة لما بعى المسيح الموعود به فيها من الله على الصورة التي يعتقدونها
بمقتضى تفسير تلك الديانة المتعلقة بذلك في التوراة والانبياء خلافاً لما يظنه
اليهود على ما اوضحناه في الكلام الذي سبق عليهم كان هذا العهد الجديد
لا ينعرض الى وضع شرائع وقوانين سياسية غير ما ورد في العهد القديم وانما
يقصر على الانباء بانتمام ذلك الوعد المبني على نعمة الله المجانية للخطاة التائبين
وعلى شعار الرحمة المتبولة عند الله اكثر من المحرقات والذبايح فقط وعدد
اسفاره سبعة وعشرون سفراً تنقسم الى ثلاثة انواع ايضاً وهي تاريخية وتعليمية ونسبية
اما التاريخية فيؤخذ من الاناجيل الاربعة ومن اعمال الرسل والذين
كتبوها هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وفي تخبر عن ازالة يسوع المسيح ولاهوته
وميلاده الزماني واتصال نسبه من جهة امه وخطيبها يوسف بداود ملك اسرائيل
وما جرباته كلها مدة ثلاثين سنة الى ان اعتمد من يوحنا في الاردن وابتدأ في
الدعوة وعمل الآيات والمعجزات كاخراج الشياطين واحياء الموتى وقيام المفلحين
وتطهير البرص وتنشيع اعين العميان واذان الصم واطلاق السنة الخرس وقيام
المفلحين الى غير ذلك من سائر الامراض وتهدة الرياح بكلمة واشباع الوف
من الناس مرةً بمخمسة ارغفة ومرةً اخرى بسبعة مع القليل من صغار السمك
واعطائه السلطان بعمل مثل هذه الآيات لتلاميذه الذين اخنارهم الانذار والتبشير

بدعوته ثم حثى اليهود عليه لكونه كان يقول ان الله ابوه ولعله الآيات في ايام السبت وتسليمهم اياه الى بيلاطس البنطي القائد الروماني الذي كان ينوب اورشليم وقتئذٍ وامر هذا الوالي بصلبه بعد ان سلم تلاميذه (في ذات الليلة التي اسلمه فيها لليهود يهوذا الاسخريوطي احد تلاميذه) العشاء الرباني ثم قيامة من بين الاموات في اليوم الثالث من دفنه وكان ذلك يوم الاحد الذي يتلو فصح اليهود وظهوره لتلاميذه ولحقو خمس مئة من المؤمنين به وترددوا على الارض بعد قيامة مدة اربعين يوماً ثم صعوده الى السماء وحلول الروح القدس بعد صعوده بعشرة ايام على تلاميذه ومن العجيب انه اذ كان على الارض يهل الآيات الباهرة لم يؤمن به الا القليل جداً وبعد صلبه وموته هرع الناس الى الايمان به وكان هو اخبر بهنا بقوله لليهود لكن متى رفعتم ابن الانسان تسلمون اني انا هو (اي المسيح) فان في ذلك اليوم الذي حل فيه الروح القدس كما ذكرنا خطب تلميذه بطرس خطاباً آمن بواسطته من اليهود ثلاثة آلاف رجل دفعة واحدة ثم ينتهي هذا القسم التاريخي بالاخبار عن المحوادث التي جرت في الكنيسة وكيفية تصرف المسيحيين في ادارة نعيمهم الوقتية والآيات التي كان يعملها الرسل وترتيب الشمامسة وانتشار الانجيل ودخول رجل فريسي من قبيلة بنيامين اسمه شاول في الديانة المسيحية بواسطة اعلان ظهوره عندما كان يخرب الكنيسة ويضطهد كل من يدعو باسم يسوع وسي اخيراً بولس وتكريسه ذاته لخدمة التبشير ودعوة الامم الذين فتح لهم بطرس باب الدخول الى الايمان بواسطة اعلان ظهوره اذ كان في يافا اباح له ان يأكل من كل دواب الارض والوحوش والزحافات وطيور السماء . فلا يقول عن انسان ما انه دنس او نجس ولذلك ذهب الى كرنيليوس قائد المئة الذي كان في مدينة قيصرية وقبله هو واهل بيته في الايمان . ثم ذهب برنابا وبولس الى انطاكية وفيها سمي التلاميذ مسيحيين كما ذكرنا سابقاً وتأسس الكنائس في كل الحملات التي نادى فيها التلاميذ وخامسة بولس . وما جرى فيها من المحاورات اليهودية بخصوص الختان وانعقاد

مجمع الرسل في اورشليم لذلك وإبطاله هذه السنة وحفظ الناموس الموسوي وإن لا يمنع المومنون إلا عما ذُبح للأصنام وعن الدم والخنوق والزنى . وما جرى لبولس بعد ذلك في رحلاته الكثيرة وخصوصاً في رجوعه إلى اورشليم التي منها توجه مأسوراً ومقيداً إلى رومية حيثما أقام فيها سنتين كاملتين مبشراً يدعو الناس إلى الديانة المسيحية التي كان يضطهدوها في ما سلف

ولنأت إلى القسم الثاني التعليمي فنقول أنه لما كان السبب الوحيد للحيء المسيح حسب تعليم الانجيل هو كون جميع الناس خطاة بحسب فساد طبيعتهم وليس احد ينجي ولا ينجي إلا واحد وهو الله والكل اعوزهم يجد الله وقد جاء هو ليس ليدعو ابراراً بل خطاة إلى التوبة فمع شدة أوامره بحفظ وصايا الله العشر وتوسعه في تفاصيلها وتفريعاتها وكان من قواعد هذه الشريعة ان من زلّ بواحدة منها فقد صار مديوناً للشريعة كلها قد ابان لليهود الذين جاءوا اليه بزانية ليجربوه في امرها حيث ان شريعة موسى تأمر برجمها ان من كان منهم بلا خطية فلا يرميها أولاً بالحجر ولما انصرف الجميع حيثما بكنتم ضمايرهم ولم يوجد بينهم من لا يوجبه ضيرة على معصية كما ذكرنا قال لها يسوع اذهبي ولا تعودي إلى الخطية ايضاً وهكذا امر بعدم مقابلة الشر بالشر اذ يقول لتابعيه قد سمعتم ما قيل للاولين عين بعين وسن بسن واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم . باركوا لاعينكم . احسنوا إلى مبغضكم . وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . ومن ضربك على خدك الايمن فقول له الآخر . ومن سترك ميلاً فامش معه اثنين ومن طلب ثوبك فلا تمنعه ردائك ومن اخطأ اليك فاغفر له إلى سبعين مرة سبع مرات في اليوم . وان يحترزوا كل الاحتراز من الرياء ومحبة الجسد الباطل اذ يأمرهم بان لا تكون صدقاتهم مزوجة بالخطية بل لا تعرف شمال المتصدق ما فعلت يمينه وان يفعلوا الخير مع كل الناس بدون استثناء فيطعمون الجبابع ويسقون العطاش ويأوون الغرباء ويكسون العراة ويزورون المرضى والمحبوسين وهكذا تكون صلواتهم ايضاً ويدأموها على الطلبة من الله وتقديم الصلوات اليه

بحيث تكون مختصرة وبلا تكرير كلام ومثل ذلك الصيام . وان لا يتعلق المؤمنون
 به بحب المال ويوقفوا ذواتهم لجمعها وكثرة بل تكون كنوزهم في السماء ويتكلمون
 على الله في امر معيشتهم ويصرفون اهتمامهم في ما هو له ويجتهدون على الاجتهاد
 بخدمته ومضاعفة النعم الموهوبة لهم منه اذ ليس كل من يقول يا رب يا رب
 يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل ما يرضيه ويوافق ارادته . وان خدمة
 الله تحتاج الى التجرد من الاهتمامات العائلية . وان من انكره قدام الناس
 ينكره هو ايضا قدام الله . ويعلمهم ايضا بان لا يدينوا احدا بل ينظروا الى عيوب
 انفسهم قبل ان يلاحظوا غيرهم وان يعاملوا الناس بما يحبون ان يعاملوا به
 وان ما يدخل الفم لا ينجس الانسان وانما الذي يخرج من الفم ذاك ينجس
 الانسان وهو الافكار الشريرة والقتل والزنى والفسق والسرقة وشهادة الزور
 والتجديف وعلى هذا يقول بولس احد تلاميذه ايضا ان لا يكون بين المؤمنين
 زان او طماع او عابد وثن او شتام او سكير او خالف لان الزنا وعبدة الاوثان
 والفاسقين والمأبوسين ومضاجعي الذكور والسارقين والطامعين والسكيرين
 والشتامين والمخاطفين لا يرثون ملكوت الله . وامر المسيح ايضا بالطاعة الى
 المحاكم واعطاء الجزية لهم وهكذا علمت تلاميذه اذ يقول بولس فلتخضع
 كل نفس للسلطين ومن يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله . وامر ان لا يتزوج
 الرجل الا بامرأة واحدة بقوله ان الله خلفها في البدء ذكرا وانثى ومنع الطلاق
 لغير علة الزنى وكذلك علموا بخضوع النساء الى رجالهن ومحبة الرجال
 نساءهم وكيفية تهذيب الاولاد ومعاملة السادة العبيد وبالعكس . وعلم المسيح
 ايضا بامر القيامة وان هناك لا يزوجون ولا يزوجون بل يكونون كملائكة الله في
 السماء وتلاميذه هكذا علموا بان ملكوت الله ليس هو اكلا وشربا بل هو بسلام
 وفرح في الروح القدس وان الخلاص يكون بالايمان الحي المثمر بالاعمال الصالحة
 وليس بالايمان الميت ويجب ان الملهطي يعطي بسخاء والمدير باجتهاد والراحم
 بسرور والمحبة تكون بلا رياء وعلموا بكرامة الشر والانتصاف بالخير والمحبة

الاخوية وان من لا يجب اخاه لا يجب الله ايضاً . وبوجوب تقديم الناس بعضهم بعضاً في الكرامة ، فرحين في الرجاء صابرين في الضيق . مواظبين على الصلاة مشتركين في احتياجات القديسين عاكفين على اضافة الغرباء . وفي ما ذكرناه كفاءة ولتتم ذلك بما امر به تلاميذه ايضاً وهو صاعد الى السماء بعد قيامته من بين الاموات ان يذهبوا الى العالم اجمع ويكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ويعهدون باسم الآب والابن والروح القدس فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن . وانا القسم الثالث النبوي فهو رؤيا بوحنا اللاهوتي احد الانجيليين ويدعى باليونانية ابوكاليسيس . نعم ان اسفار العهد الجديد التاريخية والتعليمية التي تقدم الكلام عليها تحتوي على نبوءات شتى وانما امتاز سفر الرؤيا بهذا الاسم لان النبوة هي موضوعه الخصوصي وسواء كانت تلك او هذه ايضاً ليس لنا نحن حتى ان نتكلم عليها باكثر من انها موضوع مباحثات طويلة بين علماء الطوائف المسيحية على تفاوت طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ايضاً

— ١٥٣ —

فصل

في البدع التي ظهرت بين المسيحيين وسبب اعتقاد المجامع
وانقسام الكنائس

مع انه لا يوجد خلاف في نص متون اسفار هذا الكتاب المترجم لحد الآن الى نحو مئتي لغة بين فرق النصرانية من الطوائف التي ذكرناها الا ان ما اختلفوا فيه من التفسيرات التي عولوا عليها اوجب صيرورة هذا الدين ايضاً عرضة لآراء الناس ومجادلاتهم التي سببت ظهور البدع التي ذكرها التي يتوعد بها البعض الى خمسة اقسام متباينة الاول بدع الفلاسفة الثاني بدع الاخلاق الثالث البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح الرابع بدع المجادلة الخامس البدع الصورية او العادية

ثم صارت هذه البدع سبباً لانعقاد الجماع وتعاليم الجماع سبباً لانتقام الكنائس
الحاضرة الى تقليدية وانجيلية وهماك اولاً تفاصيل هذه البدع

بدع الفلاسفة . منها اولاً بدعة الغنوستيكيين او الغنوسيين نسبة الى غنوسيس
وهي كلمة يونانية معناها المعرفة وكان ظهورها في عهد الرسل وكانت وقتئذ فلسفة
المشرق الروحية ممتزجة بمذاهب فلاسفة اليونان المتعلقة بما يفوق الطبيعة
فمزجت هذه الطائفة تلك التصورات باصول الدين حتى جعلوها شيئاً واحداً
فرفضوا شريعة موسى النبي وقالوا ان المسيح ليس هو الا واسطة بين الله والناس
ارسله ليخلص الناس من تسلط الشيطان عليهم ويمنع تسلط المادة على الروح
بحيث لا يتاثر منها . وما زعموه ان الدنيا ليست من صنع الاله الاعلى وانما هي
من صنع آلهة ادنى اشرار وان الشرور والقبائح انما تصدر عن المواد التي ليست
من صنع الاله وملائكته واسنبطوا من ذلك اموراً متناقضة فامتنع بعضهم من
النزواج ومن سائر المحظوظ التي قبل اليها النفوس واجتهدوا في اخراج الروح
من الجسد بواسطة الصيام وتكليف النفس بالمشقات وتآسى البعض منهم بقول
بقراط المصري فلم يتفكروا في شيء من انواع تعذيب الاجسام لا بتغيير ولا بشر
بل تركوا انفسهم وهواها فاقبلوا بكليتهم على ارتكاب ما لا يليق من الامور الذميمة
وبعضهم دعي دوسيتيين لانهم لم بقدروا ان يفهموا كيف ان شيئاً الهياً يمكنه
الاتحاد بالحقينة بشخص بشري ولذلك اعتقدوا بان جسد المسيح كان جسداً
بالصورة فقط وانه تألم ومات بحسب الظاهر لا بالحقينة

وبعضهم دعي كيرنثيين نسبة الى كيرنثوس مؤسس هذه الفرقة على المبدأ
الذي تأسست عليه بدعة الدوسيتيين المذكورة وهو عدم وجوب التصديق بما
لا يقدر على فهمه الا انهم وصلوا الى نتيجة مضادة لنتيجة اولئك اذ لم ينكروا
على طبيعتهم البشرية ولا بانه على حقيقة كل ما ذكر عنه في الاناجيل ولكنهم لم
يقدروا ان يوفقوا ما حدث له مع ما كانوا يتصورونه عن ابن الله ولذلك انكروا
لاهوته وزعموا ان المسيح الذي اعتبروه متبثقاً من اللاهوت نزل على الانسان

يسوع عند معبوديته ودام معه الى وقت صليبه وحينئذ تركه ورجع الى السماء وبعضهم دعي ايونيين وهؤلاء كانوا يفرقون قليلاً عن الكيرنثيين المذكورين في آرائهم عن المسيح الا انهم تمسكوا بالشرعية الموسوية ولكن رفضوا جزءاً من الاسفار المقدسة اذ انهم انكروا الاتفاق بين الاسفار المذكورة جميعها بعضها مع بعض. ويقال ان سيمون الساحر المذكور في اعمال الرسل كان ابا هذه الهرطقات المذكورة

ولما ظهر ماني الفارسي في القرن الرابع بعد الميلاد وكان قد نشأ بين المجوس وعلى دينهم دخل في الدين المسيحي قاصداً افساده وتغيير اصوله فزعم انه البارقليط نزل من السماء ليكمل الدين الذي زعم ان المسيح تركه ناقصاً ومن ثم اخذ ينسب الى المسيح الافعال التي صدرت عن مترا الذي هو من معبودات الفرس ويفسر الانجيل بما تقتضيه عقائد الصابئين من الاصلين اللذين احدهما المادة الشفافة اللطيفة وهي انور المستولي عليه اله الخير والثاني المادة الكثيفة وهي الظلمة التي استولى عليها اله الشر وان كلا من هذين الالهين اثر تأثيرات من جنسه ونشرها في الدنيا فالاجسام البشرية ناشئة عن الاصل الردي والارواح ناشئة عن اصل الخير ولذلك كان بينهما الخلاف والتعاند الى ما لانهاية له وان من الحكمة ان الانسان يجب ان يجمع الشهوات وينتد الروح من بين الهيكل الجسماني ثم ان هذا المبتدع انتخب من الكتب المقدسة اصولاً ترك منها العهد العتيق وآلف من الباقي كتاباً سماه "ارتغ" اي الانجيل جعله على وفق مراده وجعل جماعة فرقتين اي نصاري كاملين ونصاري مستمعين وان رئيس مذهبهم يكون نائباً للمسيح وتحت ائنا عشر رئيساً نيابة عن الرسل واثنا وسبعون اسقفاً عبارة عن تلاميذ المسيح الاثني والسبعين وان القسوس والشمامسة يكونون من فرقة الكاملين

بدع الاخلاق منها النقولايون الذين ظهروا في القرن الاول بعد الميلاد ويقال بان قائدهم في ذلك كان نيقولاوس احد الشمامسة السبعة

وأصحاب هذا المذهب كانوا يقربون الذبائح للأوثان ويترغون في اقبح الفواحش لانهم زعموا بان كل من عرف الله والمسيح بخاص مها كانت تصرفاته لاعتمادهم بان المسيح اشترى لشعبه الحرية الكاملة من الشريعة كقانون لحياتهم ولذلك كانت موافقة الامم عندهم اولى من احتمال الاضطهاد. والظاهر ان قواعد ديانتهم كانت مطابقة لديانة الفنوسيين التي مر ذكرها وخلاصة الامر ان هذا المذهب افضى بالناس الى السقوط عن درجاتهم بحيث صاروا كالبهائم وقُطع ما بينهم من العلاقات والارتباطات حيث ابطل حق الملكية والاختصاص وجعل جميع الاشياء شيوعاً بينهم

ومنهم فرقة الموتانوسية نسبة الى رئيسهم موتانوس وهو من الفريسيين زعم انه بُعث ليكمل للناس الآداب التي جاء بها المسيح فمنع الناس عن المحظوظ والزينة وتعلم الفنون والفلسفة وكانت هذه البدعة اضرت على الدين المسيحي من بدعة النيقولاويين اذ قد اتبعها خلق كثيرون لما راوا فيها من شعار الزهد ومنهم ترنوليانوس الشهير بالفصاحة والتأليف الدينية

ومنهم الوليزيون والاوريجينيون الذين زادوا في التشديد والتضييق على الموتانوسيين حيث اعدوا انفسهم لأصعب انواع التعذيبات واشدها ولم يقنعوا بقمع انفسهم عن شهواتها فقط بل طبعوا في التخلص من سلطة الحواس بوسائل تنافي الطبيعة ولا ترضي الخالق

البدع المتعلقة بطبيعة المسيح كان مصدرها الجدل والبحث بين المسيحيين القدماء في شأن الثليث فمنهم من نفي الوهية الروح القدس كالمكدونيين أصحاب مكدونوس والبنومانوماكيين لكن تعاليمهم لم تنتشر انتشاراً ينجس منه حيث ان اول مجمع عندته الاساقفة في القسطنطينية سنة ٣٨١م حكم ببطلان مذهبهم

ومنهم من قال غير ذلك لان سبليوس الذي ظهر في القرن الثاني كان يقول بالاقانيم الثلاثة لكنه كان يرى ان في كل اقنوم خاصة تنافي الالهية واما نوتيوس رئيس المونرخية وبولس السمسياطي الذي ظهر بعده فكانا

يقولان بوحداية الذات الالهية

ثم ظهر اريوس بعد ذلك في اوائل القرن الرابع وانكر الوهية المسيح حيث قال انه ليس من ذات الله وانه مسبق بالعدم ضرورة لانه مولود وانه جائز الوجود وان الحكمة في وجوده هي لكي يكون واسطة لانقاذ العالم من الخطية فانهقد لذلك المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م وحكم ببطالان مذهب هذا الشماس الاسكندري وألف دستور الايمان الذي يجب على المسيحيين ان يتمسكوا به وقد سبقت تفاصيله في ما مر

ثم لما خطب احد القسوس في القسطنطينية ويقال له انستاسيوس خطبة انكر فيها على تلقيب العذراء المباركة بوالدة الاله وقال انما هي ام المسيح تابعة على ذلك البطريرك نسطور يوس فانهقد بهذا السبب المجمع في مدينة افسس بواسطة كيرلس بطريرك الاسكندرية وحكموا على النساطرة بالهرطقة اما اساقفة المشرق الذين كانوا في المجمع المذكور فاجتمعوا ايضا في افسس وحرّموا كيرلس المذكور وكان ذلك في القرن الخامس

ومن ثم ظهر افتيخيوس في القرن المذكور واراد ان يقي ذاته من آراء النساطرة المذكورين وكان رئيس دير فاخذ يعلم بان المسيح حين تجسّد لم يكن له الآ ذات واحدة وطبيعة واحدة وأيد ذلك ثاودوسيوس الثاني قيصر القسطنطينية بجميع عقده في افسس سنة ٤٥١م تحت رئاسة ديسقوروس بطريرك الاسكندرية وتسمت مفلدوة منوفيزية لكن بعد ذلك بسنتين انعقد مجمع آخر في خلكدونية وابطل هذا التعليم وقطع ديسقوروس من البطريركية وعلم بان للمسيح ذاتا واحدة وطبيعتين طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية غير انه لما ظهر يعقوب البرادعي استنف اورفا غير بدعة المنوفيزية بصورة اخرى غير صورتها الاولى واخذ يجمع فروع هذا المذهب الى ان مات في سنة ٥٧٨م وبو تسمت تلك الطائفة باليعقوبية واراد هرقل قيصر القسطنطينية ان يرد طائفة المنوفيزية الى راي الكنيسة فكان ذلك سببا في ظهور بدعة المنوتيلية حيث انه اتفق مع انستاسيوس البطريرك

المونوفيزي بأن هذا البطريك يرد اصحابه حسب طلب القيصر بشرط ان يكون الاعتراف العام ان المسيح من حين اتحد فيه اللاهوت والناسوت لم يبق له الا ارادة واحدة وتأثير واحد ناشئ عن تلك الارادة واستحسن ذلك سرجيوس بطريك القسطنطينية وكورش بطريك الاسكندرية واثناسيوس بطريك انطاكية والبابا هنريوس الاول اسقف رومية ولم يخالف في ذلك الا صفرونيوس بطريك اورشليم وعقد ضدهم مجتمعا في سنة ٦٣٤ م ثم اجتمع جميع آخر في القسطنطينية سنة ٦٨٠ وحرموا تلك الطائفة والبابا المذكور ايضا

بدع المجادلة . منها البيلاجيوس اصحاب بيلاجيوس البريطاني ورفيقه سلسنبوس الارلندي وكانا كلاهما راهبين في رومية وقد رأيا ان مما يمنع السعادة الابدية القول بسريان الخطية الجدية الى نسل آدم والاعتراف بان الانسان يحتاج الى تجديد القلب بنعمة من الله تمنعه من الاقدام على الخطية وتقبل به الى التوبة . ومن ثم شرعا في ابطال هاتين العقيدتين وعلم الناس بان خطية آدم وحواء لا يواخذ بها احد من ذريتهما وان امتناع الانسان عن الخطية لا يتوقف على تلك النعمة وان الانسان موكول في الاعمال الى اختياره فمن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها . ثم لما انعقد ذلك مجمع قرطاجنة سنة ٤١٢ م وبطل هذا المذهب ذهب بيلاجيوس المذكور الى الشرق واخذ في نشر مذهبه هناك واعانه على ذلك اسقف اورشليم لانه كان في السر على مذهب اوريجانوس وكان هذا المذهب موافقا لمذهب بيلاجيوس واخيرا تلاشى هذا المذهب بجميع انعقد في افسس سنة ٤٣١ م

ثم لما تجاوز بعض اخصار المذهب المذكور الحد في منع عدم الاحتياج الى النعمة من الله قالوا بالتضاء والقدر لكن اندرس مذهبهم بالاعتراف بجميع ارسل سنة ٤٧٣ م ومجمع اساقفة ليون سنة ٤٧٣ م ولانكتف بهذا القدر الذي ذكرناه من البدع اذ قصد ان تعرف الاسباب الاصلية التي احوجت الى انعقاد الجامع العامة وغيرها وان جل ذلك كان

لاجل ردّ البدع وإيضاح حقائق تعاليم هذا الدين لكن لما لم يحصل المعلول فيها على هذا الامر فقط بل اخذت على نفسها وضع بعض قوانين وترتيبات وإثبات بعض تقاليدات كان يستعملها بعض الدخلاء بدون التفات الى نص الكتاب احناج الامر اخيراً الى الانقسام الواقع والحالة هذه بين المسيحيين

وهذه الجماع تقسم بالنظر الى عدد اربابها ودرجاتهم وشوكهم الى ثلاثة اقسام وهي مجامع عامة ويقال لها مسكونية ومجامع محلية اي خاصة بطائفة دون غيرها ومجامع اقليمية اي خاصة باقليم مخصوص لكن مقاصد كلانا هنا لا تحتاج الا الى ذكر المجامع التي تعتبر عامة سواء صادق عليها الجميع او انكر بعضهم على بعضها لما في ذلك من معرفة النتائج التي تولدت عنها وهي

اولاً المجمع النيقاوي الملتئم سنة ٣٢٥ م بامر قسطنطين الملك ضدّ الاريسيين وتثبيتاً للاهوت المسيح وفيه ترتب دستور الايمان كما سبقت الاشارة الى ذلك وعشرون قانوناً كذلك النظام والضبط والربط في الدين وازاد اليها نصارى الغرب متين قانوناً آخر اقرها بعضهم لكنهم لم يضعوا عليها علامة الصحة وكانت اعضاؤه ٢٥٠ او ٢١٨ اسقفاً اكثرهم من الشرق

الثاني المجمع القسطنطيني المنعقد سنة ٣٨١ م بامر ثيودوسيوس الملك ضدّ الابوليناريين وهم المكدونيون تثبيتاً للاهوت الروح القدس وبان المسيح ذو جسد حقيقي ونفس حقيقية وانه اله تام وانسان تام وثبت دستور الايمان النيقاوي وزاد فيه لفظ الروح القدس المبتثق من الآب وكلمة وكانت اعضاؤه ١٥٠ اسقفاً اكثرهم من الشرق وقد تذكروا في من يجب تقديمه من كبار الاساقفة فقرّر رايهم على ان اسقف القسطنطينية اولى بذلك وانه اعظم الاساقفة بعد البابا. قال الرهبان البندكتيون ان المجمع الذي لم يكن ارباباً الا مئة وخمسين اسقفاً لا ينظم في سلك المجامع المسكونية الا بعد ان اقره جميع الكنائس

الثالث المجمع الافسسي الملتئم سنة ٤٣١ م بامر الملك ثيودوسيوس الثاني وكانت اعضاؤه نحو ٢٠٠ اسقف وكان انعقاده لاجل دحض تعليم نسطور بوس

وبيلاجيوس وتمّ ذلك تحت رئاسة كيرلس بطريرك الاسكندرية قبل وصول الاساقفة الشرقيين الذين عند وصولهم اجتمعوا تحت رئاسة يوحنا الانطاكي وعزلوا كيرلس الاسكندري فانزعجت الدعوى الى الملك الذي ختم مع راي الاكرين ضد نسطوريوس اما هذا المجمع فحكم بوجود اتحاد جوهرى بين الطبيعتين في المسيح وبأن الاله والانسان في المسيح هما واحد وبأن مريم والدة الاله فرفض نسطوريوس ذلك

ويوجد بين المجمع الثالث والرابع مجمع آخر يدعى مجمع اللصوص التام بامر الملك ثيودوسيوس المذكور الذي امر بانعقاد المجمع الثالث وكان الثامنة في افسس وذلك في شهر آب سنة ٤٤٩م واعضائه ١٢٥ استقفا تحت رئاسة ديسقوروس بطريرك الاسكندرية فحكموا بان المسيح ذو طبيعة واحدة وثبتوا تعليم اثنيسيوس وبعد نهايته ثار اوباش الرهبان على فلاقيانوس بطريرك القسطنطينية وضربوه حتى مات

الرابع المجمع الخلكيدوني المنعقد سنة ٤٥١م بامر الملك مرسيانوس وكانت اعضاؤه ٥٢٠ استقفا كلهم من اساقفة المشرق ما عدا اثنين كانوا من اساقفة افرقية واربعة من المغرب من طرف امون وكان انعقاده ضد ديسقوروس واثنيسيوس وثبتا للراي الذي حرره بخربر البابا المذكور وهو ان الطبيعتين في المسيح غير منزجتين وغير منفصلتين وان المسيح هو واحد في طبيعتين وليس من طبيعتين ومن القوانين التي انخط رايم عليها تخصيص اسقف القسطنطينية بخصائص ومزايا اسقف رومية عنها

الخامس المجمع القسطنطيني الثاني المنعقد سنة ٥٥٣م بامر الملك يوستيانوس ضد اوريجانوس وضد معلى الطبيعة الواحدة ونج من ذلك انفصال القبط والارمن واليهوديين عن الكنيسة الشرقية الملكية

السادس المجمع القسطنطيني الثالث المنعقد سنة ٦٨٠م بامر الملك قسطنطين بوجونانوس ثانياً لوجود مشيئين في المسيح وحرروا البابا هنوريوس

وستة بطاركة كانوا يؤيدون رأي المنوتولين وكان البابا المذكور في ذلك الوقت ميتاً

وهناك مجمع آخر بين السادس والسابع الثام في القسطنطينية سنة ٦٩٢ م يدعى الخامس السادس لكونه ملحقاً للمجمعين المذكورين ثانياً لمساواة سلطان القسطنطينية ورومية لكن الكنييسة الرومانية لم تقبله وهو لم يزل موضوعاً للاختلاف بين الشرقيين والغربيين

ومجمع ثان بين السادس والسابع عُقد في القسطنطينية ايضاً بامر الملك قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ م وفيه جمهور عظيم من اساقفة الجبهات المختلفة وفيه حرّموا اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة والذخائر وطلب الشفاعة من العذراء المباركة في جميع الكنائس الشرقية وكان الملك ايون قبل قسطنطين المذكور يضاد الايقونات والتماثيل وكذلك ايون الرابع الذي خلفه وقسطنطين الرابع كانوا نظيره لكن ابريني امه قتله وملكته عوضاً عنه ورجعت الصور والذخائر. اما كنييسة رومية فاقبلت حكم هذا المجمع لكن مجمع جنطيلي سنة ٧٦٧ م ومجمع فرانكفورت سنة ٧٩٤ م بامر ايون الخامس حكموا ضد الايقونات والصور والذخائر

السابع المجمع النيقاوي الثاني المنعقد سنة ٧٨٧ م بامر الملكة ابريني المذكورة واعضاؤه ٢٧٧ اسقفاً ضد مكسري الايقونات فقبلت رومية هذا المجمع الا ان فرنسا مكث اهلها مدة طويلة ينكرونه وقد الثام ايضاً مجامع في انكلترا والهندك ضده وذلك سنة ٧٩٤ م

الثامن المجمع المنعقد في القسطنطينية وهو في الحقيقة مجمعان متضادان اولها اللاتيني الغربي المنعقد سنة ٨٦٩ م وفيه ثبت ثلاث عقائد اولاً كون الانبياء من الآب والابن . ثانياً ان كل دعوى تُرفع اخيراً الى رومية لاجل المحاكمة . ثالثاً ان رومية تتسلط على ايليريا وبغدان وكان قبله بسنتين حرم نقولا بابا رومية فوتيوس بطريرك القسطنطينية فعاد فوتيوس وحرّم البابا نقولا المذكور

أما المجمع الثاني فكان انعقاده في سنة ٨٧٩ م وهو الشرقي اليوناني وفيه
 ثبت فوثيوس بطريرك القسطنطينية وحكم بان الانشقاق من الآب وحده وتم
 الانشقاق بين الشرق والغرب وصار كل من هذين المجمعين يعتبر عدد اصحابه
 كالمجمع الثامن المسكوني وكل منهما ثبت المجمع المسكونية السبعة التي قبله
 وهنا ينبغي ان نذكر المجمع المعتبر مسكونية اضافة على ما ذكر وذلك
 عند الكنيسة الغربية فقط ومن انعقاد اليها من الطوائف الشرقية

المجمع التاسع المنعقد في رومية سنة ١١٢٢ م ويدعى اللاتيراني الاول حيث
 كان انعقاده في كنيسة اللاتيران في رومية وفيه حكم بان سلطان تعيين الاساقفة
 ليس للحكام بل للبابا

المجمع العاشر المنعقد في رومية ايضا سنة ١١٢٩ ويدعى اللاتيراني الثاني
 وكانت اعضاؤه ١٠٠٠ اسقف التأم لاجل ارجاع الاتحاد بين الكنيستين الغربية
 والشرقية وحرم الالبيجيسيين وارنواك البرشيانى الابطالياني

المجمع الحادي عشر وهو اللاتيراني الثالث المنعقد سنة ١١٧٩ م لاجل
 اصلاح التأديب الكنسي وفيه ثبت انتخاب الباباوات باصوات ثلثي عدد
 الكردينالية وفي هذا الوقت شاع تعليم الاستحالة ولكنه لم يحكم به حكما مجمعيًا

المجمع الثاني عشر وهو اللاتيراني الرابع انعقد سنة ١٢١٥ م وفيه تجدد
 حرم الالبيجيسيين وثبتت الاستحالة والغفرانات . وسُحح باستئصال الهرطقة

المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من اعمال فرنسا سنة ١٢٤٥ م بامر
 البابا اينوسنت الرابع لاجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرره . وهذا المجمع
 لم تسلم كنيسة فرنسا حتى الآن بصحة او بسلطانه مطلقا . وبعض المؤلفين
 يدعونه اللاتيراني الخامس

المجمع الرابع عشر التأم في ليون ايضا سنة ١٢٧٤ م وفيه صار البحث في امر
 الانشقاق وشرع في افتتاح باب لاتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ولكن من
 دون نتيجة . وصدر امر بان رتب الرهبنة الشحاذية تكون اربعا فقط وهي

الدومينيكيون والفرنسيسكانيون والكرمليون والاريميون
 المجمع الخامس عشر انعقد في فيينا قصبة النمسا سنة ١٢١١ م بامر البابا
 اكليمندوس الخامس بطلت فيه رتبة فرسان الهيكل
 وهناك ايضا مجمع انعقد في فلورنسا قصبة التوسكانا احدى ممالك ايطاليا
 سنة ١٤٢٩ م حضر فيه ثلاثون اكليريكيا من الشرقيين وقد اجتمعوا والاجتهاد
 الكلي في الاتحاد بين الشرق والغرب من دون نتيجة غير انه حصل انشفاق في
 الكنيسة الشرقية بين الارثوذكسيين والروم الكاثوليك وابتدأت ايضا الارن
 الكاثوليك والسريان الكاثوليك

المجمع السادس عشر انعقد في كونستانس من سنة ١٤١٤ الى سنة ١٤١٨ م
 وكانت اعضاؤه ١٥٠ اسقفا و ١٨٠٠ اكليريكي وكان انعقاده بطلب اساقفة
 فرنسا لاجل اصلاح حالة الباباوات فلم يقبل منه في رومية الا الجلسات
 الاخيرة واما في فرنسا فقد قبلت جلساته جميعها وهذا المجمع امر باحراق يوحنا
 هوس مصلح كنيسة بوهيميا ورفيقه جيروم فاحترق هوس في ٦ تموز سنة ١٤١٥ م
 وجيروم في ٢٠ ايار سنة ١٤٦١ م وحكم ايضا بان الباباوات هم تحت اوامر
 الجماع وسلطانها وعزل البابا يوحنا الثاني والعشرين

المجمع السابع عشر انعقد في باسيل سنة ١٤٣١ م ودام الى سنة ١٤٣٩ م
 وجلساته الاولى قبلت في رومية وعدتها خمسة وعشرون وفيه تأيد ايضا سلطان
 الجماع على الباباوات

المجمع الثامن عشر انعقد في رومية سنة ١٥١٢ م ودام الى سنة ١٥١٨ م
 بامر البابا يوليوس الثاني لاجل ابطال شرط الحرية التي انعقدت سنة ١٤٣٨ م
 مع كنيسة فرنسا فلم يسلم بذلك اكليروس فرنسا

المجمع التاسع عشر انعقد في تريدينو ودام من سنة ١٥٤٢ الى سنة ١٥٦٣ م
 وكانت مقاصده ايضا حج العقائد الرومانية والرد على الراء البروتستانتية التي
 كان شرع بها وقتئذ مرتينوس لوثيروس

وكان السبب الذي شدد عزم لوثيروس المذكور في ذلك بيع اوراق
الغفرانات المخترعة في زمن البابا ابون العاشر الذي تولى الكرسي سنة ١٥١٣ م
وكانت تُباع في ويتمبرغ مدينة كان لوثيروس المذكور مدرسا فيها عن يد راهب
دومينيكي يُقال له تنزل وهذه صورتها

ربنا يسوع المسيح برحمتك يا فلان وبحملك باستغفافات آلامه الكلية
القلبية وانا بالسلطان الرسولي المعطى لي احلك من جميع الفصاصات والاحكام
والطائعات الكنسية التي استوجبتهما وايضا من جميع الافراط والخطايا
والذنوب التي ارتكبتها مها كانت عظيمة وفضيحة ومن كل علة ولئن كانت محفوظة
لاينا الاقدس البابا والكرسي الرسولي وامحو جميع اقدار العجز وكل علامات
الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة وارفع الفصاصات التي كنت
تلتزم بمكابدها في المطهر وارذك حديثا الى الشركة في اسرار الكنيسة واقرنك
في شركة القديسين وارذك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند
معموديتك حتى انه في ساعة الموت يغلق امامك الباب الذي يدخل منه
الخطاة الى محل العذاب والعقاب ويقف الباب الذي يؤدي الى فردوس الفرح
وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبني غير متغيرة حتى تاتي ساعتك الاخيرة
... باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

الاخ يوحنا تنزل قد امضى ذلك بيده

وقد حكي بان لوثيروس عند ما كان يسمع اعترافات بعض الناس
بذنوب باهظة ويفرض عليهم التكفيرات اللازمة بحسب قواعد التقليد بين
كانوا يابون القيام بها بناء على كونهم اشتروا بها رخصة غني بها عنهم ومن ثم
شرع اولاً في رفض هذه الاوراق ومضادتها وآل امره اخيراً الى الاستدراج
شبيهاً فشيهاً لمقاومة كل تعاليم الكنيسة الرومانية وتقليداتها المنافية لروح الكتاب
المقدس او اني لا يوجد لها فيه اساس بُني عليه

المجمع العشرون المنعقد في رومية سنة ١٨٦٩ م ولا يزال مفتوحاً لم تنته

جلساته الى الآن وكان انعقادُهُ بامر البابا ييوس التاسع سعي الرهبان اليسوعيين والذي ظهر والحالة هذه من مقاصده هو اثبات العصمة في الباباوات وقد نشأ عن ذلك انقسام في الطوائف الكاثوليكية ببلاد اوربا والمشرق والذين خالفوا هذه العقيدة من اهالي اوربا سمو ذواتهم بالكاثوليكين القدماء ونهاية ذلك لم تنزل مجهولة

وحيث انه من فحوى اسباب انعقاد هذه الجماع نُعلم مبادئ التعاليم التقليدية واسباب انقسام المسيحيين والحالة هذه الى تقليديين وانجيليين على ما ذكرنا فلا حاجة الى اطالة الشرح في الكلام على تفصيل ذلك وانما نتكلم هنا بالاجمال على كل من هذين القسمين

الكنائس التقليدية

نقسم الى عدة فروع كاللاتينية واليونانية والبعقوية من ارمين وقبط وسريان وطوائف آخر من نسطورية وكلدانية وغير ذلك الا ان الفروع المهمة التي تستحق الالتفات هي اثنان فقط وهما المذهب اللاتيني الكاثوليكي ومذهب الروم الارثوذكسي

اما الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية فان رئيسها البابا الروماني وهو مستقل بسياستها ويتسلط ايضاً على الكنائس المنفصلة عن طوائفها الاصلية ومنقادة الى التعاليم الرومانية ونسب الكنيسة البطرسيه ايضاً لكون اصحابها يعتقدون بان مؤسسها الاصلي هو بطرس الرسول ويرون انه هو اول تلاميذ المسيح ورئيسهم وانه راس الكنيسة المنظور والباباوات هم خلفاءه ولما كان اكثر تسلط هذه الكنيسة على البلاد الغربية يطلق عليها عند الشرقيين اسم الكنيسة الغربية وهي تدعى بانها ام جميع الكنائس ومعلمتهم وربما حتى لما ذلك لجهة التفاسير التي

يبنى عليها اصول التعاليم التقليدية ونظامات الجوامع المذكورة هنا وترتيباتها وهي
ايضاً التي نامر بها وتمند شوكتها على الخصوص في بلاد ايطاليا وانفسا
وباويرة وبلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال وشعوبها منتشرة في سائر اقطار
الارض ويبلغون نحو ١٩٠ مليوناً من النفوس

واما الكنيسة اليونانية ويقال لها ايضاً كنيسة الروم الارثوذكسية او الكنيسة
الشرقية لما ان اكثر سلطانها هو في البلاد الشرقية فانها ولئن كانت تشترك مع
الكنيسة اللاتينية في كثير من تلك التقليدات والتعاليم الا انها تختلفها بكونها
لا تعترف سوى بالجماع السبعة الاولى فقط وتبني معتقدها عليها وعلى اقوال
الآباء القدماء كيوحنا في الذهب وباسيليوس الكبير وغريغوريوس النازونوسي
وامثالهم من بطاركة المشرق. ولا تعترف لبابا رومية بالسيادة او بالترأس
عليها وانما تساهل بكون له الرتبة الاولى والجلاسة المتقدمة بين بطاركتها الاربعة
فقط ويليه في الرتبة بطريرك القسطنطيني وتري ان له من الحقوق والمزايا كل
ما كان لبابا رومية حيث تقرر له ذلك في الجمع الثاني والرابع على ما سبقت
الاشارة اليه عند الكلام على الجوامع المذكورة ولذلك يضيفون الى لقبه الذي هو
رئيس اساقفة القسطنطينية لقباً آخر وهو البطريرك المسكوني وفي الحقيقة ليس
هو الا لقب تشريفي فقط وليس له تسلط على غيره من البطاركة او الاساقفة
المستقلة بوجه قانوني اصلاً ويليه في الرتبة بطريرك الاسكندرية ثم بطريرك
انطاكية ثم بطريرك اورشليم ثم الجمع الروسي او المسكوني وبعده عدة جماع
اسقفيات مستقلة اخرى كاسقفية اثينا واسقفية قبرس وغيرها وكذلك تخالف
هذه الكنيسة الكنيسة اللاتينية المذكورة بعدة امور غير السلطة البابوية التي اشرنا
اليها اعظمها الانكار على انبثاق الروح القدس من الابن والمظهر الذي تعتقده
اللاتينية وعدم جواز التنديس على النطير والانكار ايضاً على سعادة القديسين
الكاملة وتري ان سعادتهم لا تكمل الا بعد القيامة والدينونة الاخيرة وكذلك تلوم
الكنيسة الغربية بمنعها الشعب عن مناولة الكاس في الافخارستيا اما شوكتها

فتمتد في بلاد روسيا واليونان والفلاخ والبغلان والسرب وكثير من جزائر بحر الروم وشعوبها منتشرة قريباً من انتشار الشعوب الرومانية وأكثر منها جداً في بلاد الدولة العلية العثمانية ويبلغون جميعاً نحو ٩٠ مليوناً من النفوس

الكنائس الانجيلية

نقسم هذه الكنائس الى ثلاث فرق وهي لوترانية وكلوينية وانكليكانية الا انهم جميعاً متفقون في المعتقدات على مجرد ما في الكتاب المقدس فقط فلا يخضعون لشيء من التقاليد التي لا يوجد لها فيه رسم اصلاً . ولا الى اقوال احد من الآباء او المجامع الا اذا كان موافقاً الى نصوصه لفظاً ومعنى . اما تفاسير الآيات الغامضة والتي لم يوضحها الوحي الالهي فلا يمارون احداً فيها الا اذا كان التفسير ينافي ما كان معناه واضحاً في غيرها من تعاليم الكتاب . وليس لكنائسهم من يتأسس عليها رئاسة عامة وانما تسوسها رعاتها الخصوصية فقط ولذلك امتازوا عن التقليدين بعدة امور اعظمها الانكار على الرئاسة العامة المنظورة في الكنيسة وعدم التسليم بأسرار غير المعمودية والعشاء الرباني . والانكار على الاستحالة والرهبانية . والصلاة الى القديسين وطلب شفاعتهم . واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس . والمطهر . والغفرانات . والصلاة لاجل الموتى . والتبرير بالاعمال الوفاية . والصلاة بلغة غير مفهومة من السامعين وامثال ذلك مما تستعمله الكنائس التقليدية ولا توجد له صراحة او دليل واضح في الكتب المقدسة وشوكهم ممتدة في جميع اجزاء القارة . فاللوتران في بلاد بروسيا والمانيا ودانماركه واسوج . والكلوينيون في سويسرا وبعض بلاد المانيا وفي بلاد الفلنك واميركا . والانكليكانيون في بلاد انكلترا وهم منتشرون في الارض كانتشار الروم تقريباً ويبلغون نحو ٩٠ مليوناً من النفوس

فصل

في انواع الفرق والشيع المسيحية الموجودة في القرن التاسع عشر

لا يخفى بان الكنائس الثلاث المذكورة في ما تقدم منّ والحالة هذه الاركان
المعتبرة للديانة المسيحية في العالم الحاضر شرقاً وغرباً غير انه توجد فرق اخرى
صغيرة لا يخلو بعضها من الالهية منها ما هو منفرّع من الكنيسة اليونانية ومنها ما
هو متشعب من الكنيسة اللاتينية ومنها ما يعزى الى الكنيسة الانجيلية كما ينضج
ذلك من التفاصيل الآتية

ان اصحاب البدع القديمة الذين قطعهم الكنيسة اليونانية من شركها يحكم
الجماع على ما سبقت الاشارة اليه في ما تقدم واختلفوا عنها في العوائد والطقوس
لم يزل حتى الآن يوجد منهم بقايا تُعتبر نظير طوائف مستقلة في كنائس خصوصية
غير انه قلما خلت طائفة من تلك الطوائف من شعبة خرجت منها منذ
اواسط الجبل الخامس عشر وما بعده والتصفت بالكنيسة الرومانية لجرّد تسليمها
برئاسة الحبر الروماني واعترافها بسيادته عليها مع الموافقة على بعض معتقداته .
كالاعتقد بطبيعتي المسيح وبانبثاق الروح القدس من الابن وابقاء حريتها في
ما علا ذلك من الطقوس والعوائد والمعتقدات ولئن كانت مكروهة عنده ومن
ثم تميز ذاتها باضافة لقب الكاثوليكية على اسمها الاصلي كقولك قبط كاثوليك
وارمن كاثوليك الخ . واما الطوائف الاصلية نفسها فيُطلق عليها الروم واللاتين
بل ونفس المتضمن منها الى الكنيسة الرومانية على ما تقدم اسم الهراطقة وهي
والحالة هذه تُقسم الى نوعين

النوع الاول موحدو الطبيعة ويختلفون عن الروم واللاتينيين وغيرهم من

بأبي الطوائف المسيحية في قضايا كثيرة بذات المعتقدات ولكن أسس افتراقهم هو ما يتفقون به مع ديوسفوروس وبرساموس وزينيباس وفأو وغيرهم ممن يعتبرونهم مؤسسي شيعتهم بأن طبيعتي المسيح الالهية والانسانية قد اتحدتا اتحاداً عظيمًا حتى صارتا طبيعة واحدة فيرفضون الجمع الخلكيدوني ورسالة لاون الكبير الشهيرة ولكنهم لكي يتجنبوا ما يُظهر انهم تابعوا أونيغوس الذي ينكرون ان لهم معه خلطة يحدّدون معتقداتهم بقولهم صراحة ان طبيعة المسيح مع انها واحدة هي مركبة ومزدوجة وينكرون امتزاج الطبيعتين والنباس احداها بالآخرى ولذلك يقول بعض العلماء ان ذوي الطبيعة الواحدة يختلفون عن الروم واللاتينيين بالنظر أكثر من المعنى وهم غالباً أميون وعديمو العلم حتى انهم يدافعون عن تعاليمهم المتميزة بالعناد الاعى وسلطان آبائهم أكثر مما يدافعون عنها بالبراهين العقلية ويطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة الى يعقوب البرادعي الذي اعاد هذه الشيعة ورتبها في القرن السادس للتاريخ المسيحي بعد ان كادت تملأش وتقسّمون ايضاً الى آسيين وافريقيين

فراس الآسيين هو بطريرك السريان الذي يسكن غالباً في دير ماري حنانيا المسمّى الآن دير الزعفران بالقرب من مدينة ماردين واحياناً يسكن في اميدامرد التي هي كرسي اسقفية او في حلب وغيرها من مدن سورية وبما انه لا يقدر وحده ان يسوس جماعة لكثرتها جعل له شريكاً في السياسة لاجل ادارة الكنائس التي في ما وراء الدجلة يدعى مغربان الشرق وكان يسكن سابقاً في مدينة تكريت على حدود ارمينية والآن يسكن في دير ماري متى قرب مدينة الموصل في ما بين النهرين وفي ايامنا هذه كل من تولى بطريركية هذه الجماعة يسمّى اغثانيوس وعدد الشعب نحو ١٧٠ ألفاً منهم ٧٥٠٠ كاثوليك وكان لما خرج من هذه الطائفة المونوتليون الذين رفضوا القول بوحدة الطبيعة وسلموا مع الروم بان في المسيح طبيعتين ولكن ارادة واحدة فقط وحرّم الجمع السادس المعتقد في سنة ٦٨٠م هذا القول وقع على اصحابه اضطهاد شديد ولم

يبقى لهم مأمناً إلا بين المردة في جبل لبنان وفي سنة ٦٦٧ م اشهر القس بوحنا مارون قال القس السمعاني في الجلد الاول من كتابه صفحة ٤٩٩ ان اوجان وجميع الافرنج الذين بانطاكية حملوه الى الكردينال رسول الكرسي الروماني وساموه اسقفا على البترون وتكفل بان يجلب الى ايمانهم اهل الجبل الا الطائفة اليعقوبية والظاهر انه نجح في سعيه وصار له حزب كبير وطائفة كثيرة العدد اجتلبها من اصحاب المشيئة الواحدة واليه انتسبت الطائفة المارونية التي لازالت متوطنة في الجبل المذكور وكان اتحادها مع الكنيسة الرومانية في سنة ١١٨٢ م ويبلغ عدد نفوسها الآن نحو ٢٢٠ ألفاً ولها بطريرك يُلقب بطريرك انطاكية يقيم في دير قنوين وهو دير رهبان على قانون ماري انطونيوس ومنذ يتولى البطريركية لا بد ان يضيف الى اسمه اسم بطرس لان بطرس الرسول هو الذي اسس كنيسة انطاكية

وراس الافريقيين هو بطريرك القبط المقيم غالباً في مصر ويقسمون الى اقباط اصلين وحش فالاقباط هم الناطقون بمصر وبلاد النوبة والاراضي المجاورة لها وعددهم نحو ١٥٠ ألفاً بعضهم كاثوليك واما الحبش مع انهم اكثر من الاقباط عدداً وقوة وارقى منهم حالاً بما ان ملكهم مسيحي فهم خاضعون لبطريرك القبط المذكور وهو يرسم لهم اسقفا يسوسهم في الامور الدينية بمخاطبونه بلفظ ايها وعددهم نحو ٤ ملايين ونصف منهم نحو ٥٠ ألفاً دخلوا في طاعة رومية سنة ١٨٥٩ م

ومع ان الارمن يعتقدون مثل ذوي الطبيعة الواحدة يختلفون عنهم في عوائد واره وطقوس كثيرة فلا شركة بينهم وبين اليعقوبيين المذكورين يسوسهم ٣ بطاركة يرأس عليهم الذي يسوس كل ارمينية الكبرى والولايات المجاورة لها وتحت سلطانه ٤٢ رئيس اساقفة ويسكن ديراً في اشياطين ويتبعه ملك الفرس ويليه البطريرك المسيكانيونغيكوس ويسكن في مدينة سيس من كيليكية وتحت سلطانه ١٢ اسقفاً وهو يسوس كنائس في كبدوكية وكيليكية وقبرس

وسورية وثالث البطاركة واصغرهم له ٨ او ٩ اساقفة ويسكن في جزيرة اقطار في وسط بحيرة وان وبحسبه بقية الارمن عدوا الكنيسة ويوجد لهم بطاركة آخرون لكنهم بالاسم فقط لا بالحقيقة والنعل كرئيس الاساقفة الذي يقيم في القسطنطينية لسياسة الكنائس المجاورة لاسيا واوربا والذي يقيم في اورشليم والذي يسكن في كامينيك في بولندا الروسية وقد اتخذوا لقب البطريرك لكون راسهم وهو بطريرك اشمياطين المذكور قد اجازهم برسامة الاساقفة وتكريس الميرون وتوزيعه كل ٣ سنين بين كدائسهم وذلك من الامور التي لا تجيز الكنائس الشرقية ممارستها الا البطاركة وتبلغ شعوبهم الى ٣ ملايين من النفوس منهم نحو ٤٥ ألفا خاضعين الى رومية ولم بطريرك مخصوص وفي نواحي اشمياطين توجد ٤ قرايا كبيرة اتبع سكانها الكنيسة اليونانية ويسمونهم باقي الارمن هيموروم وهم يقيمون صلواتهم حسب الطقس اليوناني باللغة الارمنية وكثيرون من سكان اسيا الصغرى اخذوا في اعتناق المذهب الانجيلي ايضا

اما النوع الثاني فهو النساطرة ويسمون الكلدان يسكنون خاصة في ما بين النهرين والبلاد المجاورة لها ولم تعاليم وعوائد كثيرة مخفصة بهم غير انهم يتنازون عن باقي المذاهب باعتقادهم ان نسطور بوس حرمة مجمع افسس ظلما وضاف الى ذلك اعتقادهم بانه لم يكن في المسيح طبيعتان فقط بل اقنومان ايضا وكان بحسب هذا المعتقد في الزمان القديم ضلالا ممتيا واما في هذه الايام فيحسبه العلماء حتى الكاثوليكين الرومانيين ايضا غلطا لفظيا لا معنويا لان هؤلاء الكلدانيين نعم انهم يعتقدون بان في المسيح اقنومين كما ان فيه طبيعتين لكنهم يقولون ايضا بان هذين الاقنومين وهاتين الطبيعتين قد التصقتا حتى صار منها رؤية واحدة او حسب تعبيرهم برسوبا واحد ومعنى برسوبا باليونانية اقنوم ومن ذلك يتضح انهم يريدون بالروية ما يريد به باقي المسيحيين بالاقنوم وما يدعو المسيحيون طبيعتين بدعونه هم اقنومين ويقال بانه حتى الآن لم يمازج عقائد هذه الطائفة شيئا من الامور التقليدية غير ان اساقفتهم التزموا بالتولية من سنة ١٨٢٠ م

والمقيمون منهم في الهند يدعون توما وبين او نصارى ماري توما ولم ميتروبوليت
مخصوص والمقيمون في العجم لهم بطريرك يقيم في ريمس (الموصل) وله ١٨ اسقفًا
وعدد الساطرة جميعاً نحو ٢٤٠ ألف نفس منهم نحو ١١٠ ألف متخذون مع
رومية ويعرفون في البلاد العثمانية باسم كلدان فقط

وهناك شيع اخرى كان عندها في الزمن القديم شيء من الديانة المسيحية
ولكنها الآن بحالة شريعة جداً ويترجح الظن بانها متسلسلة من الايونيين
والمانيين والقالنيين اتباع فالتيوس المصري والباسيلديين اتباع باسيلوس
الاسكندري (وهاتان الاخيرتان هما فرقتان من الغنوسيين) وغيرهم وبسبب
نقلات احوالها ونقض سائر الطوائف المسيحية لها غرق اصحابها في مجور الجهاالة
والغريرو والخرافات حتى كادوا ينفقون كل علامة تدل على مسيحتهم وطفوسهم
ومنهم الصابئون الذين لا يعرفون عن الديانة المسيحية الا ما قل ومع ذلك
يسمون انفسهم مندي يحيي اي تلاميذ ماري يوحنا والظاهر انهم شيعة يهودية
متسلسلة من الهيبرويينست الذين يذكروهم المسيحيون الاولون وهم يسكنون في
بلاد فارس والعرب ولا سيما بصرى ويحسبون ان الديانة المسيحية تقوم بكثرة
تطهيرات الجسد التي يارسها كهنتهم بطقوس معينة

وكذلك الزيدية وهم قوم من الرحل يسكنون جبل سنجار بارض الجزيرة
يعبدون والحالة هذه روح الشر وعندهم الختان والمعمودية كلاهما ويعتقدون
التناسخ ويسجدون للشمس الطالعة ثلاث ركعات عند اول ظهورها فوق الافق
قال بعض المؤلفين انهم يقسمون الى يزيدية بيض ويزيدية سود فالسود هم
الكهنة ورؤساء الشيعة ويلبسون دائماً اثواباً سوداء واما البيض فهم عامة الشعب
وثيابهم بيضاء وديانتهم غريبة غير معروفة الا انه يظهر ان بعض مبادئها من
المسيحية ممزوجة بخرافات وخرعيلات كثيرة وهم يتميزون خاصة عن غيرهم من
النصارى المفسودين بما يعتقدونه في الروح الشرير المسمى عندهم كاروبين اي
واحد من اعظم الملائكة وهم وان كانوا لا يعبدونه حقيقة فانهم بكرمونه ولا يلعنونه

ولا يذمونه ولا يسمعون لغيرهم بشي من ذلك ويزعمون بان العذابات لا تلجهم الى لعنة وان سيعمل احدا لعنة وامكنهم قتله قتلوه

هنا ما عرفناه من بقايا اصحاب البدع القديمة الذين كانت قطعهم الكنيسة اليونانية من شركها على ما اشرنا في ما تقدم غير انه يوجد بدع وهرطقات اخرى ظهرت بعد ذلك نعم انها ليست من نفس الكنيسة اليونانية الخاضعة للبطاركة الاربعة غير انها من كنيسة روسيا التي هي والحالة هذه اعظم اجزائها

انه في التقرير الرسمي المتقدم لدولة روسيا في القرن التاسع عشر يظهر ان عدد الشيع في بلاد روسيا نحو ٢٠٠ واما اصحابها انفسهم فهم نحو ١٥ مليوناً والشيعه الاكثر عدداً هي شيعه رافضي عماد الاطفال المعتقدين ان البتولية شرط ضروري للدخول الى ملكوت الله (لا ريب بان هذا العدد يدخله ايضاً عدد المكنكين الذين اتحدوا مع كنيسة رومية وتسموا بالروم المتحدين وعدد هم يبلغ نحو ٥ ملايين وكان ابتداء هذا الامر في سنة ١٥٥٩ م عندما اعتنق بعض روم بولونيا الكاثوليكية بواسطة الرهبان اليسوعيين . وقيل قبل ذلك اي انه في القرن الرابع عشر وجدت جمعية من الروسيين في كيو خاضعة الى باباوات رومية ولها اساقفة خصوصيون ممتازون عن الاساقفة الروسيين) واما الذين لم يمانلوهم من الروم سمو غير المتحدين ولا زالوا يزدادون الى ان بلغوا ربما لاكثر مما ذكر غير انه لما جرت واقعة بولونيا وفتكت روسيا بالعصاة في سنة ١٨٢٩ م ارتد منهم نحو ٣ ملايين وكذلك بعد المناذاة بعصمة الباباوات اخذوا في الارتداد ايضاً افواجاً افواجاً ومن هنا يستبين بان ظهور الروم الكاثوليكين في بلاد روسيا والنمسا كان قبل ظهورهم في بلاد سورية او ان ذلك بالنسبة الى سيامة كيرلس ناناس اول بطاركتهم فيها منذ واسط القرن الثامن عشر لكن حده احد المؤلفين من الطائفة المارونية بانه كان سنة ١١٧٥ للهجرة وقد اطاعت على فرمان سلطاني لا زال موجوداً في دير حماطوره المختص بطائفة الروم الارثوذكس صادر بالناء القبط على البطريرك المذكور وارساله مقيداً الى

دار السعادة تاريخه قبل ذلك ببضع سنين ولا تطيل الشرح بهذه القضية بل من اراد الوقوف على تفاصيلها فليراجع كتاب ايضاح الحقيقة الراهنة بدحض الدعوى الواهنة للبحر الفاضل الارشمندريت غبرئيل جبارة

ثم من الشيع التي كنا بصدها طائفة ذكرت في تاريخ الامبراطور بطرس الاكبر تُسمى الرسكلسيكية يبلغ عددها في عصره نحو ٢٠٠٠ رجل وكان ظمورها في القرن الثاني عشر ابتدع مذهبها جماعة كان لهم بعض معرفة بالعهد الجديد فزعموا بان الفسيس اذا شرب الخمر لا يصلح لتعميد الاطفال وان النصراني على حدٍ سوى لامزية لاحد هم على الآخرون النصراني ان يقتل نفسه في حب المسيح ويعدون من الكبائر قول الحمد لله ثلاث مرات فلا يسوغ قولها على رايهم الا مرتين فقط

ويقال ان ليس هناك اصعب من اتباع هذا المذهب في الاخلاق ولا اكثر منهم في الانتظام فهم في معيشتهم كالكويكير ببلاد الانكليز الا انهم يخالفونهم بكونهم لا يقبلون احدا ممن علام من المسيحيين في جمعياتهم ولما اراد غير بطرس الاكبر ان يتبعهم بالتعذيب احتجبوا في ضياعهم واضرموا النيران في بيوتهم والقوا انفسهم في لهيبها لكن لما سلك معهم بطرس الاكبر مسلكا حسنا مجاهدا على العدو عما كانوا عليه حيث جعلهم في عيشة راضية مع الامن والهدوء رجعوا عن حالتهم الاصلية

والظاهر ان هذه الشيعة هي التي ذكرها العلامة موهيم حيث يقول انه في سنة ١١٦٦ م ظهرت بين الروسيين شيعة الاسبرايينكي او شيعة المنتخبين ويسمونها الروسيون روسكلسكيكان اي الحزب المقتن ولم يُعرف للآن ما هي اعتراضاتها على الكنيسة الروسية ولا ما هي آراؤها وطفوسها غير ان اعضاء هذه الشيعة يتظاهرون بالقوى ويدعون ان الكنيسة الروسية فسدت فسادا بعضه من نواني الاساقفة وبعضه من تراخيمهم في المعيشة وقال آخرون ان هذه الشيعة لم تظهر في السنة المذكورة كما قال العلامة المذكور بل كان ظمورها قبل ذلك بنحو

٣٠٠ سنة اعني في القرن الخامس عشر وانما الثورة التي جرت ضدها في هذا القرن (وقد سبقت الاشارة اليها) زادت عدد تابعيها واوائل المنشقين ظهوروا في نيوكور وتسموا استريكولايينكس اما مبدعها فهو رجل يهودي اسمه هوري علم تعاليم ممزجة من المسيحية واليهودية فتبعه خوريان احدهما يسمي وينس والثاني الكسي وجذبها معها جمعا غفيرا وبعد ذلك انضم اليها شماس محروم اسمه كاربوس اتهم الاكليسوس من الرتبة العليا ببيع وظائف الكهنوت وبافساد الكنيسة حتى ان الروح القدس اعترضها ففج نجاحا عظيما في امتداد هذه الشيعة غير انها كانت قليلة بالنسبة الى الشيعة الا تي ذكرها

وهي شيعة كبيرة متنوعة يُسمي اصحابها بالراسفلنديكين نتجت من الشروع في اصلاح كتب الطقس المستعملة في الكنائس وعدتها ٣٠ مجلدا وكانت هذه الكتب تكتب خطأ بالقلم فوق وقع فيها مع تمادي الاجيال غلطات كثيرة اوجبت اصلاحها ولما حصلت المباشرة بذلك انشق حينئذ اصحاب هذه الشيعة وهم ينفقون مع الكنيسة في قواعد الايمان وبعض الطقوس ويتهمونها بافساد الكتب الكنسية فقط

وهناك بعض شيع صغرى غير ما ذكر تختلف عن الكنيسة ايمانا وعبادة منها البوبوفتشيون الذين يقبلون الكمية المنضمين اليهم من الكنيسة في مارسة وظيفتهم بينهم بدون اعادة الرسامة وكذلك الزوبوفتشيون الذين ليس لهم كهنة مرسومون منهم وتُقسم الاولى الى ٥ احزاب والثانية الى ٥ احزابا وجميعهم يرفضون العيشة المترفة وحلاقة الشعر وشرب الخمر والشاي والتدخين

والميتون الذين يحرقون انفسهم لكي يتطهروا بمعمودية النار قال بعض المؤلفين ان الطائفة التي فاقت الجميع فحشا وفسادا هي الطائفة الجديدة التي ظهرت في اباله سارانو حسب تقرير الوالي في تلك المقاطعة اذ يقول انه قد ظهر في تلك المقاطعة منذ بعض اشهر انبياء ديانة جديدة ينادون بان الطريق الوحيد للخلاص هي قتل كل انسان نفسه بواسطة حريق النار وقبل هذا التعليم

الرائع بسرعة بين الساذجين حتى انه في احدى القرى العظيمة اجتمع نحو ١٧٠٠ نفس من الاملين في بيوت من الخشب وبعد ان اغلقوا جميع الابواب والشبابيك اضرموها فيها النار واحترقوا جميعاً عن آخرهم فاتبه الحكم عند ذلك وشرع في استئصال هذه البدعة الرديئة التي هي نوع من الجنون ولكن مشروعه هلك عسر للغاية اذ لا يستطيع احد مها كان صارماً ان يجد سبيلاً لردع جماعة لا يرهبون حريق النار بل يعتقدون ذلك واسطة لدخول السماء

واصحاب الخنان الذين يلتزمون بالخنان وتخرج اجسادهم وهذه الفرقة سرية باطنية غنية ممتدة في جانب عظيم من المملكة

والجلادون الذين على منتضى ما قرره وزير الامور الداخلية يرقصون رقصاً دينياً ويقطعون ثدي بنت من بناتهم يكرسونها لحياة دينية اكراماً للعدراء المباركة

والخرس وهم شيعة كل من ينضم اليها يصمت ولا يعود يتكلم بصوت مسجع بل يخرس من تلك الساعة . قيل ان حاكم سيبيريا عذب بعضهم لكي يلزمهم ان يتكلموا فلم ينطقوا بصوت مطلقاً وقال بعض الكتبة ان هذه الطائفة لم يبق لها اثر في هذه الايام

والموكان وهم شيعة تسمى اصحابها بهذا الاسم نظراً لكثرة شرهم الملوكر يعني الحليب حتى في الصيامات ويسمون ذواتهم المومنين الحقيقيين وهم يتصفون بالتحوى الى درجة الوسواس حتى ان رجلاً منهم يقال له بليرون ادعى النبوة ونادى في سنة ١٨٢٢ باتيان يوم الدين ونهاية العالم بعد سنتين ونصف فسجن بسبب ذلك وتبعه قوم في جيورجيا . وكانوا قبل ذلك عند دخول نابوليون الاول الى مدينة موسكو في سنة ١٨١٢ ظنوا انه اسد وادي بهوشافاط بحسب بعض تقاليداتهم ومن ثم ارسلوا وكلاء لابسين ثياباً بيضاء ومعهم خطاب الى فقبحض عليهم ضباط العساكر الروسية وقتلوه واكن عادوا فظهروا في سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٤٥ في موسكو ونسوا عبدة نابوليون ولم يزالوا للآن حاملين صورته

ويقدمون له العبادة ويستنظرون رجوعه بالجسد
والمصارعون وهم شيعة تسمى بالمصارعين الروحيين او مصارعى النفس
يعتقدون بتعليم يشبه النقيص ويقتلون من كان من اولادهم ضعيفاً او معيماً
واحياناً يرتكبون فواحش رائعة باسم الديانة حتى انهم يقتلون من خرج منهم
الى طائفة اخرى وفي سنة ١٨٤٠م قُتِلَ منهم نحو ٢٠٠ شخص واخيراً تحقق
الحكم انهم دُفِنوا احياء بامر رؤساء ديانتهم فنقل الجانب الاعظم منهم الى جبل
قوه قاف في سنة ١٨٤٢م

والمقينيون وهم فرقة ظهرت في موسكو وقواعد مذهبها غير معلومة غير
انها اشتهرت بالتفوى العملية وكانت الامبراطورة كاترينا اضرت بانباع هذه
الشيعة وحبست منهم رجلاً يقال له نوفيكون لكن لما مال اليهم اسكندر الاول
رجعوا وظهروا في القرن التاسع عشر

هذا هو المتواتر من اخبار بعض الفرق الموجودة في هذا القرن التاسع
عشر من الشيع المنفصلة عن شركة الكنيسة اليونانية ولاننا الى ذكر ما عرفناه
ايضاً من اخبار الفرق الموجودة والحالة هذه من الشيع المنفصلة عن شركة
الكنيسة الرومانية

ان الكنيسة الرومانية تدعي بان كل المذاهب المسيحية على وجه الاطلاق
هي شيع هرطوقية خارجة منها ومنفصلة عن شركتها وهذه الدعوى تصح لآية كنيسة
امكنها ان تثبت لانها القديمة بالثبات على المعتقدات الصحيحة الاصلية اما كنيسة
رومية فليس لها في هذه الدعوى الا الاستناد على امانة صندوق التقاليد غير
ان سلامة الذوق تقتضي بانه كلما قلَّت التقاليد في كنيسة من الكنائس دلَّ
ذلك على قدميتها بالنسبة الى التي تزيد عليها في ما هو من هذا القبيل لان
التقليد على ما يستبين من ماجريات رومية قابل الزيادة والزيادة احداث
والاحداث في الدين لا ريب في انه بدع والابداع هو عين ما يسميه المسيحيون
هرطقة اما الانجيليون فلا يأنفون من الاعتراف بمجدانة ظهورهم منذ القرن

السادس عشر غير ان ذلك بالنسبة الى الاصلاح الذي وقعوه في حالة الكنيسة وليس في المعتقدات المنسوبة اليها لاسنادهم فيها الى مجرد الحقائق المدونة في الكتب المقدسة مع صرف النظر عن جميع تلك التفليدات المتضاربة التي تستند اليها رومية وغيرها من الكنائس التفليدية المذكورة

وكان اول من اقام الحجة على الكنيسة الرومانية واعترضها الكنيسة اليونانية المقدم ذكرها التي ما برحت مزاحمة لرومية على مجد الرياسة والتقدم منذ اعطى الجميع المسكوني الثاني المنعقد بامر الملك ثاودوسيوس الاكبر في القسطنطينية سنة ٣٨١م الرتبة الاولى لاسقف هذه المدينة بعد اسقف رومية بموجب القانون الثالث من تحديداته ثم تلاه الجميع الرابع المعروف بالحلوكيدوني المنعقد في سنة ٤٥١م وحكم في القانون الثامن والعشرين من قوانينه ان يتمتع اسقف رومية الجديدة بذات الكرامة والتمتع التي يتمتع بها اسقف رومية القديمة لان المدينتين متساويتان في الرتبة والعظمة ومن ثم قام النزاع بين هذين الاسقفين على هذه المبدأ الى ان تولى فونتيوس بطريركية القسطنطينية وصرح في بعض ما كتبه نحو سنة ٨٦٦م بابتداع كنيسة رومية عدة امور منكرة بالنظر الى تحديدات المجامع المسكونية وهي (١) صوم السبت (٢) اكل اللبن والجبن في الاسبوع الاول من الصوم الكبير (٣) تحريم زيجة الاكليس بالكلية (٤) تثبيت المعتدين ثانية بالميرون بعد ان كان مسهم به القسوس زعماء بائنة لا احد يتدر على ذلك الا الاساقفة (٥) افساد دستور الايمان باضافته لفظة والابن وهذا كان مبدأ الشقاق ثم لما حرم قصاد رومية سرولاربوس بطريرك القسطنطينية لعدم موافقته على مبادئ المصالحة التي قدموها له في سنة ١٠٥٤م حرم هو كذلك هؤلاء القصاد وازضاف على اعتراضات البطريرك فونتيوس المذكورة امورا اخرى وهي (١) استعمال الفطير في الافخارستيا (٢) اكل الدم والمخوق (٣) اكل رهبان اللاتين دهن الخنزير (٤) سماحهم للمرضى باكل اللحم (٥) لبس اساقفتهم الخواتم في اصابعهم (٦) حلق الكهنة لحام (٧) تغطيس المعمودين مرة واحدة في جرن

المعمودية^(١). فلما يسّس الباباوات من اخضاع اليونانيين بالوسائط السلبية والتقليق والمواعيد عدلوا الى استعمال الفسادة والجبر فحرك البابا انوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونانيين فافتتحوا القسطنطينية في ١٢ نيسان سنة ١٢٠٤ م وداموا متسلطين عليها الى سنة ١٢٦١ م وكذلك استعملوا ما امكنهم من البربرة في الاراضي التي امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ليجضعوا بطاركة اورشليم وجميع الاكليروس اليوناني بواسطة الحبس وقفل الكنائس الى ان احوجوهم ان يفضلوا موادة العرب حكام البلاد الاصليين على موادتهم ويخناروا تسلط شعب برنضي مجزية على ان يتسلط عليهم ملك روجي

(١) حاشية * توجد اختلافات غير هذه بين الروم واللاتين لم يصرّح بها هؤلاء البطاركة ربما لكونها ما كانت تحدت وقتئذ كقاعة دينية في كنيسة رومية كالماطر الذي لم يثبت الا في مجمع فلورنسا المنعقد في سنة ١٤٢٩ ثم اوجب قبوله على كل الكنائس الغربية المجمع التريدينيني في القرن السادس عشر اما الفرق بينه وبين عقالات النجيم التي يقرها الروم هو ان الماطر نار مطهرة يتخلص منها الخطي بعد ان يقاص فيها بمقدار جرم ذنوبه اما عقالات النجيم فهي نظير حبس يقيم فيه الخطاة الى يوم الدينونة الذي به ينالون الفصاص الابدي في جهنم والصلوات التي يقدمونها لاجل الموتى يعتقدون انها تلطف نوعا احوال هذا الحبس عليهم تاطيفا وقتيا فقط وكذلك منع الشعب من الاشتراك في الكاس اذ لم تثبت كنيسة رومية الا في مجمع كونستانس سنة ١٤١٥ م والحبل بالعداء المباركة بلادنس فانه لم يحدد كعقيدة دينية الا في زمن البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٤ م ولئن كان البابا مكسنس الرابع وعد بمغفرة الخطايا لجميع الذين يحفظون هذا العيد في كل سنة وذلك في سنة ١٤٧٦ م نعم ان الروم يعيدون لحبل حنة ولكن ليس بهذا الاعتقاد

طعنه وطع قصاده لا يشعان وهكذا لما تم الحال أخيراً بافتتاح الدولة العثمانية
 مدينة القسطنطينية وسقوط دولة اليونان في سنة ١٤٥٣ م كانوا بصرخون نعم
 نعم عمارة السلطان محمد ولاتاج البابا المثلث غير ان المجمع الذي كان عقد في
 فلورنسا سنة ١٤٢٩ م اعني قبل فتوح القسطنطينية بنحو ١٥ سنة لاجل المصالحة
 واخضاع اليونانيين بواسطة الوعد بمساعدة ملوك اوربا في دفع الاتراك عن
 قصبة ملكهم لم يذهب سدى بالكلية لانه وان لم يتم فيه مراد رومية بالتام فقد
 ابقى لها بذراً في عقول البعض من حضرة من اكليس الطوائف الشرقية
 لاثبات الكنيسة بين شعوبهم على ما سبقت الاشارة اليه في الكلام على المجمع
 وفي سنة ١١٦٠ م اشتهر في ليون احدى مدن فرنسا شيعة تسمى
 اصحابها بالولدنسيين نسبة الى بطرس ولدس رجل تقي للغاية فاز بقراءة
 الكتاب المقدس وعرف الاختلاف الحاصل في كنيسة رومية عن اصل الديانة
 المسيحية فوزع املاكة على الفقراء واخذ في التبشير مع بعض اشخاص نظيره
 فاذه عن لم حالاً جمهور كبير تأسست به جمعيات اولاً في فرنسا ثم في لمبارديا
 وانتشر اتباعه في كل اوربا ولم تنجح مساعي رومية في ملاشاتهم لا بالقتل ولا بغيره
 من انواع الاضطهادات ولم يزالوا الى وقتنا هذا بل زاد نجاحهم حتى وفي نفس
 بلاد ايطاليا وتعاليمهم تنحصر في انكار رئاسة البابا والرغبة في ان تمثل رؤساء
 الكنيسة وخدامها بالرسول في المسكنة وتحصيل قوتهم البنفس الذي يتعب ايديهم
 ويعتقدون بان لجميع المسيحيين سلطاناً على نوع ما لتعليم وتثبيت وانذار الناس
 وارادوا ان يرجعوا تهذيب التوبة القديم والتكفير عن الخطية بالصلاة والصوم
 والاحسان على الفقراء ويرون ان هذا التكفير يستطيع كل انسان ان يأمربه
 المعترفون فلا يلتزم الناس ان يعترفوا بخطاياهم للكنيسة بل يكشونوها للاخوة
 فقط ويستمدون رايهم فيها وان سلطان مغفرة الخطايا والغاء قصاصها منوط
 بالله وحده وان الصلاة لاجل الموتي لا تجدي نفعا لان النفوس المثقلة لا تعاق
 ولا تقبل التطهير في محل متوسط بل تنتقل بعد الموت حالاً اما الى السماء واما

الى جهنم وكانت آدابهم صارمة جداً لانهم حرّموا الحرب والمحاكمة والاجتهاد في طلب الغنى والفنّاص بالموت والحلف ومحاكمة الانسان عن حياته او عن اعضاء جسده اذا عُوّقِب وقت الاضطهاد بتشويهها . قال بعض المؤلفين ان رانيريوس ساكو كان ألف كتاباً ضد هذه الطائفة قال فيه ان هذه الشيعة كانت من اضرّ الشيع للكنيسة الله (اي الرومانية) لسبب قدميتها لان اصلها حسب رأي البعض كان في القرن الرابع في زمن البابا سايسترس وعلى رأي آخرين كان في زمن الرسل وهذا هو السبب في قول القدماء بان اصل هذه الطائفة قديم جداً على انه لا ينكر بانه منذ اجيال وقرون كثيرة وجد في اودية بيدومنت فرق متنوعة من الذين لم يتفقوا مع كنيسة رومية

وفي القرن السابع عشر ظهرت فرقة الجنسبين اتباع كرنيليوس جنسينيوس استيف ايبرس في الفلمنك منذ طبع كتابه في سنة ١٦٤٠ وهج اليسوعيون البابا اوربانوس الثامن لدحض معتقداته لكونها تغاير تعاليمهم فحرمها هذا البابا في سنة ١٦٤٢ واخص ما انتقدوا عليه فيها خمس قضايا وهي (١) انه يوجد في وصايا الله ما يتعذر على الناس الابرار الصالحين طاعته ولو كانوا يرغبون في ذلك لان الله لا يعطيهم نعمة كافية تمكنهم من حفظه (٢) انه لا احد في هذه الطبيعة الفاسدة يستطيع ان يصدّ النعمة الالهية التي تفعل في العنل (٣) ان الانسان لا يقتضي ان يكون غير مضطرب لما يوجب مدحه او ذمه بل ان يكون غير مجبور اليه فقط (٤) ان النصف بيلاجيون (فرقة تقدم ذكرها في الكلام على البدع القديمة) غلطوا كثيراً بزعمهم ان الارادة البشرية يمكنها ان ترفض او تقبل عمل النعمة الداخلية (٥) ان كل من ثبت ان يسوع المسيح كفر بالآله وموتوا عن خطايا جميع البشر فهو نصف بيلاجيوسي فالقضايا الاربع الاولى من هذه صرّح البابا انوسنت العاشر بانها هرطوقية محضة اما الخامسة فقال عنها انها قبلت بطيش وهي زائغة نهين الله ثم باقي تعاليم هذه الطائفة تتضمن بان لاشيء في اعمال الكنيسة الرومانية وعقائدها صحيح بتمامه وغير فاسد اذ انهم يتشكون من

كون جميع طغمة الأكليس أهلاً واجبات وظيفتهم أهلاً ناماً وبوكون بان
الرجال هم بالحقيقة مرتدون ويودون لو يرجعون الى طهارتهم الاصلية وإلى
تلك السيرة المدققة التي وضعها منشور رهبانهم ويرغبون في تنوير الشعب جيداً
بمعرفة الديانة المسيحية والنفوس ويجاهرون بان الكتاب المقدس والكتب
الحاوية طقوس العبادة يجب ان تكون مبذولة اعني موجودة في ايادي الشعب
باللغة العامة ويصرّحون بوجوب تعليم الشعب لان مخافة الله الحقيقية لا تقوم
بالاعمال والطقوس الخارجية بل بنقاوة القلب والمحبة الالهية ويرون بان التوبة
تقوم خاصة في الامانات الاختيارية التي يضعها الخاطئ على نفسه بالنسبة الى
جرمه اذ يقولون بان الانسان شقي للغاية وفاسد طبعاً يجب ان يعتزل عن
العالم والاشغال ويكفر عن فساد الطبعي بالمقاساة الدائمة وتعذيب الجسد
بالصوم والاعمال الشاقة والصلاة والتأمل وكلما كثرت انحطاط الانسان اما
طبعاً واما عادةً يجب ان يزيد امانة جسده وتذليله وقد افرطوا في هذا الامر
الى ان اعتقدوا بان الذين اضعفوا اجسامهم على هذه الصورة الى ان هزلت وماتوا
بسبب ما تكبدوه من الآلام والمشقات هم اعظم القديسين اكونهم شهداء فرائض
التوبة وقد تلاشوا بنار المحبة الالهية وبناءً على ذلك يمكنهم ان يستعطفوا الله
ويردوا غصبة لاهرازهم استحقاقاً عظيماً للكنيسة ولاصحابهم امامة تعالى بواسطة
اوجاعهم وآلامهم ثم لما كثرت الاضطهاد على هذه الشيعة لم يبق لاصحابها ملجأ الا
الفلكل لان اكثر الباباوين هناك هم منهم ومن ثم لم يستطع الباباوات ولا
قصادهم ان يخضعوهم لابلاندارات ولا بالتوسلات بل لازالوا مستقلين عن
رومية الى يومنا هذا

وفي القرن التاسع عشر شرع الباباوات الرومانيون في توسيع دائرة سلطتهم
على الفرق الشرقية الخاضعة لسلطانهم وكان اول امر شرعي فيه التذنيه على
الروم الكاثوليكين باستعمال حساب السنة الغوريغورياني وابطال التاريخ
البوليوسي القديم الذي كانوا لم يزالوا مستعمليه اتباعاً لطقسهم القديم فرفض هذا

الامر مكسيموس مظلوم بطريرك الطائفة المذكورة فلم يتم مراد رومية الا بعد ان توفي وخلفه البطريرك اكليمندس بحوس فاشتراط عليه قصاص رومية المناداة بهذه القضية وانفاذها والا لا يثبت البابا بيوس التاسع كما هي العادة فقبل الشرط وسيم بطريركاً في سنة ١٨٥٧م وبعد ذلك اصدر منشوراً في هلا بخصوص وعند ما شرع في تلاوته بكنيسة دمشق لم يسمح الشعب للقارئ بان يتم قراءته بل انزلوه عن موضعه وهاج القوم وماجوا في كل البلاد التي وجدوا فيها متقسمين الى حزين الواحد تبع البطريرك وتسمت اصحابه بحوسيين والثاني تسمت اصحابه شرقيين واخذوا في الجدل وتآلف رسالات ضد بعضهم بعضاً منهم من صرح باسمه في ما كتب ومنهم من لم يصرح وكان المبتدئ بذلك الحزب الشرقي فكُتب (١) رسالة من الخوجا خليل بن بطرس الجاويش اعان بها اعتزاله عن الكنيسة الكاثوليكية ساهما نجاة المكره المظلوم من اختراع العوائد والرسوم طبعت بنفقة في سنة ١٨٥٧م لكنه اخيراً ارتد اليها منذ تولى قائمقامية زحلة (٢) رسالة تأليف الخوجا شبلي بن خليل ابوب عنوانها تنزه الشريعة المسيحية عن الاراء الفلكية طبعت في اورشليم سنة ١٨٥٨م (٣) رسالة عنوانها الايضاح القويم في حق الثابتين على الحساب القديم طبعت في بيروت سنة ١٨٥٩م بنفقة وكلاء الروم الكاثوليك الشرقيين وعند ذلك ظهرت رسالة كبيرة الحجم عنوانها الرد المبين لافادة الروم الملكيين نقضاً لما هو مورود في الكتاب المسي الايضاح القويم في حق الثابتين على الحساب القديم طبعها الرهبان اليسوعيون في بيروت ولم يعرف مؤلفها بانه الخوجا ابراهيم عورا الا من الجوابات التي حررها الحزب الشرقي ردّاً عليها وأكد ذلك رتبة الكفاليرية التي انعم بها عليه البابا بيوس المشار اليه وورقة الغفران الكامل التي اجازها بها ان يمنح هذا الغفران الى سبعة انصار يبخارهم هو من عائلته وكان اول جواب ظهر على هذه الرسالة عنوانه رسالة الابراهيمين في كشف زيف الرد المبين مطبوعاً بنفقة وكلاء الشرقيين في بيروت سنة ١٨٦٠ وتلاه رسالة اخرى مطبوعة بنفقة الوكلاء المذكورين في سنة ١٨٧٣

عنها أيضاً عنوانها ابضاج من احد ابناء طائفة الروم الملكيين وهناك رسالات
أخر منها رسالة مطبوعة في مصر في سنة ١٨٦٠ أيضاً عنوانها تنبيهات النفوس
رداً على الرسالة الواردة الى الجزيل الشرف السيد بجوس ورسالة اخرى
مطبوعة في بيروت محرر باعلامها الرسالة الاولى بعد الاتحاد وعنوانها هذه الاجوبة
البينينة على الاختراعات الجوسية اما من الحزب الثاني المسمى بالجهوسي فلم يظهر
الآ الرسالة المقدم ذكرها ورسالة ثانية عنوانها دليل المستفيد على النصح الجيد
للسيد اثناسيوس توتونجي مطران طرابلس في سورية مطبوعة بطبعة الطائفة
المارونية بحلب ١٨٦٣ م ورسالة ثالثة لا يذكر اسم مؤلفها ولا محل طبعها عنوانها
ازالة الشك والارتياب في تحقيق الخطابة والجواب تتضمن صورة المراسلات التي
جرت بين السيد يوسف قاليركا بطريرك اللاتين ومطارنة الكاثوليك بشأن
هذه المسئلة التي كادت ان تمزق الطائفة وتبددها اولاً بعض اسباب جرت
بأثناء حادثة الشام لاشت امرها ولم يبق من الشرقيين الا بعض انفار قلائل
جداً انضموا اخيراً الى الكنيسة الارثوذكسية

ولكن الشقاق الاعظم هو الذي وقع باسباب العصمة التي عند لاجل تثبيتها
الجميع الثانيكاني سنة ١٨٦٩ م وأثر تأثيراً عظيماً في دار السعادة العلية بانتسار
طائفة الارمن الكاثوليك الى حزبين حسوني وهم جماعة البطريرك حسون
الذي طردته الدولة العلية من بلادها لموافقة الجميع المذكور على هذه العقيدة
وكوبلياني وهم جماعة البطريرك كوبليان الذي اقامته الطائفة المنسوبة اليه
وثبتته الدولة المشار اليها مخرمة وجماعة البابا بيوس المقدم ذكره

واعظم من ذلك جميع خروج جماعة ليست بقليلة من اساقفة نفس الكنيسة
اللاتينية وشعوبها في اوربا اعتزلى الباباوية راساً ولقبوا ذواتهم بالكاثوليك
القدماء وقرّ رأيهم على معتقدات تنفع ما ياتي وهو انه بعد تحديد عقيدة العصمة
على ما تقدم هاج بعض العلماء اللاتينيين في اكثر ما لك اوربا لمناومة هذا التعليم
الذي اعتقدوه ظلاً وتعدياً على ضائر البشر واجتمعوا في اوخر تموز سنة ١٨٧٠ م

البحث في هذا الامر فحرمهم الاساقفة ومنعهم عن الاشتراك ثم اجتمع جميع في مدينة مونيخ عاصمة بافاريا سنة ١٨٧١ م حضرة جمهور من الالهالي وانفقوا على المبادئ الآتية وهي (١) انهم باقون على الايمان الكاثوليكي القديم المصرح في الكتب المقدسة وفي تقاليد الكنيسة (٢) يرفضون تعديلات الثانيكان كبداية لانه لا يجنى للجمع ان يكرر عقائد مضادة لايمان الشعب وضائره (٣) انهم مضمون على المباحثة العلمية والاتفاق مع هالك هذا العصر على مضادة الجدول الباباوي ومشروعات اليسوعيين المضرة جدا لصالح العموم (٤) ان غاية قصدهم هي تنظيم ابرشيات جديدة واصلاح الناديب الكيسي واعادة الاتحاد مع الكنائس المنشقة عن رومية ثم اجتمعوا ثانية في كولونيا سنة ١ٸ٧٢ م حيثما انضم اليهم جمهور آخر عظيم من الكهنة واشهر اللاهوتيين والمؤرخين والفلاسفة واكثر معلمي المدارس الكلية الجرمانية من الكاثوليكين ورتبوا الاتفاق الآتي ويشتمل على اربع مبادئ وهي (١) انه لا يمكنهم بعد الآن ان يعتبروا اساقفة رومية الحاليين كروساء الكنيسة الكاثوليكية ولا كذلك الاساقفة الذين امضوا عقيدة العصمة فاذا حرمهم (الذي هددهم به) باطل (٢) ان للكاثوليك القدماء جميع الحقوق والامتيازات التي كانت قديما للكنيسة الكاثوليكية سواء كانت نظامية او شرطية او شرعية (٣) ان الحالة الحاضرة ليست مكدة للكاثوليك القدماء فقط الذين حيث قطعوا من الكنيسة اضطرروا الى نظام ابرشيات جديدة تطلب مصادقة الحكومة عليها ولكنها مكدة لكل الكنيسة ايضا انه كان قبل الآن يمكن عزل البابا اذا هرقى ولكن الآن لا يمكن ذلك بعد نشر هذه العقيدة الجديدة فاذا ما من ريب اذا قالوا بانه لم يبق والحالة هذه وجود لبابا شرعي ولا لاساقفة شرعيين من اتباعه (٤) حيث لا يمكنهم ان يسموا اساقفة حسب الترتيب القانوني قد قرر رايهم على ان يرجعوا الى انتخاب الاساقفة بصوت الاكبرس والشعب حسب الترتيب القديم . ثم اطلقوا في هذا الجمع الغفرانات والصلاة الى القديسين ودفع اجرة على القناديس والنزمو بالخضوع

الى نظمات الممالك التي هم من رعاياها وابطالوا امر البابا الذي يمنع العامة عن مطالعة الكتاب المقدس وهم مستعدون الآن الى عمل جمعية اعضاؤها من كل الكنائس المختلفة لاجل الفحص عن قوانين ايمان الكنيسة في الاجيال الاولى من تأسيسها والآراء والتعاليم والآداب والنظمات والترانيب التي اعتبرت جوهرية وضرورية في الكنيسة الجامعة الشرقية والغربية قبل انفصالها غير قاصدين بذلك اتحاد يجعل كل الكنائس واحدة ولكن وضع قانون كسي الاشتراك في الايمان الواحد عنوانه الوحدة في الامور الجوهرية الضرورية مع محافظة كل كنيسة على خصوصيات لا تنفسد جوهر الايمان القديم وعدد اصحاب هذه الشيعة الآن نحو ٦٠ ألفاً

وهناك شيع اخرى ليست بثلث اهمية نظراً لقلّة عدد اصحابها يدخلهم الرومانيون في صف البروتستانت لكون مؤسسها ظهوراً بعد ظهور الاصلاح اعني بعد القرن السادس عشر او لكونهم كانوا منسوين الى بعض الكنائس الانجيلية وخاصة ان هذا الاسم لا يتاخر الرومانيون عن اطلاقه على كل منالفي عقائدهم من اية كنيسة كانوا على ان كل من اطلع على اعمال جمعية الاتحاد الانجيلي وعرف مبادئ الاتحاد بين عموم البروتستانت الذي وقع الاتفاق عليه منهم اجمعين بقدر من اول وهلة ان يميز معتقدات اية شيعة كانت بمجرد اطلاعه عليها هل هي بروتستانتية ام لا وهذه المبادئ تنحصر في تسع عقائد وهي (١) وحي الكتب المقدسة وسلطانها وكفائتها (٢) حق كل انسان الشخصي ووجوب حكمه في تفسير الكتب المقدسة (٣) وحدة اللاهوت وثبات الاقانيم فيه (٤) فساد طبيعة الانسان الكلي الناتج عن السقوط (٥) تجسد ابن الله وعمله الفداء لاجل الخطاة من البشر وشفاعته وملكه نظير وسيط (٦) تدبير الخاطئ بالايمان وحرّة (٧) عمل الروح القدس في تجديد الخاطئ وتقديسه (٨) خلود النفس وقبالة الجسد ودينونة العالم بالرب يسوع المسيح مع سعادة الابرار الابدية وشفاعة الاشرار الابدية (٩) كون الفسوسية المسيحية نظاماً الهياً ووجوب ممارسة

سرّي اليهودية والعشاء الرباني على الدوام . ثم ان هذه الجمعية لا تشهر هذه المبادئ كقانون كنسي ولا تدّعي بحق تعيين حدود الاخوية المسيحية بل تبين فقط اي نوع من الناس مدعو للاشتراك في هذا الاتحاد وكان اجتماعها الاحتفالي الاول في باريس سنة ١٨٥٦ ثم في برلين سنة ١٨٥٧ ثم في نيويورك سنة ١٨٧٣ وكان حاضراً جمهور حافل من قسوس وعلماء ومبشرين ومعلمين من امريكا وانكلترا وفرنسا وجرمانيا والفلنك واسبانيا وإيطاليا وبلاد اليونان وبلجيكا وتركيا ومصر والهند والصين وافريقية وجزائر البحر وظهرت في ذلك الاجتماع وحدة الايمان البروتستانتية مع وجود الاختلافات في الامور غير الجوهرية ونصرح حينئذ الاتحاد بالمبدأ الاوغسطيني الذي هو (١) الوحدة في الامور الجوهرية (٢) الحرية في غير الجوهرية (٣) المحبة في كل شيء ولذلك نضرب صفحاً عن تسويد صحائف في الكلام على كل فرفة انجيلية على حدتها من لوثيريين وكالفينيين واسقفيين ومثودسيين وباتسنيين وانديينديين وقسوسيين وكونكرشونال الى غير ذلك اذ انه لا يفيد غير الابانة عن امور طقسية وعادات مكانية ناشئة اما عن تغلب التقليدات التي كان شب عليها المصلحون الاولون على ضوائر البعض منهم واما عن آراء تفسيرية لا دخل لها في جوهر الايمان اصلاً كما صرفنا النظر عن ذكر فروقات واختلافات كثيرة توجد من هذا القبيل بين طغيات الرهبان والكنائس اللاتينية ومن ينقاد اليها من سائر الطوائف الشرقية ولنرجع الى تبيين الكلام على تلك الشيع الصغرى المنسوبة والحالة هذه الى البروتستانت على ما سبقت الاشارة اليه وهي

(١) السوسينيون نسبة الى بيت سوسيني الذي كان عاملاً في سينا مدينة شهيرة في التوسكانا والاصل في هذه الشيعة رجالان من اهل هذا البيت وها ليلوس وفستوس سوينوس اسساها نحو سنة ١٥٤٧ م وتُقسم الى نوعين الاول ينكر تثليث الاقانيم الالهية ولا يسلم بالوهية المسيح ومنهم ميخائيل سرفاوس سرفينوس المشهور الذي ادّعى بان تعاليم المسيح الحقيقية قد فقدت قبل تعاليم مجمع نيقية

وأنه أوحى إليه هو ان يرجعها ويفسرهما وله معتقدات في اللاهوت يطول شرحها والثاني بشر بان كل معرفة الهية يجب ان تؤخذ من الكتب المقدسة لكنه يعتقد بان معنى الكتاب الالهي لا يجب ان يؤخذ على ظاهره بل يُعتبر ويُشرح تطبيقاً لما يقبله العقل السليم يعني ان يُشرح بما لا يضاد مفهوم البشر المؤلف ولا العقل البشري فكانما يقول اصحابه ان الكتب الموحى بها من الله لاتعلن العفائد التي يجب الاعتقاد بها بل ان الفطنة البشرية هي التي تدل على حقيقة نظام الديانة الذي يجب ان يبحث عنه في الكتاب المقدس وهم منتشرون في عدة مدن من بلاد اوربا وعددهم غير معروف

(٢) الكويكرس اي الاصحاب وصاحب بدعتهم رجل يقال له جورج فوكس من انكلترا وضعها في سنة ١٦٤٨ م وهم يعتقدون بالنور الباطني اي ان الله سبحانه قد اعطى لكل انسان نوراً كافياً للخلاص وان استعماله حتى الاستعمال حتى ان الوثنيين لهم هذا النور عينه ولذلك ابطالوا الوعظ والتعليم في الكنيسة وانكروا على التسوسية واطلوا العشاء الرباني والمعمودية لئلا يُعتبر من يارسها كاهناً او قسيساً ولا يتكلم في اجتماعاتهم الدينية الا من حركة الروح رجلاً كان او امرأة وعددهم الآن ليس باكثر من ٢٠٠ الف ثم ظهر بينهم شقاق بواسطة تعليم رجل يقال له ايلياس هكس الذي انكر تثليث اللاهوت والتبرير بالايمان وفداء المسيح

(٣) السويدنبرجيون اتباع رجل يقال له عيمانوئل سويدنبرج فيلسوف اسويجي مات سنة ١٧٧٢ م وكان من اشهر علماء شمال اوربا في العلوم الرياضية والطبيعية والهيئة واللاهوت والشعر ادعى في سنة ١٧٤٥ م اذ كان ابن ٥٧ سنة بالوحي وظهور الرب يسوع المسيح له شخصياً وأنه اراه العالم الروحي وسمح له ان يخاطب الملائكة والارواح الطاهرة ومن ثم ألف عدة مؤلفات في اكتشافاته هذه ولمنحصر ما اودعه فيها من التعاليم هو ان الله واحد وهو انسان الهى ومحبة جوهرية، وان لفظة آدم لاتشير الى شخص حقيقي بل الى حالة الانسان الاصالية

وكذلك شيت واخنوخ ونوح وسام وغيرهم ليسوا إلا إشارة إلى كنائس أو درجات
احوال البشر والايان الديني . وان بعض الكتب المقدسة كسفر راعوث وسفري
الايام الاول والثاني واعمال الرسل وجميع الرسائل ليس فيها المعنى السري
الروحي فاذا لم يوح بها من الله . وان الانسان الذي يموت لا تنفصل روحه
عن الجسد الا بعد ٢ ايام من موته وان جميع الاطفال الذين يموتون في سن
الطفولية يخلصون . وان كنيسة التي ابتدعها في اورشليم الجديدة المشار اليها في
سفر الرؤيا بتأسيس السموات الجديدة . وغير ذلك مما يطول شرحه وقد تبع
تعليمه هنا قليل من الناس غير معروف عددهم في اسوج وفرنسا وجرمانيا
وسويسرا وانكلترا واميركا

(٤) الارفنديون اتباع ادوارفين الذي مات سنة ١٨٢٤ م وكان بعد
ان درس العلوم واللاهوت وشرع في الوعظ بخطابات فصيحة وقياسات منطقية
تهيج الضمائر قيل انه لا يوجد اعظم منها في اللغة الانكليزية ترجم في سنة ١٨٢٦ م
كتاباً من اللغة الاسبانيولية تأليف راهب يسوعي يسمى لاكونزا في اميركا الجنوبية
عنواؤه عجيبي المسيح في الجلال والمجد ثم بلغه خبر في سنة ١٨٣٠ م ان في سكتلاندا
قد تكلم البعض من الناس بالسنة مجهولة فتحقق من ذلك فجدد المواهب
الروحية في الكنيسة ومن ثم اخذ قوم من جماعته في الكلام بالسنة متنوعة حتى
صار كنيسته مثل بابل في بلبلة الالسنه وحيث نفرا الاكثرون ولم يبق معه
سوى ٨٠٠ نفس اصرؤا على الادعاء بقوة النبوة والوحي واخيراً ارجعوا
وظائف الرسل والانبياء حتى ان احدهم تعين رسولاً ومنح الروح القدس بوضع
الايادي ثم بعد وفاته صار عدد الرسل ١٢ رسولاً ومنهم كنيستهم الكاثوليكية
الرسولية وغايتهم العظمى هي الرجاء بعجيبي المسيح سرياً ولم يبق من تابعيه الآن الا
بعض افراد مشتتين

(٥) اخوة بليموث ويقال لهم الدرييون نسبة الى يوحنا دري اول روسائهم
وهو قسيس اسقفي انكر في سنة ١٨٣٠ م وجود كنيسة مسيحية منتظمة وادعى بانه

يجب على المسيحيين المتقي الاراء ان يجتمعوا في فرق صغيرة استعدادا لحياء الرب الثاني الذي كان يتوقع ان يراه عيانا . ويقال بان ليس لهم قواعد ايمان ولا قوانين وانه يسوغ لكل منهم ان يعتقد كيفما شاء وانما اجتمعوا على فساد الانسان فسادا كبيرا ولزوم التجديد بالروح القدس والفداء بالام المسيح وموته ورفض كل تعيين خصوصي او رسامة للوظيفة القسيسية لكونهم يحسبون كل المسيحيين الحقيقيين كهنة ومن امكنة منهم ببيان الاخوة يرخص له بالتبشير وتوزيع الاسرار بدون دعوة ولا رسامة ولا يعمدون سوى البالغين وربما افعول اعضاء كنيسهم بلزوم اعادة عيادهم ولا يقبلون في اجتماعاتهم للعبادة يوم الرب غير جماعتهم واخيرا انقسمت هذه الشيعة الى ٢ فرق لكل منها اعتقادات مخصوصة منها فرقة دربي رئيسها الاول الذي مر ذكره فانه توجه من انكلترا الى سويسرا وانتظم من قومه جماعات في باريس وليون ومرسيليا وبعض جهات ايطاليا وظهرت منهم جماعة في فيلادلفيا من امريكا ايضا لكنها انشقت الى فرقتين لا تشترك احدهما مع الاخرى لان الفرقة الواحدة انكرت وجود قصاص ابدى ولا سبيل الى تفاصيل معتقداتهم بالتام بل من رغب في ذلك فعليه بمراجعة الكتاب المعنون اخوة بليموث المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٤م

حاشية

قد علم مما تقدم ما بين النصارى واليهود من الخلاف حتى ان اليهود لا يسلطون بادنى شيء من المعتقدات التي امتازت بها الديانة المسيحية مع انهم لا ينكرون في باطن الامر حقيقة الايات والعجائب التي اصطنعها المسيح بما هي عليه وعندهم كتاب مخصوص فيها بسموه حياة يسوع الناصري ذكره بولس داود بن موسى مونسيبوس الازميري المنتصر سنة ١٧٥٧م في مؤلفه وقال انهم يعترفون فيه بانه فتح اعين العمي واسمع آذان الصم وانطق السنة الخرس

واقام متعدين وظهر برصاً وشفى امراضاً واحيى امواتاً وطرد شياطين الى غير ذلك ما هو دلائل واقعي الا ان احداً صحابي من اليهود اخبرني بان عندهم ان يسوع كان يفعل هذه الآيات بواسطة اسم الله الاعظم وكان قد سرقة من الهيكل وشق بطة رجله ووضعه داخلها وخاط عليه الى ان لحم جرحه ولم خرافات طويلة السياق في هذا المعنى من جهة يهوذا الاسخريوطي وكيف احتال عليه وسأله الى رؤساء الكهنة ووجه اليهود ليقتلوه . واما المسلمون فانهم يعتبرون المسيح نبياً فقط وانه من اولي العزم ويعترفون له بكل العجائب الخارقة بازيد مما هو مذكور في الانجيل فان في سورة آل عمران التي يذكر فيها تبشير زكريا بعيسى وهو يوحنا وتبشير مريم بكلمة من الله اسمه المسيح ومراجعتهما في ذلك بكونهما لم يسهما بشئ يخبر عنه بانه كان يكلم الناس في المهد طفلاً وخلق لهم من الطين كهيئة الطير وكان ينبتهم بما ياكلون وما يذخرون في بيوتهم زيادة على كونه ابراً الاكبه والابرص واحيى الموتى وفي سورة البقرة يقول اتينا عيسى بالبينات وايدناه بروح القدس الى غير ذلك من الآيات وانما يخالفون النصارى في التثليث اذ يقول في سورة المائدة لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . ولقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وفي سورة النساء انما المسيح عيسى ابن مريم ورسول الله وكلمته افاناهما الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتموا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد . وكذلك لا يعترفون بصلب المسيح وموته مع انهم مترون بموت صاحب شريعتهم ويظن البعض منهم بانه توفي مسموماً من امرأة يهودية اما المسيح فلا يسلهون بموته اذ في سورة النساء ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبهه لم يتأولون قوله في سورة آل عمران يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ويوجد ايضاً بينهم وبين النصارى خلاف كبير في وصف النعيم والحياة الآتية . ومع كونهم يعتقدون بان النصارى حرفوا الانجيل فهم يعتقدون بمودتهم لهم دون اليهود اذ جاء في سورة المائدة لتجدنّ اشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ افرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى

الكلام على المسلمين

المسلمون ويقال لهم ايضاً محمديون او امة محمد يبلغ عددهم الآن نحو ١٥٠ مليوناً من النفوس البشرية وشوكة هذا الدين ممتدة في اوربا واسيا وافريقية واصحابه ينقسمون الى ثلاثة اصول وهي السنية والشيعة والبدعية ونجت كل منها فروع سوف ياتي الكلام عليها وتجمعهم جميعاً مباني هذا الدين الخمسة وهي
اولاً النطق بالشهادتين اللتين احدهما تتضمن الاقرار بوحداية الله تعالى
والثانية الاعتراف برسالة صاحب الشريعة الاسلامية ويُعبّر عنهما كلتيهما بكلمة
الاخلاص

الثاني اقامة الصلوة

الثالث ايتاء الزكاة

الرابع صوم شهر رمضان اياماً معدودات فمن كان مريضاً او على سفر
فعدة من ايامٍ آخرها ما من صام فهو خير له
الخامس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً

اما مشرع هذه الديانة فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطالب بن هاشم
شريف مكة احدى مدن الحجاز وهو من قبيلة قريش احدى قبائل العرب
تنسب كغيرها من القبائل الى احد اولاد اسماعيل بن ابراهيم الخليل الذي مرَّ
ذكره في الكلام على ديانة اليهود واد في سنة ٥٧٠م ولما بلغ من العمر اربعين
سنة ابتداءً في دعوة العرب

قال رفاعة بك الطمطاوي ولما كان من صفات العرب عزة النفس
والشجاعة والتولع بالاشعار والحكم والامثال وكان من صفاتهم ايضاً الطرب بما
يسمونه وتأثيره عندهم جاءهم بالقرآن وهو الكتاب الجامع لعقائد الدين الاسلامي

ولما كانت معجزة كل نبي من جنس ما غلب على اهل زمانه وتها الكوا عليه وتفاخروا به كالسحر في زمن موسى والطب في زمن عيسى (يعني يسوع المسيح) والموسيقى في زمن داود وكان زمنه هو زمن فصاحة وبلاغة كانت معجزة هذا الكتاب الذي عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم عن معارضته

ومن تعاليم ما جاء به من الآيات البليغة الفصيحة المقتضاة المحرصة على الغزى والجهاد . والمواعظ والحكم في شأن التخليق بأداب هذا الدين ووعده المطيع بالخلود في جنات النعيم . والاعتناء بالقضاء والتدراذ ان هذه العقيدة قديمة عند المشاركة وكان قد داخل بلاد العرب احكام من التوراة والانجيل فافترها هذا الشارع وآمن برسل اليهود والنصارى وقال ان عيسى وموسى نواب عنه مبشرون به وان دينه ناسخ لما تقدم قبله من الاديان (ولا يلزم ان نكرر هنا ما اوردناه من هذا القبيل في الكلام على ديانتي اليهود والمسيحيين)

ويعتقدون ان الله تعالى انزل هذا القرآن من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر منه ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبرائيل الملاك ويسمونه روح القدس الى صاحب الشريعة الاسلامية مدة رسالته عند الحاجة ويحدث ما يحدث

ثم ان ترتيب نزول هذا الكتاب هو غير ترتيبه في التلاوة والمصحف ومنه ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة فالذي نزل بمكة ثلاث وثمانون سورة والذي نزل بالمدينة احدى وثلاثون سورة فيكون جملة ذلك مئة واربع عشرة سورة وهي تقسم باعتبار الناسخ والمنسوخ الى اربعة اقسام وهذه تفاصيلها

الاول ليس فيه منسوخ ولا ناسخ وهو ثلاث واربعون الفاتحة ويوسف وبس والتجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحریم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات والنبأ والنازعات والانفطار والمطففين والانشقاق والبروج والفجر والبلد والشمس والليل والضحى وآلم نشرح والقلم والقدر والقيامة والزلزلة والاعاديات والفارعة والتكاثر والهمزة والفيل وقريش وأرابت

والكوثر والنصر ونبت والاخلاص والفتق والناس

الثاني فيه منسوخ وناسخ وهو خمس وعشرون البقرة وآل عمران والنساء
والمائدة والانفال والتوبة وابراهيم ومريم والانبياء والحج والنور والفرقان
والشعراء والاحزاب وسبا والمؤمن وشورى والذاريات والطور والحجادة
والواقعة والمزمل والمدثر والتكوير والعصر

الثالث فيه منسوخ فقط وهو اربعون الانعام والاعراف ويونس وهود
والرعد والحجر والنحل والاسرار والكهف وطه والمومنون والنمل والفصص
والعنكبوت والروم ولقان وآلم والسجدة وفاطر والصفافات وص والزمر وحم السجدة
والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف ومحمد وق والنجم والقر والامتحان
والمعارج والقيامة والانسان وعيس والطارق والغاشية والقيين والكافرون
الرابع فيه ناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق
والاعلى

وقد ذكرنا في الفصل الاول من المقالة الاولى كيف كان جمع هذه السور الى
صحف متفرقة في ابام ابي بكر بعد وفاة صاحب الشريعة الاسلامية فتم ذلك عن
يد زيد بن ثابت قال فجمعت آتبعه من الرقاع والعصب والخفاف (العصب في
اللغة سعوف النخل والخفاف الحجارة تكون بيضاء ورقية واحدها لينة) وهي
الادوات التي كان يكتب عليها في الزمن القديم قبل ظهور الورق المعتاد
وخلاصة الامر هي انه لولا هذا الانتباه لفقد كثير منه وكذلك الاعتناء الذي
حصل من عثمان بن عفان خليفة ابي بكر المذكور بنسخ الصحف في مصاحف
حيث امر بذلك زيد بن ثابت المذكور وعبد الله بن الزبير وسعد بن العاص
وعبد الله بن الحارث بن هشام وقال للوسط من القريشيين الثلاثة بانهم اذا
اختلفوا وزيد بن ثابت في شيء فيكتبونه بلسان قريش فانه انزل بلسانهم ثم
بعد ان نسخوا تلك الصحف في المصاحف ارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا
وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق ولولا ذلك لكثير وقوع

الاختلاف في قراءته بين الحفظة لكن نظراً لعدم جودة الخط العربي لاول المسلمين كان رسمهم اياه في المصاحف غير مستحكم في الاجادة وخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته صناعة الخط قال ابن خلكان في ترجمة ابي عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري لما كتب المصحف عرض على عثمان فقال ان فيه لحناً ولتقيته العرب بالسنتها. وعبر الناس يقرأون في مصحف عثمان نيناً واربعين سنة ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق في ايام عبد الملك بن مروان الى ان قام النصر بن عاصم ووضع النقط افراداً وازواجاً وخالف بين اماكنها فعبه الناس بذلك لا يكتبون الا منقوطاً فكان مع استعمال النقط يقع التصحيف ايضاً فاحدثوا الاعجام ومع ذلك جميعه لا بد عن الاخذ من افواه الرجال بالتلفين

وقد قال صاحب الشريعة الاسلامية انزل القرآن على سبعة احرف فافترأوا ما تيسر منه الا انهم اختلفوا في المراد من قوله على سبعة احرف على اقوال رجحوا منها ان المراد بها القراءات السبع قال رفاعه بك الطاطاوي ان هذه القراءات ضبطها الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً وان هذه الاحرف مختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست متضادة ولا متباينة

قال ابن خلدون المغربي وربما اضيف الى فن القراءات فن الرسم ايضاً وهي اوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في باييد وزيادة الالف في لا اذبحنه ولا اوضعوا والواو في جزاؤ الظالمين وحذف الالفات في مواضع دون اخرى وما رسم فيه من التاءات ممدوداً والاصل فيه مربوط على شكل الهاء والحاجات هذه الخالفة لافاضاع الخط وقانونه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضاً عند كتبهم في العلوم

وهذا جميعه كان السبب في وضع العلوم او بالحري فنون اللغة العربية قال صاحب تذكرة الحكم في طبقات الامم ان العلوم المستنبطة من القرآن

الكريم قد هدّ منها الامام الشافعي في مجلس هرون الرشيد ثلاثة وستين نوعاً وقد نصّت العلماء العظام بانه قد تدوّن منها في الكتب والرسائل ثلاث مئة وستة وستون علماً واما العلوم اللازمة الى تفسيره فهي اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والقراءة والاصول في الدين واصول الفقه واسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والاحاديث وعلم الهبة الالهية

— ١٥ —

فصل

في البدع التي ظهرت واوجبت وضع علم الكلام عند المسلمين

اما علم الكلام (ويعبر عنه النصارى بعلم اللاهوت) الذي هو عند المسلمين عقائد اهل السنة والجماعة وموضوعه حسب اختيار الفاضل الارموي هو ذات الجلاله وعلى قول ابي حامد الغزالي وطائفة من المتكلمين هو الموجود مطلقاً بحيثية كونه موجوداً وقال جمهور المتأخرين ان موضوع الكلام هو العلوم بتلك الحثية وهي الاثبات له بالتعلق على العقائد الدينية تعلّقاً قريباً او بعيداً فيكون اذا موضوعه متناولاً لمباحث ذات الله وصفات الله وافعال الله وغايته السعادة في الدنيا والآخرة فلم يوجد داعٍ للاشتغال به في مبادئ ظهور الدين الاسلامي قال الامام المفريزي وقد كان في مبادئ الامر لم يرد قط من صحيح ولا سليم عن احد من الصحابة انه سأل عن معنى شيء ما ورد في القرآن من الصفات الالهية ولا فرق احد منهم بين كونها صفة ذات او صفة فعل وانما اثبتوا له تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعز والعظمة وهكذا اثبتوا ما اطلقه سبحانه على نفسه

من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفي حائلة المخلوقين ولم يكن عند احد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد سوى القرآن ولا عرف احد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلاسفة

ثم حدث في زمنهم القول بالقدر وتسمت اصحابه بالفدرية وهم الذين اخذ السلف في ذمهم وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث وبعده حدث ايضاً مذهب الخوارج الذين صرحوا بالنكير بالذنب والخروج على الامام وقتالوا واخبروا حدث كذلك مذهب الشيعة لعلي ابن ابي طالب والغالو فيه الى ان قالوا بان الجزء الالهي يحل في الامة بعده يريدون بذلك خلفاؤه من نسله والسبب الاعظم في ذلك هو اختلاف الاغراض السياسية والتحزبات الشخصية لاجل ايجاد عصاة دينية اخرى غير العصاة الاسلامية التي كانت تجمع بين عامة المسلمين في مبدأ ظهور هذا الدين وبواسطتها تغلبوا على ما تغلبوا عليه من البلاد التي افتتحوها لكي تقوم مقامها في نوال تلك المفاصل التي كانت تحسب في مبادئ الامر ثانوية بالنسبة الى الدين ولكنها اخيراً صارت عند البعض منهم اهم من غيرها حتي انها ليس فقط اوصلت الى ما يضاد مبادئ الدين الاسلامي وبغاير مقاصده بل ولما ينافي كل المنفعة ايضاً نظير ديانتي النصرانية والدروز اللذين سوف ياتي الكلام عليهما في الخاتمة فضلاً عن انقسام القوم الى سنية وشيعية كما هو الحاصل في ايماننا هذه

ثم بعد عصر الصحابة ظهر مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق وفي اثناء ذلك ظهر مذهب المعتزلة ايضاً ثم مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال ثم مذهب الفرامطة اصحاب علم الباطن واقبلت اصحاب هذه المذاهب على النظر في كتب الفلاسفة التي ترجمت في عهد المأمون سابع الخلفاء العباسيين في القرن الثالث الهجرية واكثروا من التصفح لها فعظم بالفلسفة ضلالم وقويتم شوكة الرافضة عندما قوي امر الخلفاء الفاطميين ببلاد المغرب ودولة بني بويه ببلاد المشرق وكانت بينهم وبين اهل السنة من الفتن والحروب والمقاتل ما

لا يمكن حصره واشتهرت مذاهب الفرق من القدرية والجهمية والمعتزلة والكرامية والخوارج والروافض والقرامطة والباطنية حتى ملأت البلاد الاسلامية منهم وما زال الحال على هذا المنوال الى ان ظهر ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري وكان من المعتزلة ثم بدله فترك مذهب الاعتزال واشهر مذهباً انتشر في البلاد الاسلامية وتميز به اهل السنة عن غيرهم من الفرق التي مر ذكرها وكان ذلك في اوائل القرن الرابع من الفارنج الاسلامي كما ينضح ما يأتي في محله ومن ثم اخذ العلماء في التوسيع بمباحث علم الكلام وتميز صحيح من سقيم بحسب ما وقع من الاختلافات الآتي ذكرها

فصل

في ملخص ما اختلفت به الفرق الاسلامية المذكورة وما منها من الفرق التي يعتقدون هلاكها

فانقسم حينئذ المسلمون الى خمس فرق متباينة. وهي السنية والمرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج ونحت كل من الاربعة الاخيرة فروع منهم من يخالف اهل السنة الخلاف البعيد ومنهم من يخالفهم الخلاف القريب فاقرب فرق المرجئة من قال ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معاً فقط وان الاعمال انما هي فرائض الايمان وشرائعه فقط وابعدهم اصحاب جهم بن صفوان ومحمد بن كرام واقرب فرق المعتزلة اصحاب الحسين النجار وبشر بن غياث المريسي وابعدهم اصحاب ابي الهذيل العلاف واقرب مذاهب الشيعة اصحاب الحسن بن صالح بن حي وابعدهم الامامية . واما الغالية فليسوا بمسلمين ولكنهم اهل ردة وشرك واقرب فرق الخوارج اصحاب عبد الله بن يزيد الاباضي وابعدهم الازارقة واما البطينية ومن جحد شيئاً من القرآن او فارق الاجماع من العبادة وغيرهم فيعتبرونهم

كثاراً باجماع الأمة وقد حصروا الفرق الهالكة في عشر طوائف
 الاولى المعتزلة الغلاة في نفي الصفات الالهية الفائلون بالعدل والتوحيد
 وان المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعده واكثرهم على ان
 الامامة بالاختيار وهم عشرون فرعاً

احدهم الواصلية . اصحاب واصل بن عطاء ابي حذيفة العزال المتوفى سنة ١٢١
 للهجرة اخذ العلم عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وخالفه في الامامة
 واعتزله يدور على اربع قواعد هي نفي الصفات والقول بالقدر والقول بميزة
 بين المتزاتين ووجب الخلود في النار على من ارتكب كبيرة والقول بان احدي
 الطائفتين من اصحاب الجمل وصفين مخطئة لا بعينها (قوله الجمل وصفين هي
 واقعة جرت بين الامام علي والخوارج

الفرع الثاني العمروية . اصحاب عمرو ومن قوله ترك قول علي بن ابي
 طالب وطلحة والزبير

الثالث الهزلية . اتباع ابي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومن
 قوله ان جميع الطاعات من الفرائض والنوافل ايمان وانفرد بعشر مسائل وهي
 ان علم الله وقدرته وحياته هي ذاته وثابت ارادات لا محل لها بكون الباري مريداً
 لها وقال بعض كلام لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل الامر كالامر والنهي
 وقال في امور الآخرة كذهب الجبرية وقال تنهي مقدورات الله حتى لا يقدر
 على احداث شيء ولا على افناء شيء ولا احياء شيء ولا امانته شيء وتنقطع حركات
 اهل الجنة والنار ويصيرون الى سكون دائم وقال الاستطاعة عرض من
 الاعراض نحو السلامة والصحة وفرق بين اعمال القلوب واعمال الجوارح وقال
 تجب معرفة الله قبل ورود السمع . وان المرء المقتول ان لم يقتل مات في ذلك
 الوقت ولا يزداد العلم ولا ينقص بخلاف الرزق . وقال ارادة الله عين المراد
 والحجة لا تقوم في ما غاب الا بنحو عشر بن

الرابع النظامية . اتباع ابراهيم بن سيار النظام زعيم المعتزلة انفرد بعدة مسائل

وهي قوله ان الله تعالى لا يُوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وانها غير مقدورة لله . وقال ليس لله ارادة وافعال العباد كلها حركات والنفس والروح هو الانسان والبدن انما هو آلة فقط . وان كل ما جاوز القدرة من الفعل فهو من الله وهو فعله . وانكر الجواهر الفرد وحدث القول بالطفرة . وقال الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت . وزعم ان الله خلق الموجودات دفعة على ما هي عليه . وان الاعجاز في القرآن من حيث الاخبار عن الغيب فقط . وانكر ان يكون الاجماع حجة . وطعن في الصحابة وقال ابو هريرة اكذب الناس وزعم انه ضرب فاطمة بنت صاحب الشريعة الاسلامية . ومنع ميراث العترة . ووجب معرفة الله بالفكر قبل ورود الشرع . وحرّم نكاح الموالي العرييات . وقال لا تجوز صلاة التراويح ونهى عن ميفات الحج . وكذب بانشقاق القمر . واحال رؤية الجن وزعم ان من سرق مئتي دينار فادونها لم يفسق . وان الطلاق بالكتابة لا يقع وان كان بنية . وان نام مضطجعا لا يتقض وضوءه ما لم يخرج منه المحدث . وقال لا يلزم قضاء الصلوات اذا فاتت

الخامس الاسوارية . اتباع ابي علي عمرو بن قنائل الاسواري القائل ان الله تعالى لا يقدر ان يفعل ما علم انه لا يفعله

السادس الاسكافية . اتباع ابي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي ومن قوله ان الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الاطفال والمجانين وانه لا يُقال ان الله خالق المعازف والطناير وان كان هو الذي خلق اجسامها

السابع الجعفرية . اتباع جعفر بن حرب بن ميسرة ومن قوله ان في فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس . واسقط الحد عن شارب الخمر وزعم ان الصغائر من الذنوب توجب تخليد فاعلها في النار . وان رجلاً لو بعث رسولاً الى امرأة ليخطبها فجاءته فوطئها من غير عقد لم يكن عليه حد ويكون وطؤه اياها طلاقاً لها

الثامن البشرية . اتباع بشر بن المعتمر ومن قوله الطعم واللون والرائحة

والادراكات كلها من السمع يجوز ان تحصل متوادة. وصرف الاستطاعة الى سلامة البنية والجوارح . وقال لو عذب الله الطفل الصغير لكان ظالماً وهو يقدر على ذلك . وقال ارادة الله من جملة افعاله ثم هي تنقسم الى صفة فعل وصفة ذات . وقال باللفظ المخزون وان الله لم يخلفه لان ذلك يوجب عليه الثواب . وان التوبة الاولى متوقفة على الثانية وانها لا تنفع لا بعدم الوقوع في الذي وقع فيه فان وقع لم تنفع التوبة الاولى

التاسع الزردارية . اتباع ابي موسى عيسى بن صبيح راهب المعتزلة المعروف بالمزدار انفرد بمسائل منها قوله ان الله قادر على ان يظلم ويكذب ولا يطعن ذلك في الربوبية . وجوز وقوع الفعل الواحد من فاعلين على سبيل التولد . وزعم ان القرآن مما يقدر عليه وان بلاغته وفصاحته لا تعجز الناس بل يقدرون على الاتيان بمثلا واحسن منها وهو اصل المعتزلة في القول بخلق القرآن . وقال من اجاز رؤية الله بالابصار بلا كيف فهو كافر والشاك في كفره كافر ايضا

العاشر الهشامية . اتباع هشام بن عمرو الفوطي الذي يبالغ في القدر ولا ينسب الى الله فعلاً من الافعال حتى انه انكر ان يكون الله هو الذي ألف بين قلوب المؤمنين وانه يحب الايمان للمؤمنين وانه اضل الكافرين وعاند ما في القرآن من ذلك . وقال لا نتعقد الامامة في زمن الفتنة واختلاف الناس . وان الجنة والنار غير مخلوقتين . ومنع ان يقال حسبنا الله ونعم الوكيل . وقال ان الوكيل دون الموكل . وقال لو اسبغ احد الوضوء ودخل في الصلاة بنية القربة لله تعالى والعزم على اتمامها وركع وسجد مخلصاً في ذلك كله الا ان الله علم انه يقطعها في آخرها فان اول صلاته معصية . ومنع ان يكون البحر انفاق لموسى وان عصاه انقلب حية وان المسيح احبى الموتى باذن الله . وان القمر انشق لصاحب الشريعة الاسلامية وانكر كثيراً من الامور التي تواترت كحصر عثمان بن عفان وقتله بالغلبة وقال انما جاءت شريعة قليلة تشكو عماله ودخلوا عليه وقتلوه فلا بدري قاتله . وان طلحة والزبير وعلي بن ابي طالب ما جاءوا للقتال في حرب الجبل

وانما برزوا للمشاورة وتقاتل اتباع الفريقين في ناحية اخرى وان الامة اذا اجتمعت كلها وتركتم الظلم والفساد احتاجت الى امام يسوسها فلما اذا عصت وفجرت وقتلت واليهما فلا تنعقد الامامة لاحد ونفى على ذلك ان امامة علي لم تنعقد لانها كانت في حال الفتنة بعد قتل عثمان . وانكر اقتضاض الابكار في الجنة . وانكر ان الشيطان يدخل في الانسان وانما يوسوس له من خارج والله يوصل وسوسته الى قلب ابن آدم . وقال لا يقال خلق الله الكافر لانه اسم العبد والكافر جميعاً وانكر ان يكون في اسماء الله الضار النافع

الحادي عشر الحائطية . اتباع احمد بن حنبل . ومن اقواله ان الخلق الهين احدهما خالق وهو الاله القديم والاخر مخلوق وهو عيسى بن مريم ومنها ان المسيح ابن الله وانه هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وانه هو المعنى بقوله في القرآن هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظل من الغمام وزعم في قول صاحب الشريعة الاسلامية ان الله خلق آدم على صورته ان معناه خلقه اياه على صورة نفسه . وان معنى قوله ايضاً انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر انما اراد به عيسى . وزعم ان في الدواب والطيور والحشرات حتى البق والبعوض والذباب انبياء لقوله في القرآن وما من امة الا خلا فيها نذير . وقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا ام امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ولقول صاحب الشريعة الاسلامية لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها . وذهب مع ذلك الى القول بالتناسخ وزعم ان الله ابتداءً الخلق في الجنة وانما خرج من منها بالنعصية . وطعن في صاحب الشريعة الاسلامية من اجل تعدد نكاحه وقال ابا ذر الغفاري انك وازهد منه . وزعم ان كل من نال خيراً في الدنيا انما هو بعمل كان منه ومن ناله مرض او آفة فبذلك كان منه . وزعم ان روح الله تناسخت في الائمة

الثاني عشر الحارثية . اتباع قوم من معتزلة عسكر مكرم . ومن مذهبهم ان المسوخ انسان كافر معتقد الكفر وان النظر اوجب المعرفة وهو لا فاعل له

وكذلك الجماع اوجب الوالد فشك في خلق الوالد . وان الانسان يخلق انواعاً من الحيوانات بطريق التعفين . وزعموا انه يجوز ان يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة

الثالث عشر المعمرية . اتباع ماهر بن عباد السلمي وهو اعظم القدرية غلوً وبالغ في رفع الصفات والقدرة بالجملة وانفرد بمسائل منها ان الانسان يدبر الجسد وليس بحال فيه . والانسان عنده ليس بطويل ولا بعريض ولا ذي لون وثأيف وحركة ولا حال ولا تمكن . وان الانسان شيء غير هذا الجسد وهو حي عالم قادر مختار . وليس هو يتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا يرى ولا يلمس ولا يحل موضعاً ولا يحويه مكان . فوصف الانسان بوصف الالهية عنده فان مدبر العالم موصوف عنده كذلك وزعم ان الانسان منعم في الحياة وموزر في النار وليس هو في الجنة ولا في النار حالاً ولا متمكناً . وقال ان الله لم يخلق غير الاجسام والاعراض تابعة لها متولدة منها وان الاعراض لا تنهاى في كل نوع . وان الارادة من الله للشيء غير الله وغير خلقه وان الله ليس بقديم لان ذلك اخذ من قدم يقدم فهو قديم

الرابع عشر الثمانية . اتباع ثمانية بن اشرس النيري الذي جمع بين التناقض وقال العلوم كلها ضرورية فكل من لم يضطر الى معرفة الله فليس بمأمور بها وهو كالبهايم ونحوها . وزعم ان اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون يوم القيامة تراباً كالبهايم لاثواب لهم ولا عقاب عليهم البتة لانهم غير مأمورين اذ هم غير مضطرين الى معرفة الله تعالى . وزعم ان الافعال كلها متولدة لا فاعل لها وان الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وان العقل هو الذي يحسن ويقبح فتجب معرفة الله قبل ورود الشرع . وان لا فعل للانسان الا الارادة وما عداها فهو حدث الخامس عشر الجاحظية . اتباع ابي عثمان عمرو بن بجر الجاحظ وله مسائل تميز بها عن اصحابه منها ان المعارف كلها ضرورية وليس شيء من ذلك من افعال العباد وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد

لا يخلدون في النار بل يعبرون من طبيعتها. وإن الله لا يدخل أحدًا النار وإنما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها. وإن القرآن المنزل من قبيل الاجساد ويمكن ان يصير مرة رجالاً ومرة حيواناتاً. وإن الله لا يريد المعاصي وأنه لا يرى . وإن الله يريد بمعنى انه لا يغلط ولا يصح في حقه السهو فقط وأنه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام

السادس عشر الخطاطية . اصحاب ابي الحسين بن ابي عمرو الخطاط من معتزلة بغداد زعم ان المعدوم شيء وأنه في العدم جسم ان كان حدوثه جسمًا وعرض ان كان في حدوثه عرضًا

السابع عشر الكعبية . اتباع ابي القاسم عبد الله بن احمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي من معتزلة بغداد ايضا انفرد باشيء منها ان ارادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مدبر لذاته ولا ارادته حادثة في محل وإنما يرجع ذلك الى العلم فقط والسمع والبصر يرجع الى ذلك ايضا وانكر الرؤية وقال اذا قلنا انه يرى المراتب فانما يرجع ذلك الى علمه بها وتمييزها قبل ان توجد

الثامن عشر الجبائية . اتباع ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة تفرد بمقالات منها ان الله تعالى يسمى مطيعاً للعبد اذا فعل ما اراد العبد منه وإن الله محبل للنساء بخلق الولد فيهن . وإن كلام الله عرض يوجد في امكنة كثيرة وفي مكان بعد مكان من غير ان يعدم من مكانه الاول ثم يحدث في الثاني . وكان يقف في فضل علي على ابي بكر وفضل ابي بكر على علي ومع ذلك يقول ان ابا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول ان علياً خير من عمر وعثمان

التاسع عشر البهشية . اتباع ابي هاشم عبد السلام بن ابي علي الجبائي انفرد في مقالاته التي منها القول باستحقاق الذم من غير ذنب وزعم ان القادر منا يجوز ان يخلو عن الفعل والترك. وإن القادر المأمور المنهي اذا لم يفعل فعلاً ولا ترك يكون عاصياً مستحق العقاب والذم لا على الفعل لانه لم يفعل ما أمر به . وإن الله يعذب الكافرين والعصاة لا على فعل مكسب ولا على محدث منه

وقال التوبة لا تصح من قبيح مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه او يعتقده قبيحاً وان كان حسناً . وان التوبة لا تصح مع الاصرار على منع حسنة واجبة عليه . وان توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح . وزعم ان الطهارة غير واجبة وانما امر العبد بالصلاة في حال كونه متطهراً . وان الطهارة تجزئ بالماء المغصوب ولا تجزئ الصلاة في الارض المغصوبة . وزعم ان الزنج والترك والهنود قادرون على ان يأتوا بمثل هذا القرآن . وقال ابو علي وابنه ابو هاشم الايمان هو الطاعات المفروضة

الفرع العشرون الشيطانية . اتباع محمد بن نعمان المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كلاً من المعتزلة والروافض وقلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي الا قليلاً منهم انفرد بقوله ان الله لا يعلم الشيء الا ما قدره واراده واما قبل تقديره فيستحيل ان يعلمه ولو كان عالماً بافعال عبادِه لاستحال ان يمتحنهم ويختبرهم

والمعتزلة اسام منها الثنوية سمو بذلك لقولهم الخير من الله والشر من العبد ومنهم الكيسانية والناكتية والاحدية والوهمية والبترية والواسطية والواردية سمو بذلك لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وانما يردون عليها ومن ادخل النار لا يخرج منها قط . ومنهم الحرقية لقولهم الكفار لا تحرق الا مرة . والمفنية القائلون بفناء الجنة والنار . والواقفية القائلون بالوقف في خلق القرآن . ومنهم اللفظية القائلون الفاظ القرآن غير مخلوقة . ومنهم الملتزمة القائلون الله بكل مكان . ومنهم القبرية القائلون بانكار عذاب القبر

الفرقة الثانية المشبهة وهم يغالون في اثبات صفات الله تعالى ضد المعتزلة

وهم سبعة فروع

الاول الهشامية . اتباع هشام بن الحكم ويقال لهم ايضاً الحكمية ومن قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألاً من جوانبه ويرمون مقاتل بن سليمان بانه قال هو لحم ودم على صورة الانسان وهو طويل عريض عميق وان طوله

مثل عرضه وعرضه مثل عمقه وهو ذولون وطعم ورائحة وهو سبعة اشبار بشبر
نفسه ولم يصح هذا القول عن مقاتل

الثاني الجولقية . اتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة ايضا ومن قوله
ان الله تعالى على صورة الانسان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وله
شعر اسود وليس بلحم ودم بل هو نور ساطع وله خمس حواس كحواس الانسان
ويد ورجل وفم وعين واذن وشعر اسود لا الفرج واللحية

الثالث البيانية . اتباع ييان بن سيمان القائل هو على صورة الانسان وبهلك
الآ وجهه لظاهر الآبة كل شيء هالك الا وجهه

الرابع المغيرة . اتباع مغيرة بن سعيد العبلي وهو ايضا من الروافض ومن
اقواله ان اعضاء المعبود على صورة حروف الهجاء فالالف على صورة قدميه .
وزعم انه رجل من نور على راسه تاج من نور . وزعم ان الله كتب باصبعه اعمال
العباد من طاعة ومعصية ونظر فيها وغضب من معاصيهم فغرق فاجتمع من
غرقه بجران عذب ومالح وزعم انه بكل مكان لا يخلو عنه مكان

الخامس المنهالية . اصحاب منهال بن ميمون . والسادس الزرارية . اتباع
زرارة بن اعين . والسابع البونسية . اتباع يونس بن عبد الرحمن القي وكلام من
الروافض وسياتي ذكرهم . ومنهم ايضا السايبة والشاكية والعمالية والمستثنية
والبدعية والعشرية والاثرية . ومنهم الكرامية اتباع محمد بن كرام السجستاني وهم
طوائف الهيمية والاسحاقية والجندية وغير ذلك الا انهم يعدون فرقة واحدة
لان بعضهم لا يكفر بعضا وكلام مجسمة الا ان فيهم من قال هو قائم بنفسه . ومنهم
من قال هو اجزاء مؤتلفة وله جهات ونهايات . ومن قول الكرامية ان الايمان
هو قول مفرد وهو قول لا اله الا الله وسواء اعتقد اولا . وزعموا ان الله جسم وله
حد ونهاية من جهة السفلى وتجاوز عليه ملاقات الاجسام التي تحته وانه على العرش
والعرش محاسله . وانه محل الحوادث من القول والارادة والادراكات والمرئيات
والمسموعات . وان الله لو علم احدا من عباده لا يؤمن به لكان خلفه اياهم عبثا .

وأنه يجوز أن يعزل نبياً من الأنبياء والرسل . ويجوز على الأنبياء كل ذنب لا يوجب حداً ولا يسقط عمالة . وأنه يجب على الله تواتر الرسل . ويجوز أن يكون إمامان في وقت واحد . وإن علياً ومعاوية كانا إمامين إلا أن علياً كان على السنة ومعاوية على خلافها . وانفرد بن كرام في الفقه بأشياء منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان وإجاز الصلاة في ثوبٍ مستغرق في النجاسة . وزعم أن الصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الإسلام وإن النية تجب في النوافل . وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالاكل والشرب والجماع عداً ثم البناء عليها . وزعم بعض الكرامية أن الله علمين أحدهما يعلم به جميع المعلومات والآخر يعلم به العلم الأول

الثالثة القدريّة الغلاة في إثبات القدرة للعبد في إثبات الخلق والإيجاد وأنه لا يحتاج في ذلك إلى معاونة من جهة الله تعالى
الفرقة الرابعة المجبرة الغلاة في نفي استطاعة العبد قبل الفعل وبعده ومعه ونفي الاختيار له ونفي الكسب وهاتان الفرقتان متضادتان ثم افتقرت المجبرة على ثلاث فرق

الجهمية . اتباع جهم بن صفوان الترمذي الذي قتل في آخر دولة بني أمية وهو بنى الصفات الإلهية كلها ويقول لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه . وإن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالقدرة ولا الاستطاعة وإن الجنة والنار يفتيان وتنقطع حركات أهلها . وإن من عرف الله ولم ينطق بالآيمان لم يكفر لأن العلم لا يزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك وقد كفره المعتزلة في نفي الاستطاعة وكفره أهل السنة بنى الصفات وخلق القرآن ونفي الروية . وانفرد بجواز الخروج على السلطان الجائر . وزعم أن علم الله حادث لا بصفة يوصف بها غيره

والبكرية . اتباع بكر ابن اخت عبد الواحد وهو يوافق النظام الذي مر ذكره في أن الإنسان هو الروح . وبزعم أن البارئ تعالى يرى في القيامة في

صورة يخلفها ويكلم الناس منها . وان صاحب الكبيرة منافق في الدرك الاسفل من النار وحاله أسوأ من حال الكافر . وحرّم أكل الثوم والبصل . ووجب الوضوء من قرقرة البطن

والضرارية . اتباع ضرار بن عمرو انفرد بأشياء منها ان الله تعالى يرى في القيامة بجاسة زائدة سادسة . وانكر قراءة ابن مسعود . وشك في دين عامة المسلمين وقال لعلمهم كفار . وزعم ان الجسم اعراض مجتمعة كما قالت النجارية . ومن جملة المجبرة البطيحية اتباع اسماعيل البطيحي والصباحية اتباع ابي صباح بن مهران والفكرية والخوفية

الفرقة الخامسة المرجئة الارزاء اما مشتق من الرجاء لان المرجئة يرجون لاصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى فيقولون لا يضرّ مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة . او يكون مشتقاً من الارزاء وهو التأخير لانهم اخروا حكم اصحاب الكبائر الى الآخرة وحقيقة المرجئة انهم الغلاة في اثبات الوعد والرجاء ونفي الوعيد والخوف عن المؤمنين وهم ثلاثة اصناف . صنف جمعوا بين الرجاء والتدروهم غيلاً وان ابو شهر من بني ضيفة . وصنف جمعوا بين الارزاء والجبر مثل جهم بن صفوان . وصنف قال بالارزاء المحض وهم اربع فرق اليونسية . اتباع يونس بن عمرو وهو غير يونس بن عبد الرحمن القتي الرافضي زعم ان الايمان معرفة الله والخضوع له والمحبة والاقربان بانة واحد ليس كما هو شيء

والغسانية . اتباع غسان بن ابان الكوفي المنكر نبوة عيسى ومذهبه في الايمان كذهب يونس الا انه يقول كل خصلة من خصال الايمان نسي بعض الايمان ويونس يقول كل خصلة ليست بايمان ولا بعض ايمان . وزعم غسان ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعند ابي ضيفة الايمان معرفة بالقلب وقرار باللسان فلا يزيد ولا ينقص كقرص الشمس

والثوبانية . اتباع ثوبان المري ثم الخارجي المعتزلي ويقولون انه جامع

النقائص هاجر الخصائص ومن قوله الايمان هو المعرفة والاقرار والايمان فعل ما يجب في العقل فعلة فاجب الايمان بالعقل قبل ورود الشرع وفارق الغسانية واليونسية في ذلك

والتؤمنية . اتباع ابي معاذ التومني الفيلسوف زعم ان من ترك فريضة لا يقال له فاسق على الاطلاق ولكن ترك الفريضة فسق . وزعم ان هذه الخصال التي تكون جملتها ايمانا فواحدة ليست بايمان ولا بعض ايمان . وان من قتل نبيا كفر لا لاجل القتل بل لاستخفافه به وبغضه له

ومن فرق المرجئة المرسية اتباع بشر بن غياث المريسي قال بنفي الصفات وخلق القرآن فاكفرته الصفاتية بذلك . وزعم ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا استطاعة مع الفعل فاكفرته المعتزلة بذلك . وزعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وهو مذهب ابن الربودي . ولما ناظره الشافعي في مسألة خلق القرآن ونفي الصفات قال له نصفك كافر لقولك بخلق القرآن ونفي الصفات ونصفك مؤمن لقولك بالقضاء والقدر وخلق اكتساب العباد . وبشر هذا معدود من المعتزلة لنفي الصفات وقوله بخلق القرآن

ومن فرق المرجئة الصاحبة اتباع صالح بن عمرو بن صالح . والحجدرية اتباع حماد بن محمد التميمي . والزبادية اتباع محمد بن زياد الكوفي . والشيبية اتباع محمد بن شبيب . والناقضية . والبهشية . ومن المرجئة جماعة من الائمة كسعيد بن جبير . وطلق بن حبيب . وعمرو بن مرة . ومخارب بن دثار . وعمرو بن ذر . وحامد بن سليمان . وابي مقاتل . وخالفوا القدرية والخوارج والمرجئة في انهم لم يكفروا بالكبائر ولا حكموا بتخليد مرتكبها في النار . ولا سبوا احدا من الصحابة ولا وقعوا فيهم

الفرقة السادسة الحرورية الغلاة في اثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد في النار مع وجود الايمان وهم قوم من النواصب الخوارج وهم مضادون المرجئة في النفي والاثبات والوعد والوعيد . ومن مفرداتهم ان من ارتكب كبيرا

فهمو مشرك ومذهب عامة الخوارج انه كافر وليس بمشرك وقال بعضهم هو منافق في الدرك الاسفل من النار. فعند الحرورية ان الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمناً بل كافراً مشركاً والحكم فيه انه يجلد في النار واتفقوا على ان الايمان هو اجتناب كل معصية وقيل لم الحرورية لانهم خرجوا الى حروراء لقتال علي بن ابي طالب

الفرقة السابعة النجارية اتباع الحسن بن محمد بن عبد الله النجار كان حائكاً وقيل انه كان يعمل الموازين وهم يوافقون اهل السنة في مسألة القضاء والندب واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد وامامة ابي بكر ويوافقون المعتزلة في نفي الصفات وخلق القرآن وفي الرواية وهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة

الفرقة الثامنة الجهمية اتباع جهم بن صفوان وهم يوافقون اهل السنة في مسألة القضاء والندب مع ميل الى الجبر. وينفون الصفات والرواية ويقولون بخلق القرآن وهم فرقة عظيمة وعنادهم في المعطلة الجبرية

الفرقة التاسعة الرافضة الغلاة في حب علي بن ابي طالب وبفض ابي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وآخرين من الصحابة قيل ان سبب تسميتهم بالرافضة هو رفضهم زيداً ابن الامام علي بعد ان كانوا بايعوه عقب وفاة ابيه لكونهم لم يوافقهم على التبرؤ من الشيعين وكان لما اختلف الناس في الامام بعد صاحب الشريعة الاسلامية وذهب الجمهور الى انه ابو بكر وقال العباسية والربوبية هو العباس بن عبد المطلب لانه العمر والوارث فهو احق من ابن العم. وقال العثمانية وبنو امية هو عثمان بن عفان. وذهب آخرون الى غير ذلك. وقال الرافضة هو علي بن ابي طالب ثم اختلفوا في الامامة اختلفوا كثيراً حتى بلغت فرقهم ثلثمائة فرقة والمشهور منها عشرون فرقة علا عن الزيدية والصباحية الذين اقرروا امامة ابي بكر ورأوا انه لانص في امامة علي واختلفوا في امامة عثمان فانكرها بعضهم واقر بعضهم انه الامام بعد عمر بن الخطاب لكن قالوا

ان علياً افضل من اي بكر وامامة المفضول جائزة

اما الغلاة فقالوا هو علي بالنص ثم الحسن وبعده الحسين وصار بعد الحسين الامر شورى وقال بعضهم لم يرد النص الا بامامة علي فقط وقال آخرون نص علي علي بالوصف لا بالعين والاسم . وقال بعضهم قد جاء النص على امامة اثني عشر آخرهم المهدي المنتظر وفرقهم العشرون في

الامامة . وهم مختلفون في الامامة بعد صاحب الشريعة الاسلامية فزعم اكثرهم ان الامامة في علي بن ابي طالب واولاده بالنص . وان الصحابة كلهم ارتدوا الا علياً وابنيه الحسن والحسين واباذر الغفاري وسلمان الفارسي وطائفة يسيرة . وذهب الفطعية منهم الى ان الامامة في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي بن الحسين ثم في محمد بن علي ثم في جعفر بن محمد ثم في موسى بن جعفر ثم في علي بن موسى وقطعوا الامامة فلذلك سمو بالفطعية . وقالت الناورسية جعفر بن محمد لم يميت وهو حي ينتظر . وقالت المباركية اتباع مبارك الامام بعد جعفر بن محمد ابنة اسماعيل بن جعفر ثم محمد بن اسماعيل . وقالت الشيعية اتباع يحيى بن شبيب الاحمسي الامامة بعد جعفر في ابنه محمد واولاده . وقالت المهرية اتباع معمر الامامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر واولاده ويقال لهم الفطحية لان عبد الله بن جعفر كان افطح الرجلين . وقالت الواقفية الامام بعد جعفر ابنة موسى بن جعفر وهو حي لم يميت وهو الامام المنتظر وسموا الواقفية لوقوفهم على امامة موسى . وقالت الزرارية اتباع زرارة بن اعين الامام بعد جعفر ابنة عبد الله الا انه سأل عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها فادعى امامة موسى بن جعفر من بعد ابيه . وقالت المفضلية اتباع الفضل بن عمرو الامام بعد جعفر ابنة موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى . وقالت المفوضة من الامامية ان الله تعالى خلق محمداً وفوض اليه خاق العالم وتدييره وقال بعضهم بل فوض ذلك الى علي بن ابي طالب

الفرقة الثانية الكيسانية . اتباع كيسان مولى علي بن ابي طالب وقبل غير

ذلك زعموا ان الامام بعد علي ابنه محمد بن الحنفية ثم اختلفوا في الامام بعده
 فقال بعضهم رجع الامر بعده الى اولاد الحسن والحسين وقيل بل ان انتقل الى
 ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وقالت الكريية اتباع ابي كرب بن ابن
 الحنفية حي لم يموت وهو الامام المنتظرون قول الكيسانية ان البدء جائز على الله
 الفرقة الثالثة الخطائية . اتباع ابي الخطاب محمد بن ابي ثور ومذهبه الغلوفي
 جعفر بن محمد الصادق وهو ايضا من المشبهة واتباعه خمسون فرقة وكلهم متفقون
 على ان الائمة مثل علي واولاده كلهم انبياء وانه لا بد من رسولين لكل امة احدهما
 ناطق والآخر صامت فكان محمد ناطقا وعلي صامتا وان جعفر بن محمد الصادق
 كان نبيا ثم انتقلت النبوة الى ابي الخطاب الاجدع وجوزوا كلهم شهادة الزور
 لما افقهم وزعموا انهم عالمون بما هو كائن الى يوم القيامة . وقالت العمرية منهم
 الامام بعد ابي الخطاب رجل اسمه معمر وزعموا ان الدنيا لا تنفي وان الجنة هي ما
 يصيبه الانسان من خير الدنيا والنار ضد ذلك وياحوا شرب الخمر والزنى
 وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلوة وقالوا بالتناسخ . وان الناس لا يموتون وانما
 ترفع احوالهم الى غيرهم . وقالت البريفية منهم ان جعفر بن محمد اله وليس هو
 الذي يراه الناس وانما تشبه على الناس . وزعموا ان كل مؤمن يوحى اليه وان
 منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد وزعموا انهم يرون امواتهم بكرة
 وعشيا . وقالت العمرية منهم اتباع عمير بن بيان العجلي مثل ذلك كله وخالفهم
 في ان الناس لا يموتون . واقتربت الخطائية بعد قتل ابي الخطاب فرقا منها
 فرقة زعمت ان الامام بعد ابي الخطاب عمير بن بيان العجلي ومقاتلهم كفالة
 البريفية الا ان هولاء اعترفوا بموتهم ونصبوا خيمة على كناسة الكوفة يجتمعون فيها
 على عبادة جعفر الصادق . ومن فرقهم المفضلية اتباع مفضل الصبر في زعم ان
 جعفر بن محمد اله وزعمت الخطائية باجمعها ان جعفر بن محمد الصادق اودعهم
 جانا يقال له جفر فيه كل ما يحتاجون اليه من علم الغيب وتفسير القرآن وزعموا
 ان الآية في القرآن ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة معناه عائشة ام المؤمنين وان

الجمر والميسر ابوبكر وعمر وان الجبت والطاغوت معاوية بن ابي سفيان وعمر و
ابن العاص

الفرقة الرابعة الزيدية . اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
القائلون بامامته وامامة من اجتمع فيه ست خصال العلم والزهد والشجاعة وان
يكون من اولاد فاطمة الزهراء حسنياً او حسينياً ومنهم من زاد صباحة الوجه
وان لا يكون فيه افة . وهم يوافقون المعتزلة في اصولهم كلها الا في مسألة الامامة
وهم اربع فرق الجارودية اتباع ابي الجارود ويكنى ابا النجم زياد بن المنذر العبدي
زعم ان صاحب الشريعة الاسلامية نص على امامة علي بالوصف لا بالتسمية
وان الناس كفروا بتركهم مبايعة علي والحسن والحسين واولادها والجبرية
اتباع سليم بن جرير ومن قولهم لم يكفر الناس بتركهم مبايعة علي بل اخطأوا
بترك الافضل وهو علي وكفروا الجارودية بتكفيرهم الصحابة الا انهم كفروا
عثمان بن عفان بالاحداث التي احدثها وقالوا لم ينص علي على امامة احد
وصار الامر من بعده شوري . ومنهم البترية اتباع الحسن بن صالح بن كثير الابتر
وهم يقولون ان علياً افضل واولى بالامامة غير ان ابا بكر كان اماماً ولم تكن
امامته خطأ ولا كفراً بل ترك علي الامامة له واما عثمان فينوقف فيه . ومنهم
البعقوبية اتباع يعقوب وهم يقولون بامامة ابي بكر وعمر ويتبرأون من تبرأ منها
وينكرون رجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة ويتبرأون ممن دان بها الا
انهم متفقون على تفضيل علي على ابي بكر وعمر من غير تفضيلها ولا تكفيرها ولا
لعنهما ولا الطعن على احد من الصحابة

والفرقة الخامسة السبائية . اتباع عبد الله بن سبا الذي قال شفاهاً لعلي
ابن ابي طالب انت الاله وله قصة طويلة في هذا المعنى لا يسعنا ايرادها هنا
والفرقة السادسة الكاملية . اتباع ابي كامل الذي اكفر جميع الصحابة بتركهم
بيعة علي وكفر علياً بتركه فتناهم وقال بتناسخ الانوار الالهية في الامة
الفرقة السابعة البيانية . اتباع بيان بن سمعان زعم ان روح الاله حل في

الانبياء ثم في علي وبعده في محمد بن حنفية ثم في ابي هاشم عبد الله بن محمد ثم حل بعد ابي هاشم المذكور في بيان بن سمعان يعني نفسه

الفرقة الثامنة المغيرية . اتباع مغيرة بن سعيد العجلي مولى خالد بن عبد الله طالب الامامة لنفسه بعد محمد بن عبد الله بن الحسن وقال بالانشيه الفاحش وأدعى النبوة وزعم ان معجزته علامة بالاسم الاعظم وانه يحيي الموتى وزعم ان الله لما اراد ان يخلق العالم كتب باصبعه اعمال عباد فغضب من معاصيهم فغرق فاجتمع من عرقه بحرات احدها ملح والآخر عذب فخلق من البحر العذب الشيعة وخلق من البحر الملح الكفرة . وزعم ان المهدي يخرج وهو محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب

الفرقة التاسعة الهشامية . وهم صنفان احدهما اتباع هشام بن الحكم والثاني اتباع هشام الجولقي وهما يقولان لا تجوز المعصية على الامام وتجاوز على الانبياء وان محمداً عصي ربه في اخذ الفداء من اسرى بدر وهما ايضا من المشبهة

الفرقة العاشرة الزرارية اتباع زرارة بن اعين احد الغلاة في الرفض وبزعم مع ذلك ان الله تعالى لم يكن في الازل عالماً ولا قادراً حتى اكتسب لنفسه جميع ذلك

الحادية عشرة الجناحية . اتباع عبد الله بن معاوية ذي الجناحين بن ابي طالب زعم انه اله وان العلم يثبت في قلبه كما تثبت الكفاة وان روح اله دارت في الانبياء كما كانت في علي واولاده ثم صارت فيهم ومذهبهم استئصال الخمر والميتة ونكاح المحارم وانكروا القيامة وتاولوا الآية ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح في ما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعمالوا الصالحات . وزعموا ان كل ما في القرآن من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير كناية عن قوم يلزم بغضهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وكل ما في القرآن من الفرائض التي امر بها كناية عن من يلزم موالاتهم مثل علي والحسن والحسين واولادهم

الثانية عشرة المنصورية . اتباع ابي منصور العجلي احد الغلاة المشبهة زعم ان

الامامة انتقلت اليه بعد محمد الباقر بن علي زين العابدين الحسين بن علي بن ابي طالب وانه عرج به الى السماء بعد انتقال الامامة اليه وان معبوده مسح يده على راسه وقال له يا بني بلغ عني آية الكسف الساقط من السماء في قوله الآية وان يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سبحان مكرم. وزعم ان اهل الجنة قوم نجس موالانهم مثل علي بن ابي طالب واولاده وان اهل النار قوم نجس معادانهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية

الثالثة عشرة الغرابة . زعموا ان جبريل اخطأ فانه ارسل الى علي بن ابي طالب فجاء الى محمد وجعلوا شعارهم اذا اجتمعوا ان يقولوا العنوا صاحب الريش يعنون بذلك جبريل

الرابعة عشرة الذمية . بفتح الذال المعجمة زعموا ان الله بعث علياً بن ابي طالب نبياً وانه بعث محمداً ليظهر امره فادعى النبوة لنفسه وارضى علياً بان زوجته ابنته وموالة. ومنهم العلوية اتباع علي بن ذراع السدوسي وقيل الاسدي كان يفضل علياً على محمد ويزعم ان علياً بعث محمداً وكان يذم صاحب الشريعة الاسلامية ازعم ان محمداً بعث ليدعو الى علي فدعا الى نفسه ومن العلوية من يقول بالهوية محمد وعلي جميعاً ويقدمون محمداً في الالهية ويقال لهم الميمية ومنهم من قال بالهوية خمسة وهم اصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقالوا خمسم شية واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا ان يقولوا فاطمة بالهاء فقالوا فاطم

والخامسة عشرة اليونسية . اتباع يونس بن عبد الله القي احد الغلاة المشبهة والسادسة عشرة الرزامية . اتباع رزام بن سابق زعم ان الامامة انتقلت بعد علي بن ابي طالب الى ابنه محمد بن الحنفية ثم الى ابنه ابي هاشم ثم علي بن عبد الله ابن عباس بالوصية ثم الى ابنه محمد بن علي فاوصى بها محمد الى ابي العباس عبد الله بن محمد السفاح الظالم المازد في المذاهب الجاهل بمحقوق اهل البيت السابعة عشرة الشيطانية . اتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق وقد شارك

المتزلة والرافضة في جميع مذاهبهم وانفرد بزعمهم ان الله لا يعلم الشيء حتى يقدره
وقبل ذلك يستحيل علمه

الثامنة عشرة البسامة . وهم من الراوندية زعموا ان الامامة بعد صاحب
الشريعة الاسلامية صارت في علي واولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ثم
في ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وانتقلت منه الى علي بن عبد الله بن
عباس بوصيته اليه ثم الى ابي العباس السفاح ثم الى ابي سلمة صاحب دولة بني
العباس . وقام بناحية كش فيما وراء النهر رجل من اهل مروا عور يقال له هاشم
ادعى ان ابا سلمة الهما انتقل اليه روح الله ثم انتقل اليه بعده فانتشرت دعوته
هناك واحتجب عن اصحابه واتخذ له وجهاً من ذهب فعرف بالمصيغ ثم ان
اصحابه طلبوا رؤيته فوعدهم ان يرثهم نفسه ان لم يحترقوا وعمل نجاة مرآة مرآة
محركة تعكس شعاع الشمس فلما دخلوا عليه احترق بعضهم ورجع الباقون وقد
فتنوا واعتقدوا انه اله لا تدركه الابصار ونادوا في حروبهم بالهبة

التاسعة عشرة الجعفرية . والعشرون الصباحية وهم والزيدية أمثل الشيعة
فانهم يقولون بامامة ابي بكر وانه لانص في امامة علي مع انه عندهم افضل وابو
بكر مفضول

وهن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون ان علياً شريك
محمد والتناسخية القائلون ان الارواح تتناسخ واللاعنة والخطئة الذين يزعمون ان
جبريل اخطأ والاسحاقية والخلفية الذين يقولون لا تجوز الصلاة خلف غير
الامام . والرجعية القائلون سب رجع علي بن ابي طالب وينتم من اعدائه والمتربصية
الذين يتربصون بخروج المهدي والامرية والجبية والجلالية والكربية اتباع ابي
كريب الضرب والحزنية اتباع عبد الله بن عمرو الحزني

الفرقة العاشرة الخوارج ويقال لم النواصب والحرورية نسبة الى
حروراء موضع خرج فيه اولم علي علي وهم الغلاة في حب ابي بكر وعمر وبغض
علي بن ابي طالب وينقسمون الى عشرين فرقة

الاولى الحكيمية . وقيل لم ذلك لانهم خرجوا على علي في صفين وقالوا لاحكم
الآ لله ولا حكم للرجال

الثانية الازارقة . اتباع ابي راشد نافع بن الازرق الخارج بالبصرة في ايام
عبد الله بن الزبير وهم على التبرؤ من عثمان وعلي والطعن عليهما وان دار
مخالفهم دار كفر وان من اقام بدار الكفر فهو كافر وان اطفال مخالفهم في
النار ويحلق قتلهم وانكروا رجم الزاني وقالوا من قذف محصنة حد . ومن قذف
محصناً لا يحد . ويقطع السارق في القليل والكثير

الثالثة النجدات . اتباع نجد بن عويمر وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة وكان
راساً ذا مقالة مفردة وتسمى بامير المؤمنين وبعث عطية بن الاسود الى سجستان
فاظهر مذهبه بمرو فعرفت اتباعه بالعطوية ومذهبهم ان الدين امران احدهما
معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين واموالهم والثاني الاقرار بما
جاء من عند الله تعالى جملة وما سوى ذلك من التحريم والتجليل وسائر الشرائع
فان الناس يعذرون بجهلها . وانه لا ياتم المجتهد اذا اخطأ . وان من خالف ان
يعذب المجتهد فقد كفر . واستحلوا دماء اهل الذمة في دار التقية . وقالوا ان من
نظر نظرة محرمة او كذب كذبة او اصر على صغيرة ولم يتب منها فهو كافر . ومن
زنى او سرق او شرب خمرًا من غير ان يصر على ذلك فهو مؤمن غير كافر

والرابعة الصفرية . اتباع زياد بن الاصفر وافقوا الازارقة في جميع
معتقداتهم الا في قتل الاطفال . ويقال لهم ايضاً الزيادة والكار ايضاً من اجل
انهم ينقصون نصف علي وثلاث عثمان وسدس عائشة

الخامسة العجاردة . اتباع عبد الكريم عجرد . والسادسة الميمونية . اتباع ميمون
بن عمران وهم طائفة من العجاردة وافقوا الازارقة الا في شيئين احدهما قولهم تجب
البراءة من الاطفال حتى يبلغوا ويصفوا الاسلام والثاني استئصال اموال المخالفين
لهم فلم تستحل الميمونية مال احد خالفهم ما لم يقتل المالك فاذا قتل صار ماله
فيأ . الا انهم اجازوا نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات اولاد الاخوة

وبنات اولاد الاخوات فقط

السابعة الشعبية . وهم طائفة من العجاردة وافقوا الميمونية الا في الاستطاعة
والمشيئة فان الميمونية مالت الى القدرية

الثامنة الحضرية . اتباع حمزة بن ادرك الشامي الخارج بخراسان في خلافة
هرون الرشيد وكان يقول بالقدر فكفرته الازارقة بذلك وقال اطفال المشركين
في النار فكفرته القدرية بذلك وكان لا يستحل غنائم اعدائهم بل يأمر باحراق
جميع ما يغنيهم منهم

التاسعة الحازمية . وهم فرقة من العجاردة قالوا في القدر والمشيئة كقول اهل
السنة وخالفوا الخوارج في الولاية والعلو فقالوا لم يزل الله تعالى محباً لاوليائه
ومبغضاً لاعدائهم

العاشرة المعلومية مع الجهولية . تباينوا في مسائلين احدها قالت المعلومية من
لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه فهو كافر . وقالت الجهولية لا يكون كافراً
والثانية وافقت المعلومية اهل السنة في مسألة القدر والمشيئة والجهولية وافقت
القدرية في ذلك

الحادية عشرة الصلتية . اتباع عثمان بن ابي الصلت وهم طائفة من العجاردة
انفردوا بقولهم من اسلم توليناه لكن تنبراً من اطفاله لانه ليس للاطفال اسلام
حتى يبلغوا

الثانية عشرة الاحسنية . والثالثة عشرة المعبدية . وهما فرقتان من الثعالبة اتباع
ثعلبة بن عامر وكان ثعلبة هداماً مع عبد الكريم بن عجرد ثم اختلفا في الاطفال
فقال عبد الكريم تنبراً منهم قبل البلوغ وقال ثعلبة لا تنبراً منهم بل نقول
نتولى الصغار فلم تزل الثعالبة على هذا الى ان خرج رجل عرف بالاخنس فقال
توقف عن جميع من في دار النقية الا من عرفنا منه ايماناً فاننا نتولاه ومن عرفنا
منه كفراً تنبراً منه ولا يجوز ان نبدأ احداً بقتال فتبرأت منه الثعالبة وسبوه
بالاخنس لانه خنس منهم اي رجع عنهم ثم خرجت فرقة من الثعالبة قيل لها

المعبدية اتباع معبد فخالفت الثعالبة في اخذ الزكاة من العبيد والبهائم وكفرت كل فرقة منها الاخرى

الرابعة عشرة الشيبانية. اتباع شيبان بن سلمة الخارج في ايام ابي مسلم الخراساني القائم بدعوة الخلفاء العباسيين وكان معه فتبرأت منه الثعالبة لمعاوته لابي مسلم وهو اول من اظهر القول بالانشيه

الخامسة عشرة الشيبية. اتباع شيب بن يزيد بن ابي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف وهم على ما كانت عليه الحكمة الاولى الا انهم انفردوا عن الخوارج بمجاز امامة المرأة وخلافتها واستخلف شيب هذا امه غزالة فدخلت الكوفة وقامت خطيبة وصلت الصبح بالمسجد الجامع

السادسة عشرة الرشيدية. اتباع رشيد ويقال لهم ايضا العشرية من اجل انهم كانوا ياخذون نصف العشر مما سقت الانهار فقال لهم زياد بن عبد الرحمن يجب فيه العشر فتبرأت كل فرقة من الاخرى وكفرتها بذلك

السابعة عشرة المكرمية. اتباع ابي المكرم ومن قوله تارك الصلاة كافر وليس كفره ترك الصلاة لكن لجهله بالله وكذا قوله في سائر الكبائر

الثامنة عشرة الحفصية. اتباع حفص بن المقدام تفرد بقوله من عرف الله تعالى وكفر بهن سواء من رسول وغيره فهو كافر وليس بمشرك فانكر ذلك الاباضية وقالوا بل هو مشرك

التاسعة عشرة الاباضية. اتباع عبد الله بن اباض خرج في ايام مروان وكان من غلاة الحكمة

الفرقة العشرون الزيدية. اتباع يزيد بن ابي انيسة وكان اباضياً فانفرد ببدعة وهي ان الله تعالى سيعث رسولا من العجم ويتزل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ شريعة محمد

ومن فرق الخوارج ايضا الحارثية والاصومية اتباع يحيى بن اصوم والبيهسية

اتباع ابي البهيمس الهيصم بن خالد واليعقوبية اتباع يعقوب بن علي الكوفي ومن
فرقهم الفضالية اتباع الفضل بن عبد الله . والشراخية اتباع عبد الله بن شراخ .
والضحاكية اتباع الضحاك . ونسي الخوارج بالشرارة ايضاً لاسباب يطول شرحها
منها شدة غضبهم على اهل السنة اذ في اللغة شرى الرجل اذا استطار غضباً

—o—

فصل

في ما يتعلق باهل السنة

هذا ما كانت عليه الاحوال بعد عصر الصحابة الى ان ظهر ابو الحسن
الاشعري الذي اشهر مذهباً في بداية القرن الرابع للهجرة كما ذكرنا في ما مرّ
وحقيقة مذهبوه انه سلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين
الاثبات الذي هو مذهب اهل التجسيم وجملة عقيدته ان الله تعالى عالم بعلم قادر
بقدره حي بجيئة مريد بارادة متكلم بكلام سميع يسع بصير يبصر وان صفاته
ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال هي هو ولا هي غيره ولا لاهي هو ولا غيره . وعلمه
واحد يتعلق بجميع المعلومات . وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده
وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص . وكلامه واحد هو امر وهي
وخبير واستخبار ووعد ووعد وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى
نفس الكلام والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام
الازلي فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم ازلي والدلالة هي العبارات وهي
القراءة مخلوقة محدثة . قال وفرق بين القراءة والمقروء والتملوق كما فرق
بين الذكر والمذكور . قال والكلام معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على ما في
النفس وانما تسمى العبارة كلاماً مجازاً . قال واراد الله تعالى جميع الكائنات خبيرها
وشرها ونفعها وضرها ومال في كلامه الى جواز تكليف ما لا يطاق لقوله ان

الاستطاعة مع الفعل وهو مكلف بالفعل قبله وهو غير مستطيع قبله على مذهبه
قال وجميع العباد مخلوقة مبدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد . والكسب عبارة
عن الفعل القائم بعمل قدرة العبد قال والخالق هو الله تعالى حقيقة لا يشاركه
في الخلق غيره فإخص وصفه هو القدرة والاختراع وهذا تفسير اسم الباري قال
وكل موجود يصح أن يرى والله تعالى موجود فيصح أن يرى وقد صح السمع بان
المؤمنين يرونه في النار الاخرى في الكتاب والسنة ولا يجوز أن يرى في مكان ولا
صورة مقابلة واتصال شعاع فان ذلك كله محال وماهية الروية له فيها رايا
احدها انه علم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم والثاني انه ادراك وراء العلم .
وانتبت السمع والبصر صفتين ازليتين هما ادراكا كان وراء العلم . وانبت اليدين
والوجه صفات خبرية ورد السمع بها فيجب الاعتراف به . وخالف المعتزلة في
الوعد والوعيد والسمع والعقل من كل وجه . وقال الايمان هو التصديق بالقلب
والقول باللسان والعمل بالاركان فروع الايمان فمن صدق بالقلب اي اقر
بوحانية الله تعالى واعترف بالرسالة تصديقاً لهم في ما جاءوا به فهو مؤمن .
وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة حكمه الى الله اما ان يغفر له
برحمته او يشفع له صاحب الشريعة الاسلامية . واما ان يعذبه بعد له ثم يدخله
الجنة برحمته ولا يخلد في النار مؤمن . قال ولا أقول انه يجب على الله سبحانه قبول
توبته بحكم العقل لانه هو الموجب لا يجب عليه شيء اصلاً بل قد ورد السمع بقبول
توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك لخلقهم يفعل ما يشاء وبحكم ما
يريد فلو ادخل الخالقي باجمعهم النار لم يكن جوراً ولو ادخلهم الجنة لم يكن حيفاً
ولا بصور منه ظلم ولا ينسب اليه جور لانه المالك المطلق . والواجبات كلها سمعية
فلا يوجب العقل شيئاً البتة ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً فعرفه الله تعالى وشكر المنعم
وانابة الطائع وعقاب العاصي كل ذلك بحسب السمع دون العقل ولا يجب على
الله شيء لا صلاح ولا اصلاح ولا لطف بل الثواب والصلاح واللطف والنعم كلها
تفضل من الله تعالى . ولا يرجع اليه تعالى نفع ولا ضرر فلا يتنفع بشكر شاكر ولا

بعضر بكفر كافر بل يتعالى ويتقدس عن ذلك. وبعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل فاذا بعث الله تعالى الرسول وأيده بالمعجزة المخارقة للعادة وتحدى ودعا الناس وجب الاصفاء اليه والاستماع منه والامتناع لاولامره والانتهاه عن نواهيه. وكرامات الاولياء حق. والايان بما جاء في القرآن والسنة من الاخبار عن الامور الغائبة عنا مثل اللوح والقلم والعرش والكرسي. والجنة والنار حتى وصدق وكذلك الاخبار عن الامور التي ستقع في الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه والحشر والمعاد والميزان والصراط وانقسام فريق في الجنة وفريق في السعير كل ذلك حق وصدق يجب الايمان والاعتراف به. والامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتمعين على واحد معين والائمة مترتبون في الفضل ترتيبهم في الامامة. قال ولا اقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطا. واقول ان طلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة. واقول في معاوية وعمرو بن العاص انها بغيا على الامام الحق علي بن ابي طالب فقاتلهم مقاتلة اهل البغي واقول ان اهل النهر وان الشراة هم المارقون عن الدين وان عليا كان على الحق في جميع احواله والحق معه حيث دار قال الامام المقربي فهذه جملة من اصول عقيدته التي عليها الآن جماهير اهل الامصار الاسلامية والتي من جهر بخلافها اريق دمه

وقد انتشر هذا المذهب في العراق من نحو ٢٨٠ سنة للهجرة وانتقل منه الى الشام وعقد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ابوب الكردي وخلصاؤه الخناصر وشدوا البنان على هذه العقيدة وتمادى الحال على ذلك حتى وفي ايام ملوك مصر الاتراك واتفق مع ذلك توجه عبد الله محمد بن تومرت احد رجالات المغرب الى العراق واخذ عن ابي حامد الغزالي مذهب الاشعري ثم عاد الى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفتيهم ويعلمهم ووضع لهم عقيدة لفتها عنه عامتهم ثم مات فخلقه عبد المؤمن بن علي القيسي وتلقب بامير المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو واولاده من بعده مدة سنين وتسموا بالموحدين فلذلك صارت

دولة الموحدين ببلاد المغرب تستيج دماء من خالف عقيدة ابن تومرت اذ هو
عندهم الامام المعلوم المهدي المعصوم وارقوا بسبب ذلك دماء كثيرة
فهلما هو السبب في انتشار مذهب الاشعري في امصار الاسلام بحيث نسي
غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه الا ان يكون مذهب
الحنابلة اتباع الامام محمد بن حنبل فانهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون
تأويل ما ورد من الصفات الى ان كان بعد القرن السابع من الهجرة اشتهر
بدمشق واعمالها نقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحكيم بن عبد السلام بن
تيمية الحراني فتصدى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الرد على الاشاعرة
وصدع بالنيكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية فافترق الناس فيه فريقين
فريق يقتدي به ويعول على اقواله ويعمل برأيه ويرى انه شيخ الاسلام وفريق
يدعه ويضله ويرى عليه باثبات الصفات ويتخذ عليه في مسائل غيرها
وكذلك كان بين الاشاعرة والماتريديّة اتباع ابي منصور محمد بن محمد بن
محمود الماتريدي وهم طائفة الفقهاء والحنفية مقلدو الامام ابي حنيفة النعمان من
الخلاف في العقائد ما يبلغ نحو بضع عشرة مسألة تسبب عنها في اول الامر
تباين وتنافر وقدح كل منهم في عقيدة الآخر الا ان الامر آل اخيراً الى الانقسام
وكانت الاشاعرة يُسمون الصفاتية لاثباتهم صفات الله تعالى القدّيسة ثم
افترقوا في الالفاظ الواردة في الكتاب والسنة كالاستواء والنزول والاصبع
واليد والقدم والصورة والجنب والحي على فرقتين فرقة تؤول جميع ذلك على
وجوه محتملة اللفظ وفرقة لم يتعرضوا للتأويل ولا صاروا الى التشبيه ويقال لهؤلاء
الاشعرية الاسرية فصار للمسلمين في ذلك خمسة اقوال احدها اعتقاد ما يفهم
مثله من اللغة . وثانيها السكوت عنها مطلقاً . وثالثها السكوت عنها بعد نفي ارادة
الظاهر . ورابعها حملها على المجاز . وخامسها حملها على الاشتراك ولكل فريق ادلة
وحجاج تضمنتها كتب اصول الدين عندهم ولا يزالون مختلفين فيها
ولما كان الاختلاف الكائن بين اهل السنة هو في الفتناء ونبد يسيرة في

الاعتقادات فقد ذهبوا في ذلك الى اربعة مذاهب . مالكية وحنفية وشافعية وحنابلة وجميعهم يبنون ما ذهبوا اليه على القرآن واحاديث صاحب الشريعة الاسلامية

وهناك حكاية اوردها ابن خلكان في ترجمة ابي القاسم محمود بن ناصر الدولة ابي منصور سبكتكين الملقب اولاً سيف الدولة منها يمكن ان نعرف درجة الفرق والاختلاف بين الامة المذكورين في الاجتهاد وملخصها ان هذا السلطان كان يستفسر الاحاديث فوجد اكثرها موافقاً لمذهب الشافعي فجمع الفقهاء من الحنفية والشافعية والنس منهم الكلام في ترجيح احد المذاهب على الآخر فوقع الاتفاق على ان يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب الامام الشافعي وعلى مذهب ابي حنيفة لينظر فيه السلطان ويختار ما هو احسنها فصلى الفقال المروزي وكان شافعيًا بطهارة مسبغة وشرايط معتبرة من الطهارة والسنة واستقبال القبلة واتى بالاركان والهيئات والسنن والآداب والفرائض على وجوه الكمال والتمام وقال هذه صلاة لا يجوز الامام الشافعي دونها ثم صلى ركعتين على ما يجوز ابو حنيفة فلبس جلد كلب مذبوحاً ثم ألغى ربعة بالنجاسة ونوضاً ببئذ التمر وكان في صميم الصيف في المفاز واجتماع الذباب والبعوض وكان وضوءه منكساً منعكساً ثم استقبل القبلة واحرم بالصلاة من غير نية في الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ آية بالفارسية ثم نقر نقرتين كقترات الديك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد وضرط في آخره من غير نية السلام وقال ايها السلطان هذه صلاة ابي حنيفة فقال السلطان لولم تكن صلاة ابي حنيفة لقتلتك فانكرت الحنفية ان تكون هذه صلاة ابي حنيفة فامر الفقال باحضار كتب ابي حنيفة وامر السلطان كاتباً نصرانياً ان يقرأ المذهبين جميعاً فوجدت الصلاة على مذهب ابي حنيفة على ما حكاها الفقال

ويستبين من بعض المؤلفات انه ظهر اخيراً في بلاد العرب مذاهب جديدة مضادة لاهل السنة منها مذهب الزيدية في بلاد اليمن قال رفاعة بك

الططاوي ان هذا المذهب يجب ترك الفروع ولا يوجب الاصل المشروع .
ومذهب آخر في اليمن ايضا ينتهي الى رجل يقال له الشيخ المكري . ومذهب
الوهابية في بلاد نجد والدرعية . ومذهب غيره في بلاد عمان يقول بعدم
خصائص الاشراف ويشنع على قريش مع غاية الاسراف

الخاتمة

في ما وصل اليها من اخبار القرامطة والنصيرية والدروز وهم من
غلاة الشيعة الذين لا تخصيهم اهل السنة مع عناد المذاهب الاسلامية
ولكنهم اهل ردة وشرك ولذلك لم يذكر عنهم شي في الطوائف التي
يعتقدون هلاكها من الفرق الخمسة التي سبقت الاشارة اليها في الكلام
على الفرق الاسلامية وينقسم الكلام هنا الى مقدمة وثلاثة فصول

المقدمة

في ظهور ميمون القداح من غلاة الشيعة وترتيب مذهبه

يحكى انه كان شخص بالعراق يعرف بميمون القداح من ولد ريسان النوي
الذي ينسب اليه النوبة ولقب بالقداح لكونه كان كمالاً يقدح العين وكان من
غلاة الشيعة فولد ابناً يعرف بهيد الله بن ميمون اتسع علمه وكثرت معارفه وكاد
ان يطلع على جميع مقالات الخليفة فرنسب له مذهباً وجعله في تسع دعوات ودعا
الناس الى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعو الى الامام محمد بن اسماعيل
وظهر من الاهواز ونزل بمسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعائه . وذلك
في او اخر القرن الاول من الهجرة

وصف دعوتيه وترتيبها

الدعوة الاولى . سوال الداعي لمن يدعو الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعاني الامور الشرعية وشيء من الطبيعيات والامور الغامضة فان كان المدعو عارفاً سلم له الداعي ولا تركه يعمل فكره في ما افاء عليه من الاسئلة وقال له يا هذا ان الدين مكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الاية من العلم لم تختلف فينشوق حينئذ المدعو الى معرفة ما عند الداعي من العلم فاذا علم منه الاقبال اخذ في ذكر معاني القراءات وشرائع الدين وتقرير ان الآفة التي انزلت بالامة وشنت الكفة واورثت الائمة المضلة ذهاب الناس عن ائمة نصبوا لهم واقبلوا حافظين لشرائعهم يودونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون باطنها غير ان الناس لما عدلوا عن الاية ونظروا في الامور بعقولهم واتبعوا ما حسن في رايهم وقلدوا سفلتهم واطاعوا سادتهم وكبراهم اتباعاً للملوك وطلباً للدنيا التي في ايدي متبعي الاثم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجهلون في طلب الرئاسة على الضعفاء ومكابدة رسول الله في امته وتغيير كتاب الله وتبديل سنة نبيه ومخالفة دعوته وفساد شريعته وسلك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الاثمة من بعده فصار الناس الى انواع الضلالات فان دين محمد ما جاء بالتخلي ولا باماني الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خفف على اللسنة وعرفته دهاء العامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستقبل وعلم خفي غامض ستره الله في حجب وعظم شانه عن ابتلال اسرارهم فهو سر الله المكتوم وامره المستور الذي لا يطبق حمله ولا ينهض باعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للعقوى

فاذا ارتبط المدعو على الداعي وانس له نقله الى غير ذلك فمن مسائلهم ما معني رمي الجار والعدو بين الصفا والمروءة . ولهم كانت الحائض تقضي الصوم

ولا تقضي الصلاة . وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من
البول القيس الكثير النذر . وما بال الله خلق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها
في ساعة واحدة . وما معنى الصراط المنسوب في القرآن مثلاً . والكتابين الحافظين
وما لنا لانراهما أخاف ان نكابرهُ ونجاحدهُ حتى ادلى العمون واقام علينا الشهود
وقيد ذلك في القرطاس بالكتابة . وما تبديل الارض غير الارض . وما عذاب
جهنم . وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب . وما معنى
ويجل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . وما ابليس وما الشيطان وما وصفوا به
واين مستقرهم وما مقدر قدرهم . وما ياجوج وما جوج وهاروت وماروت واين
مستقرهم . وما سبعة ابواب النار . وما ثمانية ابواب الجنة . وما شجرة الزقوم النابتة
في الجحيم . وما دابة الارض . ورؤوس الشياطين . والشجرة الملعونة في القرآن .
والتين والزيتون . وما الخنس الكنس . وما معنى الم والمص . وما معنى كهيص
وجعسق . ولم جعلت السموات سبعاً والارضون سبعاً . والمثاني من القرآن سبع
آيات . ولم فجرت العمون اثني عشرة عينا . ولم جعلت الشهور اثني عشر شهراً .
وما يهل معكم عمل الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة . فكروا اولاً في انفسكم
اين ارواحكم وكيف صورها واين مستقرها وما اول امرها . والانسان ما هو وما
حقيقته وما الفرق بين حياته وحياته البهائم . وفضل ما بين حياة البهائم وحياة
الحشرات . وما الذي بان به حياة الحشرات من حياة النبات . وما معنى قول
رسول الله خلقت حواء من ضلع آدم . وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم
صغير والعالم انسان كبير . ولم كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من
الحيوانات . ولم كان في يديه من الاصابع عشر وفي رجله عشر اصابع وفي كل
اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط . ولم كان في
وجهه سبع ثقب وفي سائر بدنه ثقبان . ولم كان في ظهره اثنا عشرة عقدة وفي
عنقه سبع عقد . ولم يجعل عنقه صورة ميم وبلاء حاء وبطنه مباء ورجلاه دالاً
حتى صار ذلك كتاباً مرسوماً يترجم عن محمد . ولم جعلت قامة اذا انتصب

صورة ألف وإذا ركع صورة لام وإذا سجد صارت صورة هاء فكانت كتاباً يدل على الله ولم تجعل أعداد عظام الانسان كذا وأعداد اسنانه كذا والأعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التبريح . والقول في العروق والأعضاء ووجوه منافع الحيوان

ثم يقول الداعي ألا تفتكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون ان الذي خلفكم حكيم غير مجازف وأنه فعل جميع ذلك لحكمة وأنه فيها اسرار خفية حتى جمع ما جمع وفرق ما فرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يفتكرون سندهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فاي شيء رآه الكفار في انفسهم وفي الافاق حتى عرفوا انه الحق واي حتى عرفه من حمد الديانة ألا يدلكم هذا على ان الله جل اسمه اراد ان يرشدكم الى بواطن الامور الخفية واسرار فيها مكتومة او تنبهتم لها وعرفتموها لزالتم عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التي من جهلها كان حرياً ان لا يعلم غيرها أليس الله تعالى يقول ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلاً ونحو ذلك من تأويل القرآن وتفسير السنن والاحكام وابراد ابواب من التجويز والتعليل

فاذا علم الداعي ان نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى واجل من ان يبذل لغير اهله ويجعل غرضاً للعب وجرت عادة الله وسننه في عبادته عند شرع من نصبه ان ياخذ المهد على من يرشده ولذلك قال واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وقال عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً وقال جل جلاله يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما

تفعلون ولا تكونوا كالتي نفضت غزها من بعد قوة انكنا . وقال لقد اخذنا
ميثاق بني اسرائيل . ومن امثال هذا فقد اخبر الله تعالى انه لم يملك حنة الا لمن
اخذ عهده فاعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموك من ايمانك وعقودك ان
لا تنشي لنا سرا ولا نظاهر علينا احدا ولا نطلب لنا غيلة ولا تكمننا نصحا ولا تولي
لنا عدوا

صورة العهد الذي يؤخذ على المدعو

وهو ان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويخلفه جعلت على نفسك عهد
الله وميثاقه وذمة رسوله وانبيائه وملائكته وكتبه ورسوله وما اخذ على النبيين من
عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما سمعته وسمعتة وعلمته وتعلمته وعرفتة وتعرفه
من امري وامر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقراره له
ونصي لي عقد ذمته وامور اخوانه واصحابه وولده واهل بيته المطيعين له على
هذا الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من
ذلك شيئا قليلا ولا كثيرا ولا شيئا يدل عليه الا ما اطلقت لك ان تتكلم به
او اطلقت لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بامرنا ولا تتعداه
ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك ان
تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد ان محمدا عبده ورسوله وتشهد
ان الجنة حق وان النار حق وان الموت حق وان البعث حق وان الساعة آتية
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها
وتصوم رمضان وتبج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حتى جهاده على ما امر
الله به ورسوله وتوالي اولياء الله وتعادي اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن
سول الله ظاهرا وباطنا وعلانية سرا وجهرا فان ذلك يؤكّد هذا العهد
لا يهدمه ويشبهه ولا يزيله ويقرّبه ولا يباعده ويشدّه ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا

يبطله ويوضحه ولا يعبره كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون
من رتبهم على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل
نعم . فيقول المدعو نعم . ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك وإداء الأمانة على
أن لا تظهر شيئاً أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب
ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدّة ولا في حال رخاء
ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على السر لذلك والصيانة له على الشرائط
المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله أن
تتبعني وجميع من اسمي لك وأثبتته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك
ولي الله نصحاً ظاهراً وباطناً فلا تخن الله ووليّه ولا احداً من اخواننا وأوليائنا
ومن تعلم أنه منا بسبب في أهل ولا مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تناول عليه بما
يبطله فإن فعلت شيئاً من ذلك وانت تعلم أنك قد خالته وانت على ذكر منه
فانت بريء من الله خالق السموات والأرض الذي سوى خلقك وألف تركيبك
وأحسن إليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسلي الأولين والآخرين
وملائكتي المقربين الكرويين والروحانيين والكلمات الثمات والسبع والثاني
والقرآن وتبرأ من التوراة والإنجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه
الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه وانت خارج من حزب الله
وحزب أوليائه وخذلك الله خذلاً تائيباً يجعل لك بذلك النعمة والعقوبة والمصير
إلى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وانت بريء من حول الله وقوته ملجأ إلى
حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها إبليس وحرم عليه بها الجنة
وخالته في الماران خالفت شيئاً من ذلك وأقيمت الله يوم تلقاه وهو عليك
غضبان والله عليك أن تنجى إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاً واجباً ماشياً حافياً
لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك وكل ما تملك في الوقت الذي تخالته فيه
فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه
ولا يدخل عليك بذلك منفعة وكل ماوك لك من ذكر وانثى في ملكك أو

تستفيدُ الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهم احرار اوجه الله وكل امرأة لك او تنزوها الى وقت وفاتك ان خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق ثلاثاً بقة طلاق المخرج لا ماثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرها فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وانا المستخلف لك لامامك وحجتك وانت الخالف لها وان نويت او عقدت او اضرت خلاف ما احملك عليه واحلفك به فمذه اليمين من اولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الرفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك . قل نعم . فيقول نعم . ولهم مع ذلك وصايا كثيرة قد اضرب عنها صاحب الاصل وبهذا كفاية فاذا اعطى العهد على هذه الصورة قال له الداعي اعطنا جُعلاً من مالك نجعله مقدمة امام كشفنا لك الامور ونعريفك اياها والرسم في هذا الجعل يحسب ما يراه الداعي فان امتنع المدعو امسك عنه الداعي وان اجاب واعطى نفقه الى الدعوة الثانية

الدعوة الثانية . لا تكون الا بعد ما تقدم . فاذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم واعطى الجعل قال له الداعي ان الله تعالى لم يرخص في اقامة حقّه وما شرعه لعباده الا ان ياخذوا ذلك عن ائمة نصيهم للناس واقامهم لحفظ شريعته على ما اراده الله تعالى ويسلك في تقرير هذا ويستدل عليه بامور مقررة في كتبهم حتى يعلم ان اعتقاد الائمة قد ثبت في نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نفقه الى الدعوة الثالثة

الدعوة الثالثة . مرتبة على الثانية وذلك انه اذا علم الداعي من دعاه ان ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الائمة قرر حينئذ عنده ان الائمة سبعة قد رتبهم الباري تعالى كما رتب الامور الجليلة فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة وجعل الارضين سبعة ونحو ذلك ما هو سميع من الموجودات وهؤلاء الائمة السبعة هم علي بن ابي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي ابن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع

هو القائم صاحب الزمان (١)

فاذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلب بقية الائمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو ان محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن ان توجد عند احد غيره وان عنده ايضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى في وجه تدبيره المكتوم وان كان دلالة في كل امر يسأل عنه في جميع المعلومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وان دعائه هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم اخذوا عنه ومن جهته روى وانه لا يستطيع احد من الناس الخالفين لهم ان يساويهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم وبحجج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما يطول شرحه فاذا انتقاد المدعو واذعن لما نقرر نقلة الى الدعوة الرابعة

الدعوة الرابعة. لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انتقاد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منه صحة الانتقاد قرر عنده ان عدد الانبياء الناصبين للشرائع المبدلين لاحكامها اصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الائمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لابد له من صاحب ياخذ عنه دعوته ويحفظها على امنه ويكون معه ظهيرا له في حياته وخليفة له من

(١) الشيعة مختلفون في هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وبسقط اسمعيل بن جعفر. ومنهم من يعد اسمعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا نقرر عند المدعو ان الائمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثني عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بان الامامة انتقلت الى محمد بن اسمعيل بن جعفر والاسماعيلية هم الذين يسمون بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تأويل

بعد وفاته الى ان يبلغ شريعته الى احد يكون في سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذي
اتبعه . وكذلك كل مستخلف خليفة الى ان ياتي منهم على تلك الشريعة سبعة
اشخاص ويقال هؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اقتنوا فيها اثر واحد
هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء
السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من
قبله وتكون الخلفاء من بعده امورهم تجري كما ر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم
نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابداً وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطفاء
فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير . فكان اول
هؤلاء الانبياء النطفاء آدم وكان صاحبه وسوسة (وفي بعض المؤلفات اسه) ابنه
شيت وعثوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء
النطفاء نوح فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسة ابنه
سام وتلاه بنية السبعة الصامتين على شريعة نوح . ثم كان الثالث من الانبياء
ابراهيم الخليل فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم وكان صاحبه وسوسة
ابنه اسمعيل ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت حتى تم دور السبعة الصمت
وكان الرابع من الانبياء النطفاء موسى بن عمران وكان صاحبه وسوسة اخوه
هرون ولما مات هرون في حياة موسى قام من بعد موسى يشوع بن نون خليفة
له صمت على شريعته وبلغها عنه فاخذها واحد بعد واحد الى ان كان آخر
الصمت على شريعة موسى يحيى (يوحنا) بن زكريا . ثم كان الخامس من الانبياء
النطفاء المسيح عيسى ابن مريم نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان
صاحبه وسوسة شمعون الصفا ومن بعد تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح كان
السادس من الانبياء النطفاء محمد فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي
جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسة علي بن ابي طالب ثم من بعد علي
سنة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بيرات اسرارها وهم ابنة الحسن ثم الحسين
ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم اسمعيل بن جعفر الصادق

وهو آخر الصمت من الائمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر الذي انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع في تفسيرها دون غيره وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانتقاد اليه والتسليم له لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والحريرة في العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة الدعوة الخامسة . مترتبة على ما قبلها وذلك انه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد اخذ الداعي بقرره انه لا بد مع كل امام قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابدا اثنا عشر رجلا في كل زمان كما ان عدد الائمة سبعة ويستدل لذلك بامور منها ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولا بد في خلق كل شيء من حكمة والا فليخلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة وجعل ايضا السموات سبعة والارضين سبعة والبروج اثني عشر والشهور اثني عشر ونقباء بني اسرائيل اثني عشر نقيبا ونقباء محمد من الانصار اثني عشر نقيبا وخاف في كف كل انسان اربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثني عشر شقا على انه في ابهام كل يد شقان دلالة على ان الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التي في الاصابع كالحجج والابهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذي يقوم الارض بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الى ان الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار في ظهر الانسان اثنا عشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثني عشر وصار في عنقه سبع فكان العنق عالما على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والائمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التي في وجه الانسان العالي على بدنه واشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو ما دعاه اليه الداعي وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة

الدعوة السادسة . لا تكون الا بعد ثبوت جميع ما تقدم في نفس المدعو وذلك انه اذا صار الى الرتبة الخامسة اخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام

من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بامور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين في ازمته من غير عجلة تؤدي الى ان هذه الاشياء وُضِعَتْ على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بقي بعضهم على بعض واتصدهم عن الفساد في الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم وانفاناً منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد من نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد ان احكام الشريعة كلها وُضِعَتْ على سبيل الرمز لسياسة العامة وان لها معاني آخر غير ما يدل عليه الظاهر نقله الداعي الى الكلام في الفلسفة وحضة على النظر في كلام افلاطون وارسطو وفيثاغورس ومن في معنائهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الافتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك عنده واعتنقه نقله الى الدعوة السابعة ومحتاج ذلك الى زمان طويل

الدعوة السابعة . لا يفصح بها الداعي ما لم يكثر انسه من دعاه ويتيقن انه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال ان صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغني بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون احدهما الاصل والاخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي فان مدبر العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والاخر هو القدر الذي قال فيه انا كل شيء خلقتنا به بقدر وهذا معنى ما نسمعه من ان الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ما هو كائن واشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم ماخوذة من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد . واذا تقرر ما ذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة

الدعوة الثامنة . متوقفة على اعتقاد سائر ما تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو ديناً له قال له الداعي اعلم ان احد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلّة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يُعبر عنه ولا يُقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعي ان التالي بدآب في اعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وان الصامت في الارض بدآب في اعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وان الداعي بدآب في اعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحالة سواء وهكذا تجري امور العالم في اكواره وادواره ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي ان معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير اشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة آنية السماء والارض وما تشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقباها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل احد فينتظم بذلك للنبي شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده ايضا ان القيامة والقرآن او الثواب والعقاب معناها سوى ما يفهم العامة وغير ما يتبادر للذهن اليه وليس هو الا حدوث ادوار عند انقضاء ادوار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة في كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة

الدعوة التاسعة . هي النتيجة التي يحاول الداعي بتقرير جميع ما تقدم رسوخها في نفس من بدعوه فاذا تبين ان المدعو تأمل لكشف السر والافصاح عن الرموز احالة على ما تقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما وراء الطبيعة

والعلم الالهي وغير ذلك من اقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادئ وتقلب الجواهر وان الوحي انما هو صفاء النفس فيجد النبي في فهمه ما يلقي اليه وينزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذي ينظم به النبي شريعته بحسب ما يراه من المصلحة في سياسة الجميع ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهاء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها وبكيفية معرفته فانها اليقين الذي يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هي افعال وآصار حملها الكفار اهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم ان الانبياء النطقاء اصحاب الشرائع انما هم السياسة العامة وان الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة وان الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة في المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم التي منها اختصر صاحب الاصل ما تقدم ذكره

الفصل الاول

في سبب تسمية مقلدي هذا المذهب بالقرامطة وكيفية انتشاره

قد ذكرنا في المقدمة كيف كان نزول عبد الله بن ميمون القداح صاحب هذه الدعوة بعسكر مكرم واشتهار دعائه على هذه الصورة الى الامام محمد بن اسماعيل فانكر الناس عليه وهبوا به ففر الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازي فلما انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام واقام بسلمية وبها ولد له ابن سماه احمد فنام احمد هذا بعد وفاة ابيه عبد الله المذكور بالدعوة وسير الحسين الاهوازي داعية له الى العراق فلقني رجلاً يقال له حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط وقيل حمدان بن قرمط عرف بهذا اللقب من اجل قصر قامته

وقصر رجليه وتقارب خطوه وكان يُقال انه صاحب الخال والمدثر والمطوق
 فدعاه فاستجاب له وقام بالامر واليه تُنسب الفرامطة وكان ابتداء امره في
 سنة ٢٦٤ للهجرة سنة ٧٧٨ م وحيث كانت ظهوره بسواد الكوفة اشتهر مذهبه
 بالعراق وسُمي تعليمه علم الباطن . ثم قام بالمجربين منهم ابو سعيد الجنابي من اهل
 جنابة وذلك في سنة ٢٨٨ للهجرة سنة ٨٩١ م وابنه ابو طاهر سليمان بن ابي
 سعيد الحسن بن بهرام القرمطي

وذكر ابن خلكان نقلاً عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن الشيخ
 ابي محمد الجويني ان الجنابي المذكور توغل في اكثاف الاحساء ورجل آخر يقال
 له ابن الشلمغاني توغل في اكثاف بلاد الترك ورجل ثالث يُسمى بابي المنيث
 الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور من اهل البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ
 بواسطو العراق ارناد قطر بغداد لان هؤلاء الثلاثة كانوا تواطوا على قلب
 الدولة والتعرض لافساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها

وكان من حديث ابن الشلمغاني المذكور وهو ابو جعفر محمد بن علي الشلمغاني
 المعروف بابن ابي الغرافر وظهر ذلك من فعله ابو القسم الحسين بن روح
 الذي تسميه الامامية الباب عند ما طُلب الشلمغاني هُنا واستقر وهرب الى
 الموصل وبعد ان اقام بها سنتين انحدر الى بغداد وظهر منه انه يدعي الربوبية
 وقيل انه اتبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب
 وزير المعتذر العباسي . وابنا بسطام وابراهيم بن احمد بن ابي عون وغيرهم فطلبوا
 في ايام وزارة ابن مقله المعتذر المذكور فلم يوجدوا ثم ظهر ابن الشلمغاني في
 سنة ٢٢٢ للهجرة سنة ٩٢٢ م فقبض عليه ابن منلة وحبسهُ وكبس دارة فوجد
 فيها رقاعاً وكتباً ممن يدعي انه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر
 بعضهم بعضاً فعرضت على ابن الشلمغاني فاقر انهما خطوطهم وانكر مذهبه وظهر
 الاسلام وتبرأ مما يُنال فيه ثم احضر ابن ابي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة
 فامرهما بصنع فامتنعا فلما اكرها مد ابن عبدوس يده فصنعه واما ابن ابي عون

فانه مد يده الى لحيته ورأسه وارتعدت يده وقبل لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال
الهي وسيدي ورازقي فقال له الخليفة الراضي بالله قد زعمت انك لا تدعي الالهية
فما هذا فاجابه ما علي من قول ابن ابي عون والله يعلم انني ما قلت له اني اله قط
فقال ابن عبدوس انه لم يدع الالهية وانما ادعى انه الباب الى الامام المنتظر ثم
ان الخليفة استفتى بقتله وبعد ذلك احرقه بالنار في السنة المذكورة وكذلك ابن
ابي عون ضربت عنقه بعد ان ضرب بالسياط ثم صلب وأُحرق بالنار وكان
من اعيان الكتاب وله تاليف منها التشبيهات والاجوبة المسكنة

واما الحلاج فقد قال الامام المقرئ اني كان في اول امره يدعي انه
داعية المهدي ثم ادعى انه المهدي ثم ادعى الالهية وان الجن تخدمه وانه احيا عدة
من الطيور لكن ابن خلكان يقول ان الناس مختلفون في امر هذا الرجل منهم
من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يكفره وقال ايضا في ترجمته انه كان يعتذر عن
الالفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله انا الحق وقوله ما في الجنة الا الله
وحملها كلها على محامل حسنة واوّلها وقال هذا من فرط المحبة وشدة الوجد
وجعل هذا مثل قول الفائل

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا ابصرني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

ومن الشعر المنسوب اليه على اصطلاحهم واشاراتهم قوله

لا كنت ان كنت ادري كيف كنت ولا لا كنت ان كنت ادري كيف لم اكن
وقوله ايضا على هذا الاصطلاح

الفاء في البئر مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء

وقد افتي اكثر علماء عصره باباحة دمه فقتل بامر المقتدر العباسي

واما ابو طاهر بن ابي سعيد الجبائي فهو الذي نصح بين هؤلاء الجماعة وقد كان في مبدأ امره يظهر العبادة والنفش وكان يسف الخوص وياكل من كسبه ويدعو الناس الى الامام من اهل البيت على ما ذكرنا فاستجاب له خلق كثير وعظمت دولته ودولته بنوه من بعده حتى اوقعوا بعساكر بغداد واخافوا خلفاء بني العباس وقرضوا الاموال التي تحمل اليهم في كل سنة على اهل بغداد وخراسان والشام ومصر والحجاز وانتشرت دعائهم باقطار الارض فدخلت جماعات من الناس في دعوتهم ومالوا الى قولهم الذي سموه علم الباطن كما سبنت الاشارة الى ذلك لكونهم يؤولون شرائع الاسلام ويصرفونها عن ظواهرها الى امور زعموها كما يتضح ذلك من تفاصيل دعوة ابن الفداح التي ذكرناها ونهيو الحجاج وقلعوا الحجر الاسود في زمن خلافة المقتدر بالله بن المعتضد العباسي الذي مر ذكره وانفذوه الى هجر وذلك في سنة ٣١٧ للهجرة المتعاقبة الى سنة ٩٢٩م لكن اخبروا ردوا هذا الحجر الى موضعه واستعادوا ما امكن من اموال اهل مكة لما انكر على ابي طاهر المذكور فعله هذا المهدي عبيد الله اول الخلفاء الفاطميين بافريقية وكان ذلك في سنة ٣٢٩ للهجرة سنة ٩٥٠م في ابام الخليفة المطيع لله العباسي بعد ان مكث هذا الحجر عندهم نحو اثنين وعشرين سنة

حاشية

ومن تفاصيل دعوة ابن الفداح وهذه الاخبار التي ذكرت هنا عن القرامطة المذكورين يمكننا ان نعرف بعض المعرفة اذا لم تكن كلها عن الرجل الذي انتشرت اخباره في الجراء في هذه السنين الاخيرة ويقال له هبة الله وقد أسس مذهبا جديدا في بلاد العجم سماه باب الحق زعم انه وفق فيه بين تعاليم الانجيل وتعاليم القرآن وانتشرت تعاليمه هذه بسرعة منذ نحو ثلاثين سنة وانقاد اليه نحو مئتي الف من الناس ثم اُقيمت عليهم الاضطهادات وقتل منهم نحو عشرين الفا

ففر هبة الله المذكور مع رهط من قومه الى بغداد وكان يرسل قومه في بلاد
البحر ولذلك طلبت دولة ايران الى الدولة العلية العثمانية تامة بالبعاد الى حيث
لا يقدر ان يقيم مغابراته بسهولة فارسلته الدولة الى ادرنه ومنها الى عكا وهو الآن
مقيم فيها. قال بعض الكتبة انه تمكن من زيارة هؤلاء القوم في فصل الربيع عام
سنة ١٨٧١م وهم في مثفاهم والظاهر ان هبة الله المذكور لا يواجه من الغرباء الا
الذين يطلبون اليه ان يعلمهم التعاليم الدينية ولذلك ما قدر ان يقابله وانما قابل
ولده الذي يظن انه ابن ثلاثين سنة وتلوح على وجهه لوائح الخدق الشديد
وشعر راسه ولحيته اسود وكان لا يسأئوباً من الصوف الابيض وعلى راسه عمامة
صغيرة بيضاء وعليه عباءة من الجوخ الابرش فسر بمقابله ولكنه تمنع ان يجبره
عن اصل هذا المذهب وتاريخه وقال الاوفق ان تتكلم عن امور روحية وكانت
لوائح الوفاة والجد تلوح على وجهه وكان يتكلم باللغة العربية الفصحى وتبين له
منه انه كان يعرف التوراة والانجيل حق المعرفة كما كان يعرف تاريخ الافكار
الدينية في اوربا وكان يحاول ان يفتح الذين يسالونه بصحة معتقده ويتكلم كمن
يعرف انه اعرف من غيره اي كما يكلم المعلم تلامذته ثم سال الراوي قائلاً له لماذا
لم يؤمن الاسرائيليون بالمسيح عندما اتاهم حال كونهم كانوا منتظرين قدومه
فاجابه لانهم لم يفهموا التوراة حق الفهم فقال هذا هو الصواب وما ادرانا ان
المسيحيين الآن لا يفهمون التوراة والانجيل كما كان الاسرائيليون لا يفهمونها ففهم
من كلامه هذا ان مراده يفهمه ان الله قد ارسل اباه ليعلم التعاليم الصحيحة ثم انه
فهم ايضاً من رجل آخر من تلامذة هذا الرجل المخادقين ان بعض قومه اذا لم
يقبل اكثرهم يقولون انه هو الملاك المحكي عنه في العدد الاول من الاصحاح الثامن
عشر من رؤيا يوحنا وان تعاليمه الاساسية هي . اولاً ان المسيح هو ابن الله مخلص
العالم . ثانياً انه مات وقام من بين الاموات . ثالثاً ان الخلاص يكون بالايان به .
رابعاً ان الولادة الجديدة هي ضرورة للخلاص وان الاعمال الحسنة هي برهان
التجديد . خامساً ان الروح القدس الفاعل في القلب ياتي بهذا التجديد . وانهم

لا يعتمدون بالماء ولكنهم يختنون ومع ذلك لا يعتبرون الختان من الفروض الدينية وقد كتب هبة الله وغيره كتابات كثيرة والظاهر انهم لا يؤمنون انها من الكتابات الملهم بها ويعتقدون ان المسيح سيرجع رجوعاً روحياً انتهى مخلصاً

الفصل الثاني

في ما عُرف في هذه السنين الاخيرة عن دين النصيرية

ذكر مطبرون هذه الامة في جغرافيتهم فقال النصيرية فرقة قديمة سر يانية كانت موجودة في زمن الرومانيين وكان لها شيخ خاص بها يُلقب بالطررق وهو اميرها وان في هذا الاقليم وجد الافرنج الصليبيون الطائفة الشهيرة باسم الحشاشين الذين كان حاكمهم هو شيخ الجبل وكان اميراً عظيم السطوة (والحشاشين جمع حشاش وهو المتعاطي للحشيشة التي هي نبات مخدر مغيب) هذا ما كان من امر قدميهم

واما ما كان من امر نسبهم التي هم عليها الآن فقد قال ابو الفداء نقلاً عن ابن سعيد ان النصيرية يُنسبون الى نصير مولى علي بن ابي طالب ويزعمون ان علياً وقفت له الشمس كما وقفت ليشوع بن نون وكَلَّمَهُ الْجَبَّةُ كما كَلَّمَتِ الْمَسِيحَ عيسى ابن مريم وانفجروا فيه الالهوية . وقال الدكتور فان ديك الحكيم الاميركي في جغرافيتهم عند كلامه على القرامطة وقام من هذه الطائفة رجل يقال له نصير الثمري وكان شيخاً كثير الصلوات والاصوام معدوداً عندهم من الاولياء فاختر من اصحابه اثني عشر رسولاً يندرون بتعليه ولما شاع امره قبض عليه الوالي والقاء في السجن وكان للسجان جارية اخذتها الشفقة على الشيخ حتى سكر السجان ذات يوم واستغرق في نومه ففتحت السجن واطلقت الشيخ ثم ردت المفاتيح الى مكانها . فلما استيقظ السجان رآى ان الشيخ قد هرب ولم يجد علامة لفتح السجن

فزعم ان ملاكاً اطلقه واذاغ هذا الخبر لكي ينجو من غضب الوالي وبلغ الشيخ ايضاً فكان يؤكده للناس ويزداد اجتهاداً في اذاعة تعاليمه وكتب كتاباً يقول فيه انا فلان الذي يُظن به انه ابن عثمان رايت المسيح الذي هو كلمة الله وهو احمد بن محمد بن حنيفة من ولد علي وهو ايضاً جبرائيل الملاك فقال لي انت الفارسي انت الصادق انت الجمل المحافظ الغضب على الكافرين انت البقر الحامل خطايا المؤمنين انت الروح انت بوحنا بن زكريا فعلم الناس ان يعامل في صلواتهم اربع ركعات اثنتين قبل شروق الشمس واثنين قبل غروبها متجهين الى جهة اورشليم وغير ذلك من التعاليم . وقبل انطلق هذا الرجل من ارض الكوفة الى بئر الشام واذاغ تعاليمه هناك بين الناس السادحين واخيراً اختفى ولم يُسمع عنه بعد ذلك انتهى

وقال الشيخ سليمان الأذني ان ابتداء الديانة النصيرية هو من محمد بن نصير ولعله اراد به انه ابن نصير النمرى المذكور . ثم قام بعده رجل آخر اسمه محمد بن جندب . ثم عبد الله الجنان الجنبلان من بلد فارس وبعده قام الحسين ابن حمدان الخصيبي . وهذا الرجل هو عندهم اعظم من كل من كان بعده وهو الذي اكل صلواتهم واذاغ تعاليمه في البلدان ولما بلغ بغداد قبض عليه الوالي والقاء في السجن ولما لاحت له الفرصة هرب واشهر بين اتباعه بان المسيح خلاصة ليلآ . وهذا المسيح على زعمهم سوف ياتي الكلام عليه

ثم ان النصيرية ينقسمون الى فرقتين شمالية وكلازية فالشمالية يمتازون بانهم لا يخلقون لحاهم ولا وجوههم وبعضهم يحرمون اكل الفرع الاصفر وشرب الدخان والباميا والفلينفة والبنادورة ويحرمون ايضاً البنود ولبس الاجر على الرجال واما الكلازيون فلا يعتقدون ذلك بل يخلقون لحاهم وان تركوها يخلقون وجوههم وحناجرهم وما حُرِّمَ اكله عند الشماليين فهو حلال عندهم وكذلك يمتازون عن الشماليين بكون ايمانهم يعني اكابر المتبحرين في الدين عندهم يلتزمون ان يقدموا نساءهم الى بعضهم بعضاً ويسمون هذا الاكرام فرضاً لازماً وحقاً واجباً

ويحكمون على من يخالفه بعدم الدخول الى الجنة
وكلا الفريقين متفقان على تحريم الزنا الا ما ذكرناه من هذه الخلقة القبيحة
الموجودة عند الكلازيين ويحرمان ايضا لحم الانثى وهم بالاجمال يمتنعون من
اكل لحم الجمل والخنزير والفنفذ وسك الحنكليس وما كان اعور او اكع او
مخلوعا من الحيوانات وبعضهم لا ياكل لحم الدابة المخاللة اما مشايخهم فلا ياكلون
عند الام الغريبة عن جنسهم ولا من عند الحكام حتى ولا من عند حكامهم
انفسهم اذا تحققوا انهم يخناسون اموال الناس

ويختلفون في العبادة بحسب تفاسيرهم كلام الحسين بن حمدان الحنفي
المذكور وغيره من مؤلفي كتبهم الى اربعة انواع ترجع الى اصل واحد وهو علي
ابن ابي طالب فان الكلازية تعبد القموتري ان السواد الذي يظهر فيه هو علي
المشار اليه وان له يدين ورجلين وبدنا وعلى البدن راس وعلى الراس تاج ويده
سيف هو ذو الفقار ولذلك يقال ان الكلازية تقر برؤية علي المرتضى والشمالية
تقر برؤية محمد المصطفى ومنهم من يعبد السماء ومن يعبد الشفق ويتوجه وقت
صلاته نحو الشمس عند شروقها وغروبها ومنهم من يعبد الهواء ويستدل على
ذلك بقول احد مشايخهم يا هو يا هو فيقرأ هذه اللفظة بفتح الهماء والواو لتأتي
على وفق مراده

ويزعمون ان الالهية لها اسم ومعنى اي ظاهر وباطن فالظاهر هو احرف
معدودة تشير الى اشخاص معلومة لان الله اسم والاسم يشوي على ثلاثة احرف
وهي الالف والسين والميم ويتبدلون باحرف الاسم من آخره ويجعلون الميم محمد
ابن عبد الله وهو الذي تقر برؤيته الشمالية على ما ذكرنا ويسمونه السيد الميم اليه
التسليم وحرف السين سلمان الفارسي وهو الباب والحجاب وحرف الالف هو
المقتاد بن ابي الاسود ويسمونه رب الناس واما المعنوية فهي التي استقرت اخيرا
في علي بن ابي طالب الى ان تردى بالحملة الزرقاء وسكن في الشمس ولهذا يسجد
بعضهم للشمس عند شروقها ومغيبها

ويعتقدون ان محمداً منفصل بعليٍّ ليلاً ومنفصل عنه نهاراً ويعنون ان الشمس هي محمد وان محمداً خلق السيد سلمان الفارسي وان هؤلاء الثلاثة هم الثالوث الاقدس فعلي عندهم هو الآب ومحمد الابن وسلمان الروح القدس وقال بعضهم ان سلمان خلق المقتاد والمقتاد خلق الناس ولذلك يدعو رب الناس واما الشيخ سليمان الأذني فيقول بانهم يزعمون بان سلمان المذكور خلق الايتام الخمسة الذين منهم المقتاد الذي ذكر والايتام الخمسة خلقوا كل العالم وان كل ترتيب السموات والارض بيدهم فالمقتاد موكل بالعودة والصواعق والزلازل . وابو الدرّ موكل بدوران الكواكب والنجوم . وعبد الله بن راحة موكل بالرياح وبقبض ارواح البشر ويعتقدون بانه عزرائيل . وعثمان موكل بالمعدة وحرارة الجسد وامراض الانسان . وقنبر فهو الذي يدخل الارواح في الاجسام

وزعمون ان الالهية التي استقرت اخيراً في علي بن ابي طالب على ما ذكرنا حلت أولاً في هابيل ثم شيث ثم يوشع واصناف شعون الصفا وارستطاليس وهرماس وكلب اصحاب الكهف وناقصة صالح والبقرة التي امر موسى بذبحها على ما هو مذكور في سورة البقرة

وان النبوة التي يشيرون اليها باسم المسيح قد استقرت أولاً في آدم ثم في انوش وقينان ومهلثيل وهود وصالح ولفان ولوط وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والعزير وهو فرعون يوسف وموسى وهرون وكالب وحزقييل وشمويل وداود وسليمان وايوب والخضر (الذي يزعمونه مار جرجس) والاسكندر وطالوت ودانيال ومحمد وبالأجمال كل نبي ظهر في هذا العالم هو المسيح وكذلك بعض حكماء اليونانيين مثل افلاطون وجالينوس وسقراط ونيرون ومن حكماء الفرس وعرب الجاهلية كازدشير وسابور ولوي ومرة وكالب وهاشم وعبد مناف وغيرهم

واما التوفيق بين حاول الالهية ووجود النبوة فهو هكذا لما كانت الالهية

في شيت بعد هابيل كان آدم هو النبي العظيم ثم انتقلت الالهوية الى سام والنبوة الى نوح وبعده انتقلت الالهوية الى اساعيل والنبوة الى ابراهيم ولما كانت الالهوية في هرون كانت النبوة في موسى ثم لما صارت الالهوية الى شعون الصفا صارت النبوة الى عيسى ثم استقرت الالهوية في علي بن ابي طالب والنبوة في محمد بن عبد الله . ولم كلام في حالة الالهوية والنبوة وموسى وعيسى ومحمد بخالف ما تعتقد به اليهود والنصارى والاسلام

واما السبب الذي يعتقدونه في مثل هذه الظهورات فهو انهم يزعمون بانهم كانوا في البدء قبل كون العالم انواراً مضبوطة وكواكب نورانية وكانوا ينصلون بين الطاعة والمعصية لا ياكلون ولا يشربون ولا يغيطون وكانوا يشاهدون عليا بن ابي طالب بالنظرة الصفراء وذلك لان المعبود عندهم يرى ولكن ليس هو محدوداً بكينته والشماليون الذين يعنون بذلك السماء لكونها ظاهرة ولا احد يقدر ان يحددها بصورتها الاصلية يزعمون ان الاسم وقد مر ذكره براها حمرا والباب الذي يزعمونه سلمان الفارسي براها بيضا والملائكة الذين هم عندهم الكواكب ودرب التبان الذي هو انفس مؤمنهم يرونها صفرا والبشر يرونها زرقا ولذلك كانوا يشاهدون عليا وهم في تلك السعادة بالنظرة الصفراء على ما ذكرنا وداموا على ذلك سبعة الاف وسبعاً وسبعين سنة وسبع ساعات ثم فكروا في ذواتهم انه لم يخلق خلقاً اكرم منهم فكان هذا الفكر اول خطية ارتكبوها ولذلك خلق لهم حججاً (الضمير في ذلك جميعه عائد على علي) يسكنهم سبعة آلاف سنة وبعدها ظهر لهم وقال ألسنت بربكم قالوا بلى بعدما اظهر لهم القدرة فظنوا انهم يرونها بكينته اظنهم انهم مثله فاختطوا بذلك مرة ثانية فاراهم الحجاب فطافوا به سبعة آلاف وسبعاً وسبعين سنة وسبع ساعات ثم ظهر لهم بصورة شيخ كبير ابيض الراس واللحية وتلك الصورة هي التي اتمن بها اهل النور العالم العلوي النوراني فظنوا انه على تلك الهيئة التي ظهر لها بها ولما قال لهم من انا اجابوه لاندرى فظهر لهم بصورة الشاب المقبول السبال راكباً على اسد بصورة الغضب ثم ظهر

لهم ايضاً بصورة الطفل الصغير ودعاهم وقال أأست بربكم وقد كرر عليهم القول في كل ظهور ومعه اسمه وبابة واهل مراتب قدسه الذين هم المراتب السبع الأول العالم الكبير النوراني ولما دعاهم ظنوا بأنه مثلهم فاحترأوا ولم يدروا بماذا يجيبون فخلق لهم من تأخرهم الشك والخيرة وقال لهم قد خلقت لكم داراً سفلى وأريد ان اهبطكم اليها واخلق لكم هياكل بشرية واطهر لكم في حجاب كجنسكم فمن عرفني منكم وعرف بابي وحجائي فإني أردته الى هنا ومن عصاني اخلق من معصيته ضدنا يناومته ومن أنكرني اغلق عليه في قصان المسوخية فاجابوه قائلين يارب دعنا هنا نسبح بحمدك ونعبدك ولا تنهطنا الى الدار السفلية فقال عصيتوني فلو كنتم قاتم ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت عالم الغيوب فكنت اعفو عنكم ثم خلق من معصيتهم الابالسة والشياطين ومن ذنوب الابالسة خلق النساء

ثم بعد ذلك ظهر لهم في القبة السبع فالقبة الاولى اسمها الحين وكان اسم المعنى فيها فقط والاسم شيت والباب جداح والضد روبا . وظهر لهم بعدها في قبة البن وكان اسم المعنى فيها هرمس الهرامسة والاسم اسمه مشهور والباب ادريا والضد عشكا . والقبة الثالثة اسمها العلم وكان المعنى فيها ازديشير (وهو احشوروش الملك) والاسم دوقتا والباب ذو فقه والضد عطر فان . والقبة الرابعة اسمها الرم كان اسم المعنى فيها اخنوخ والاسم هندمه والباب شرابه والضد عزرائيل . والقبة الخامسة اسمها الجان كان اسم المعنى فيها درة الدرر والاسم ذات النور والباب اشاذيا والضد سوفسطا . والقبة السادسة اسمها الجين كان اسم المعنى فيها البر الرحيم والاسم يوسف بن ما كان والباب ابو جاد وكانت خالية من الضد . والقبة السابعة اسمها اليونان وكان اسم المعنى فيها ارستطاليس الحكيم والاسم افلاطون والباب سقراط واسم الضد درميل وفي كل هذه القباب المذكورة كان الضد اي الشيطان فيها بثلاثة اقانيم وهم واحد وتلك الاقانيم هي ابو بكر وعمر وعثمان

وبعد ذلك ظهر لهم في السبع القباب الدانية التي هي من هاييل الى علي بن

اي طالب وقد سبق الكلام على ذلك فلا لزوم لاعادته. وقد اصطالحوا على اسماء سبع نساء لهذه القباب المذكورة هنا يسمونها عرائس الديوان وينوّهون بها في الاشعار الدينية التي يدحونها بها وهي سعدا وهي والرباب وزينب وعليها ولينا وليلي وبناء على ما ذكر في السبب الذي يعتقدونه ان تلك الظهورات الالهية عندهم يزعمون ان المومنين منهم اذا خلصوا من تلك الهياكل التي وعدهم الهيم بها وهي القمصان البشرية ينتقلون الى درب النبان. والكواكب في السماء هم الملائكة واعلم انفس الصالحين منهم ويعبرون عن هؤلاء الملائكة بالنجل ولذلك يسمون عليها امير النحل العظيم ويحرمون الكواكب ويلتمسون في رسائلهم الخيرات من علي الاعلى بجرمة الكواكب الزاهرة

واما المسوخية التي هددتهم بها اذ انكروا في سبعة اشكال ولكل شكل منها اجزاء اما الاشكال فهي تحوي جميع الانعام والوحوش وغيرها من الحيوانات ويزعمون بانها هي سبع طبقات جهنم المذكورة في سورة النجمر بقوله ولها سبعة ابواب ولكل باب منها جزء مقسوم ولذلك يعتقدون تناسخ الارواح محصورا فالروح الشقية مثلاً تدخل في خنزير او كلب او ذئب واما الروح الطاهرة التي تطعم الخنزير وتضيف الغرابة فتدخل في اجسام بشرية ولا تزال كذلك الى ان ترتقي الى درب النبان كما ذكرنا ولهذا السبب كان لابد لكل نصيري من فتح كوة فوق باب بيته لكي اذا توقع ولودة انسان وموت آخر في وقت واحد لا تتراحم الارواح في الدخول والخروج

ولما كانت النصيرية كالدرور يوجد منهم عقال وجهال والعقال هم المعتبرون عندهم بانهم مومنون فلا يكون ادخال الجهال منهم في الديانة الا بالتدرج عن يد استاذ يكرمونه اكثر من الوالد الطبيعي لان الوالد الطبيعي لم يكن له قصد خير الاولاد وانما قصده خير نفسه ولذتها وما يعود له من وجود الذرية وبالجملة فقد عرض اولاده للدار الشقاء ولذلك يحتمرون والديهم بخلاف الاستاذ فانه يقود التلميذ الى معرفة الحق ودار السعادة

وهذا الاستاذ لا يكون طبعاً الا من شيوخ العلم وهم يقسمون الى ثلاث رتب
الاولى رتبة الامام والثانية رتبة النقيب والثالثة رتبة النجيب ويعتقدون بهم انهم
يعرفون المستقبلات ولذلك تشاورهم العامة في كل ما يريدون ان يعملوا ومتى
حكم الشيخ على مقتضى شريعته فلا يمكن لاحد ان يخالفه ان كان على هدى ام
على ضلال وقد بلغ من اعتقاد البعض بهم انهم لا يغيطون ايضاً

واما طريقة تلك المعاهدة التدريجية فان يرغب الدخول في الديانة على
ما ذكرنا فتكون على قدح من الخمر يشربه اولاً الداخل بسر الامام بعد ان
يضع حلاه الامام على راسه ويسمون ذلك اليوم المشورة ثم بعد اربعين يوماً
يسقونه قدحاً آخر بسر ع م س اما العين فهي علي ويسمونه المعنى اي معنى
الالهوية على ما ذكرنا والميم فهي محمد الذي هو الاسم والحجاب والسيف فهي
سلمان الفارسي وهو الباب ويأمرونه بان يتلو هذا السر كل يوم خمس مئة مرة
وهذه الجمعية الثانية يعصونها المليك وبعد سبعة اشهر يسقونه قدحاً ثالثاً ويقدمه
وكيل من الجماعة ويكون النقيب عن يمينه والنجيب عن شماله الى المرشد وهم
ينشدون له ترنية فيقوم حينئذ المرشد ويقرأ سورة من صلواتهم ويتوجه به نحو
الامام فيسأله الامام عن حاجته وبعد اخذ ورد بطول شرحه بينه وبين المرشد
يطلب اليه تاديب الداخل فيسأله الامام من هو الذي دله على ذلك فيقول
له المرشد المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم وهي لفظة عس المذكورة ثم
يقرب الداخل من الامام وفي كل مرة يدنو منه يد له الامام يديه ورجليه
ايدها والنقيب يعلمه ماذا يقول ثم ينظر اليه بعنوسة ويسأله ما الذي حمله ان
يطلب منه هذا السر المكلل بالؤلؤ والدر ولم بحملة الاكل ملاك مقرب او نبي
مرسل او مؤمن مستن وهل يقبل قطع الراس واليد والرجلين ولا يبيع بالسر
فيقول له نعم فيطلب منه الامام حينئذ مئة كفيل الى ان ينتهي الحال على اثني
عشر كفياً يكفلونه ويتعهدون انه اذا اباح بالسر ياتونه بوليطة من قطعا ويشربوا
دمه ثم يكفل الكفلاء ايضاً كفلاً اخران على ذلك يترحب بهم الامام ويسمهم

اهل البرش والكركش ثم عند ذلك بحلقة الامام بجميع الاجرام السماوية بعد ان يضع يده على كتاب المجموع ويهدده بانّه اذا اباح بالسر لا تعود تقبله الارض مدفوناً ولا يدخل القمصان البشرية بل حين وفاته يدخل قصان المسوخية وعند ذلك تضع الكفلاء ايادهم على راسه ويصلون ويسقون كاس خمر ويعلمونه ان يقول باسم الله وبالله وسر السيد ابي عبد الله (وهو الحسين بن حمدان الخصيبي الذي سبق ذكره) العارف بمعرفة الله

ومن ثم ياخذ المرشد الى بيته ليعلمه قواعد دينه واول ما يعلمه التبرؤ وهو سورة الشنائم التي يبتدون بها في صلوات اعيادهم وبعدها يطلعها على ست عشرة صورة اخرى يتلونها في الصلوات ايضاً ويسمون كل واحدة منها قداساً وكلها تنطوي على عبادة علي بن ابي طالب

والذي ألف لهم صورة الشنائم المذكورة يزعمون انه ابو سعيد الميمون بن قاسم الطبراني تلميذ الولي ابي الحسين محمد بن علي الجبلي تلميذ ابي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي وابو سعيد المذكور ألف لهم كتباً عديدة منها مجموع الاعياد المشهور في هذه الشنائم على ابي بكر وعمر وعثمان وبها يسي ابا بكر الضد الاول وعمر الضد الثاني وعثمان الضد الثالث ويحسم النصيرية ذات الشيطان وألف ايضاً كتاب الدلائل بمعرفة المسائل يقول فيه ان الذئب المتهم باكل يوسف هو عبد الرحمن بن ملجم الحرادي (الذي قتل علياً بن ابي طالب) ويعتقدون بانّه سلمان الفارسي وألف ايضاً كتاباً سماه الحاوي في واجبات التلاميذ وكتباً أخر ضد ديانة علي بن قرمط وعلي بن كشكه وغير ذلك والظاهر انه فسر الذئب المتهم باكل يوسف بانّه هو عبد الرحمن بن ملجم لكون المسلمين يعتقدون بان عبد الرحمن المذكور قتل علياً بن ابي طالب كما ذكرنا . واما النصيرية فلا يعتقدون موت علي بل ويلعنون من اعتقد ذلك كما في سورة الشنائم الآتي ذكرها يزعمون انه انهم بذلك من المسلمين تهمة اشار اليها بنهية الذئب باكل يوسف

واما سورة الشنائم المنوّه عنها فانهم يلعنون بها ابا بكر وعمر وعثمان بن عفان على ما تقدم وطلحة وسعد وسعيد وخالد بن الوليد . ومعاوية وابنه يزيد والحجاج بن يوسف الثقي وعبد الملك بن مروان وهرون الرشيد . واسحق الاحمر واسماعيل بن خلاد والشيخ احمد البدوي والشيخ احمد الرفاعي والشيخ ابراهيم الدسوقي والشيخ محمد المغربي والشبل المرجان والشيخ عبد القادر الكيلاني وكل يهودي ونصراني ومذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والجلند بن كركر وعافر الناقة قيدر وحبيب العطار ولعابي النرود ومساكي الحيات السود والنصاري واليهود وكل من اعتقد في علي بن ابي طالب آكلًا او شاربًا او مولودًا او متزوجًا او مائتًا والبطريك يوحنا مارون لاعنقادهم ان جميع هؤلاء ياكلون خيرات علي المشار اليه ويعبدون غيره

واما النساء فلا يعلمون الصلوة لاعنقادهم فيهنّ انهنّ خلفن من ذنوب الابالسة ولا يشاركون في شيء غيرها من امور الدين ايضا لانفاقهم مع سائر عبدة الاوثان في تحفيرهنّ قال بعض المؤلفين انه قد عرف من معتقدات النصرانية بان النابعين منهم لتعليم احد مشايخهم المعروف بمحمدان الخصيبي يفرقون عما عليهم بعبادة بناء انفس الاناث منهم وانها تُشاب وتُعاقب لان ما عليهم يعتدّهنّ كالحيوانات مجردات عن النفس الناطقة والقلامسة يستبجئون السفاح ايضا بنساء بعضهم بعضا وان المرأة لا يكمل ايمانها الا باباحة فرجها لاختيها المؤمن لكنهم اشترطوا ان لا يُباح ذلك للاجنبي ولا لمن هو غير متبصر في دينه منهم . انتهى . والدروز يشنعون على النصرانية بسبب ذلك كثيرا في كتبهم وخلاصة ما تجود به هذه الطائفة على نساءها من التعاليم هي سورة رفع الجنابة فقط لاعنقادهم انهنّ لا يتطهرن بدونهما وكذلك يتلوها الرجال ايضا ولا يارق ذكرها هنا لما فيها من الفحش وسوء الادب

ويعتقدون ان الجهاد المذكور في القرآن هو على نوعين الاول الشنائم على ابي بكر وعمر وعثمان وغيرهم حسبما ذكرنا في سورة الشنائم وعلى جميع الطوائف

المعتقدين بان علياً بن ابي طالب او الانبياء اكلوا او شربوا او تزوجوا او ولدوا
من نساء لانهم يعتقدون بهم انهم نزلوا من السماء بدون اجسام وان الاجسام
التي كانوا فيها انما هي اشباه وليست حقيقية. والثاني هو اخفاء مذهبهم عن غيرهم
ويزعمون في قضية الحج ايضاً ان البيت المأمور في القرآن زيارته مع اركان
وسقفه وحيطانه هو كناية عن معرفة اولئك الاشخاص الذين يعتقدونهم فان
البيت هو الحجاب السيد الميم (يعني محمد) وسقف البيت ابو طالب . وارض
البيت فاطمة بنت اسد . واربعه اركان البيت هم محمد وفاطر (يعني فاطمة)
والحسن والحسين . والزاوية الغامضة الخفية التي هي في نصف البيت هي محسن
سر الخفي . وصاحب البيت العلوي الشريف الهاشمي . والصفاء هو المقداد . والقبطان
هما الحسن والحسين . وحلقة الباب هي معرفة جعفر الصادق . والمروة معرفة ابي
الدر . والمشعر الحرم معرفة سلمان الفارسي . ثم انهم يختلفون في تفسير المعنى والباب
وكل منهم يوفق ذلك الى ما يوافق مذهبه وخلاصة الامر انهم ينكرون على الحج
وعلى ضريح صاحب الشريعة الاسلامية وبلعنون بحيلة من يلعنونهم اهل الشام
لكونهم لم يقبلوا دعوة الخصيبي لما ذهب اليهم ليدعوهم واما لعنهم الحجاج فهو لما
ذكره الشيخ محمد الكلازي بكتاب التأييد استناداً على كتاب المفه الذي يزعمون
انه تأليف جعفر الصادق ان ذهاب المسلمين الى هذه البناية التي يزعمون انها
بيت الله هو راس الكفر وآلة الاصنام

واما اعتقادهم في الصلاة ويسمونها الخمسة المصطفية لكون فروض اوقات
الصلاة هي خمسة فهي الفرض الاول صلاة الظهر لمحمد . والثاني صلاة العصر
لفاطر (وهي فاطمة) . والثالثة صلاة المغرب للحسن بن علي بن ابي طالب . والرابع
صلاة العشاء لخير الحسين . والخامس صلاة الصبح لحسن سر الخفي . ومن لا يعرف
اسماء هؤلاء الاشخاص الخمسة فصلاته باطلة . وينهون عن الضحك والتهبة مع
الجهال في وقت الصلاة وعن الاخذ والعطاء والبيع والشراء والحديث والشوشرة
ايضاً وان من كانت على راسه عمامة سوداء او باصبعه كشتبان او في وسطه سكين

ذات حددين فصلاؤه كذلك غير جائزة . وقال بعض المؤلفين انه اذا كان احد النصيرية في الصلاة ومراً عليه عبد اسود او مسلم او نصراني او جمل فتقطع صلاته ويلزمه ان يبدأ من جديد وفي اوقات الصلوات يحرقون النور ويتطيبون وبوقدون الشموع ويتلون تلك السور التي مر ذكرها في الكلام على ما يعله المرشد الى المبتدئ ويشربون الخمر ويكون عنه بعد النور ويتنصرون الصلاة بقولهم ارحمنا يا علي يا امير النحل يا عظيم (واظن ان ادخالهم من كان في اصبه كشتبان بجملة الذين لا تجوز صلاتهم عندهم هو مسبب عن بعضهم في الدروز حيث كان اول داعٍ دعا الى ديانتهم رجلاً خياطاً يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كما سيأتي الكلام على ذلك)

وكما يهرون عن اوقات الصلاة بالخمسة المصطفية كذلك يعبرون بالسته النجاية عن الستة الاكوان وهم سلمان الفارسي والايتام الخمسة وقيل هي الستة الالام التي كون الله بها السموات والارض . وقيل هي ظهور الله لابراهيم وموسى وغيرها من الانبياء

واما السبعة الكواكب الدرية فهي النجوم السبعة السيارات والثمانية السماة العرش القوية فهي الالفاظ الثمانية الالهية امجد هوز حطلي الخ وهم الايتام الخمسة وطالب وعقيل وجعفر الطيار والسبعة المهدية هم اسماء سطر الامامية من محمد بن عبد الله الى محمد الجواد والعشر الدجاجات الزكية فهم الخمسة الايتام . ونوفل . وابو الحارث . ومحمد ابن الحنفية . وابو برزة . وعبد الله بن فضالة ويعتقدون بانهم اعظم الكواكب وكل كوكب منهم يحكم على فئة من بقية الكواكب وكل الكواكب في الباطن صيوان السماء ما خلا العشرة المذكورة فهي الدجاجات وديكها سلمان الفارسي الذي هو امهات الانبياء ونساؤهم ما عدا امارة نوح وامارة لوط وهو ايضا الاحد عشر الا تي ذكرهم وملكة سبا وامارة فوطيفار ومن الجمادات والوحوش كالذئب منهم باكل يوسف ومن الطيور كالحمد والفراب والنمل وغير ذلك واما عند

الشماليين في كتبهم الباطنة ككتاب اليونان وغيره فيذكر ان الديك هو محمد
ابن عبد الله

واما الاحد عشر الذين مر ذكرهم فهم مطلع البائية وهم روزبة بن المرزبان
وابو الملا رشيد الشجري وكثير بن ابي خالد الكاهلي ويحيى بن معمر وجابر بن
يزيد الجعفي ومحمد بن ابي زينب الكاهلي والمفضل بن عمر وعمر بن المفضل
ومحمد بن نصير البكري . ودحية بن خليفة الكاهلي . والسيدة ام سلمة

والاثنا عشر سطر الامامية فهم محمد المصطفى . والحسن المجتبي . والحسين
الشهيد بكر كربلاء وعلي بن العابد بن . ومحمد الباقر . وجعفر الصادق . وموسى
الكاظم . وعلي الرضا . ومحمد الجواد . وعلي الهادي . والحسن الأشعر العسكري .
ومحمد بن الحسن الحجة

واما محمد بن سنان الزاهري الذي يذكرونه في صلواتهم فهو عندهم نقيب
النساء ونقيب النجباء . والشيخ علي الصوري فهو من الاولياء . والناظم فهو احد
خدام محمد الباقر بن علي زين العابدين

ولما انهم يعتقدون بان شرفاء المسلمين الراشدين في العلم متى ماتوا تحول
ارواحهم في هياكل السمير . وعلماء النصارى في ارواح الخنازير . وعلماء اليهود في
هياكل القردة . واما الاشرار من طائفتهم فتتحل ارواحهم في الموائمي التي تؤكل
ولكن الخاصة الشاكون في الديانة فبعد موتهم يصيرون قروداً والمنزجون
ذوو الخير والشر يقصون الى هياكل بشرية عند الطوائف الخارجة عنهم .
اعتقدوا كذلك بانه اذا كان احد من غير مذهبهم يصير نصيرياً فيكون في
الاجيال الماضية كان منهم والسبب خطاياهم ولد في ذلك المذهب الذي خرج
عنه . ولا يقبلون احداً من الطوائف الغريبة الا ان كان من النعم لان اهل الهيم
(هم مصدر التشيع ولا سيما الغلاة منهم) يعتقدون بالوهية علي بن ابي طالب واما
ان كان احد من ابناء ديانتهم يرتد الى دين آخر غير ما فيمكون عليه بانه ابن
زناء وان امه زنت من ذلك المذهب الذي دخل فيه

ويتظاهرون بهذه جميع الطوائف فاذا لقوا مسلماً مثلاً يحلفون له بانهم
مثله يصومون ويصلون ويوجهون الصوم على الرضاة واذا دخلوا معه المسجد
للمصلاة يخفون ويرفعون مع المسلمين بدون ان يتلوا شيئاً غير الشاتم التي
ذكرناها ويسمون هذا التظاهر بمثل معناه انهم هم الجسد وباقي الطوائف لباس
فأي نوع لبسة الانسان لا يضره ومن لا يتظاهر هكذا فهو مجنون لانه ليس له اقل
ان يمشي عرباً في السوق وانما يخرج من مذهبه متى قال انه بريء من ان
يعبد هلياً بن ابي طالب او باج بصلاته فقط

واما العلامة التي بها يعرفون بعضهم فهي ان الغريب منهم اذا اتي محلاً
يسأل أولاً عن قريب له هل يعرفونه فيقولون له ما اسمه فيقول لهم الحسين
فيجاوبونه حينئذ بن حمدان فيقول لهم الخصبي . والثانية انهم يقولون للغريب
شاش عمك كم دور فان اجاب ستة عشر يقبلونه . الثالثة ان عطش عمك من
ابن نسيه الجواب من عين العلوية . الرابعة ان غاط عمك فاذا تهدي به الجواب
لحبة معاوية . الخامسة ان ضاع عمك فاين تلاقيه . الجواب بالنسبة . السادسة
اربعة واربعين وثلاثة واثنين وقدرهم مرتين في دينك ابن . الجواب بالمسافرة .
سوال اقسام لي اياهم . الجواب سبعة عشر عراقي وسبعة عشر شامي وسبعة عشر
مخني . سوال ابن يوجودون . جواب علي باب مدينة حران . سوال ما يعملون .
جواب ياخذون بالحق ويعطون بالحق

اما اليمن الثابتة عند النصيرية كافة فهي ان تضع يدك في يده وتقول
احلفك بامانتك عقد علي امير المؤمنين وبعقد عمس فلا يمكنه بعد هذا اليمن
ان يكذب

وكل غني من النصيرية ملانم ان يعمل عيداً او عيدين او ثلاثة حسب
طاغته لمذهبه واكبر اعيادهم عيد الغدير يقع في ١٨ ذي الحجة . وعيد الاضحية
في العاشرة ايضاً تذكراً لاسماعيل بن هاجر . وعيد المهرجان في ١٦ تشرين
الاول . وعيد البربارة في ٤ تشرين الثاني . وعيد ميلاد المسيح في ١٥ كانون

الاول . ورأس السنة في اول كانون الثاني . وعيد الفطاس في ٦ منه . واعياد
آخر كعيد يوحنا المعمدان . ويوحنا في الذهب . والشعاعين . والعنصرة . ومريم
المجدلية وهناك اعياد أخر لا يعلم لمن بكرسونها . منها عيد بعد سبعة ايام من عيد
البربرة . وعيد آخر بعده سبعة ايام ايضاً . وعيد في ١٧ اذار وفي اول نيسان .
ثم يوم النبروز في الرابع منه . وعيد آخر في الخامس عشر منه . وفي التاسع من
ربيع الاول ويسمونه غدیر الثاني . ومن الليالي ليلة النصف من شعبان . وليلة
اول رمضان وليلة ١٧ و ١٩ و ٢١ و ٢٣ و ٢٧ منه واما اهل القرى فلا يبالون
وبعالمون اعياد الفرح في رمضان كالمسلمين

وبما ان فرق القرامطة على اختلاف مذاهبهم هم في الاصل فرع من غلاة
الشيعة اصحاب علي كانت اعيادهم غالباً من مصدر واحد لا ريب بانه فارسي
بل ويستمد من اصل مانوي ايضاً فان الاسماعيليه الذين منهم الخلفاء الفاطميون
بمصر كانوا يعتبرون يوم النبروز كقدماء الفرس وكانوا يوقدون فيه النيران
ويتراش الناس بالماء والخمر وكان اول من اتخذ هذا اليوم هو جمشيد احد ملوك
الفرس ومعناه بلغتهم اليوم الجديد اذ فيه يبتدئ فصل الربيع . ويعتبرون ايضاً
يوم عيد ميلاد المسيح ويتهادون بحجارات الحلاويات . وكذلك يوم الفطاس فان
امراءهم كانوا يوقدون فيه المشاعل والشموع ويكثرون من الاكل والشرب
وانواع الملاهي والقصوف على شاطئ النيل ونهادي اهل الدولة فيه بالاترج
والنارج والليمون وغير ذلك . ويوم خميس العهد كان من رسوم الدولة المذكورة
ان تضرب فيه خمس مئة دينار ذهب عشرة آلاف خروبه وتفرقها على جميع
ارباب الرسوم

قال بعض المؤلفين الذين لخصنا من كتبهم ما ذكرناه هنا ان النصيرية
يشابهون الدروز في قضية التناسخ ولكنهم لا يحصرونها كالدروز في البشر
والاديان بل يعتقدون انتقال الروح البشرية الى البهائم والحشرات والمعادن
لكي تنقص بالحسي في النار والطرق بالمرازب على السدان ويشبهونهم في قضية

الفتال والجهال ولا يسلون الجهاد الديانة الا بالتدرج ويشبهونهم في استباحة
وقتل وسلب من يخالف معتقدهم وبقيد منه زمان ايجاد العالم على ما هو عليه
الآن بدون زيادة ولا نقص وبفضية الادوار والائمة والناطق والاساس والسابق
والنالي ولكم يختلفون في صفات اصحاب الادوار . وفي كونهم يكرمون بعض
الاشخاص المقتولين من الدروز كعبد علي وعيسى وبطرس وموسى ويوشع
وابراهيم واسماعيل ونوح وسام وادم وهايل وشيت . ويحل عندهم انكار دينهم
والنبرو منه عند من يسلم عنه

ويشبهون المجوس في عبادة الشمس والكواكب
ويشبهون النصارى بتعظيم المسيح وبطرس واستعمالهم الخمر في الامور الدينية
واستباحة شربه في غير ذلك وكون لهم اعياد معهم انتهى
اقول ويشبهون المسلمين لاعتراهم بالقرآن واعتقادهم باسماء مطابقة بالتمام
لاسـم صاحب الشريعة الاسلامية واهل بيته وغيرهم من الاشخاص المعتبرين
عندهم وان كان لهم في ذلك معتقدات زائفة لاتوافق الدين الاسلامي ولا غيره
بل ان مبادئها هي واعتقادات الدروز التي ذكرهم مع ما بينها من الاختلاف
واحدة وكلتاها متفرعان عن دعوة التدايح التي سبقت تفاصيلها ومن اراد التوسع
في معتقدات هذه الطائفة النصرانية واخبارها فعليه بمؤلف الشيخ سليمان الأذني
الذي مر ذكره فانه مشهور الآن بسبب طبعه ونشره اكثر من غيره من التماثيل
الموجودة في اللغة العربية على هذا المذهب

الفصل الثالث

في ما اشتهر من ديانة الدروز ومعتقداتهم الخفية

لما رأى بعض مؤلفي الافرنج ان الدروز اعتقادات من اعتقادات الفلاسفة

الاقدمين كالقول بتناسخ الارواح وتعظيم العجل زعم ان هذه العقائد التي توافق دين السيرة النديم وبعض مذاهب من مذاهب فرق اليهود تؤيد ما ظنه بعضهم وهو ان اجتماع الدروز بهذا الاجتماع السياسي قديم سابق على وجود الحاكم بامر الله ووجود حمزة رئيس دينهم وانهم هم الامة المذكورة في كتب العبرانيين باسم ابطوريس وقد مدحها اليونان والرومان بانها امة متعاصية تُسمى ابطورية صاحبة جبل لبنان من بيروت الى دمشق وكذلك شهد ساح افرنجي من المتأخرين معتقاً ان اسم الدروز الحقيقي هو دورزية او تورزية وهو قريب من لفظة ابطورية وعلى هذا يكون مذهب الحاكم لم ينفدها في هبة السرية الاّ حماساً جديداً او غيرة حادثة واجتماعاً كان سابقاً حاصلًا انتهى

هذا ما كان من امر قدمية وجود اسلافهم في الامكنة التي هم متوطنون فيها واما ديانتهم فهي وان وجد فيها ما يفاير مقاصد تعاليم القرامطة الاّ انها صادرة عنها ومبنية عليها كما يتضح ذلك من التفصيلات الانية وما استدل به هذا المؤلف مما هو مأخوذ عن تعاليم الفلاسفة وغيرهم فلا يخفى ان تعاليم القرامطة تنتهي الى هذه الغاية كما يستبين من الدعوة التاسعة لاحمد بن ميمون القداح ويؤيد ذلك ما يأتي

وهو انه من بعد ان ولد لاحمد بن عبد الله بن ميمون القداح المذكور ولدتان احدهما يقال له الحسين والثاني حميد ويعرف بابي الشلمع مات وخلفه ابنه الحسين ثم مات الحسين وخلفه اخوه ابو الشلمع وبعث بداعيين الى المغرب وهما ابو عبد الله واخوه ابو العباس فتلا في البربر ودعوها ف جذب ابو عبد الله قلوب اهل المغرب بواسطة انظاره بفنائل اهل البيت بدون ان يتعرض لذكر ابي محمد عبيد الله الذي كان محبوباً يومئذٍ بسلماسة احدى مدن المغرب بامر الخليفة المنتضد العباسي في بغداد ثم لما صار له حزب كافٍ من الذين جذبهم اليه على الوجه الذي ذكرناه جند الجنود وشرع في محاربة نواب الخلفاء العباسيين ببلاد المغرب وابتد حروب كثيرة انتصر فيها عليهم وكان يقول للناس الذين

حواله المهدي يخرج في هذه الايام فيها طوبى لمن هاجر اليّ واطاعني ثم لما امتلك
 القيروان اخرج عبيد الله المذكور من حبس اليسع صاحب سلجاسة وكان
 عبيد الله هنا من ذرية الحسين بن علي بن ابي طالب ومشي في ركاب جميع روساء
 القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم المهدي ويبيكي من شدة الفرح فامتلك
 حينئذ عبيد الله المذكور افرقية وتلقب بالمهدي امير المؤمنين وانشأ هناك دولة
 تلتبث بالفاطمية نسبة الى فاطمة بنت صاحب الشريعة الاسلامية وبالعلوية نسبة
 الى الامام علي بن ابي طالب وبالعبيدية نسبة الى عبيد الله المذكور وهي من
 الفرقة الاسماعيلية التي سبقت الاشارة اليها ثم من بعد ان افتتح حفيده المعز لدين
 الله ابو تميم معد بلاد مصر وبنى القاهرة وجعلها دار خلافة مات وتولى مكانه
 العزيز بالله ابي النصر نزار ابن المعز المذكور ثم توفي وقام مقامه ابنه الحاكم بامر
 الله ابو علي منصور وكان ذلك في سنة ٢٨٦ للهجرة سنة ٩٩٦ م

وكان هذا الخليفة الجديد عند ما جلس على تخت الخلافة العلوية في سن
 احدى عشرة سنة ومن احاديثه انه كان تارة يتظاهر بغيره شديدة على المسلمين
 وتارة يقتلهم ويقطع الحج ويظلم الناس ظمًا عنيفًا وله في مثل ذلك من الاخبار
 ما هو فوق المستغرب حتى انه منع الناس من اكل الملوخيا لانه كان يحبها معاوية
 ابن ابي سفيان ومن اكل البقلة المسماة بالجرجير المنسوبة لعائشة ومن اكل المتوكلية
 لنسبتها الى المتوكل العباسي وامثال ذلك كثيرة ويقال بانه كان يدعي هلم
 الغيب وقد استخدم بعض العواهر يرسلن الى منازل الناس فيتجسسن اخبارهم
 ثم يخبرنه بها فيدعوا رباب تلك المنازل ويخبرهم بما جرى في منازلهم كانه عرف
 ذلك بسريّة فيه

وفي سنة ٣٩٥ للهجرة (سنة ١٠٠٤ م) قام رجل يعرف بابي ركة ودعا
 الناس الى نفسه وكان يدعي انه من بني أمية فاجاب الناس دعوته فخرجهم من
 دولة الحاكم المذكور وكان عند الحاكم قائد يقال له الفضل بن عبد الله فخرج
 لقتال ابي ركة وظفر به بعد ان كان قد استظهر على جيوش الحاكم واتى به الى

الفاخرة اسيراً فامر الحاكم بقتله وحسب ذلك معجزة له فعلها بتدريه الالهية ومن ثم امر الناس بالسجود اذا قرع اسمه الاسماع او ذكر في الخطبة وغيرها وانهم على الفضل وقربة ثم قتله اخيراً لاطلاعه منه على امر كره الحاكم ان يطلع عليه هذا القائد

وفي آخر سنة ٤٠٧ للهجرة سنة ١٠١٦ م قدم الى مصر رجل يقال له محمد ابن اسمعيل الدرزي الذي سبق ذكره في الكلام على ديانة النصيرية وكان في ما قيل اعجبياً وداعياً من دعاة الطائفة الباطنية وهو المسمى في كتب الدرزي نشتكين الدرزي ونشتكين بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء والكاف وبعدها ياء ساكنة ثم نون لفظ اعجبي تسمى به المالك فدخل هذا الرجل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوتيه بالالوهية ثم شرع بهذا التعليم جهراً وكتب كتاباً يقول فيه ان نفس آدم جازت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متصلة من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وهو خالي الكون الى آخره ولما قرأ كتابه هذا في احد الجوامع بهم هلك الناس ليقولوه ففر منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي المذكور وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سرّاً الى بر الشام فنزل في وادي التيم بالقرب من جبل الشيخ ونادى هناك بالوهية الحاكم وكان الامراء التنوخيون الذين قدموا من العراق الى بر الشام من الطائفة الباطنية ووجود هذه الدخيلة في انفسهم كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي المذكور فانتادوا اليها ومن ذلك تسببت طائفة الدروز ثم قتل الدرزي في وقعة مع التتر سنة ٤١٠ للهجرة سنة ١٠١٩ م وفي حاشية كتاب من كتب الدروز انه قتل في السنة التي بعدها

وكان عند الحاكم رجل آخر اسمه حمزة بن علي بن احمد وهو رجل اعجبي ايضاً ويُلَقَّب عندهم بالهادي فوقع الخلاف بينه وبين الدرزي حتى ارسله الحاكم الى الديار الشامية فتقدم حمزة مكانه وعلم بالوهية الحاكم وجعل نفسه ثانياً له والدروز يكرمونهم جداً وياعنون الدرزي ويكرهون التسمية باسمه فيسمون انفسهم

موحد بن اي قائمين بتوحيد الحاكم

وفي سنة ٤١١ للهجرة سنة ١٠٢٠م احوالت على الحاكم اخنث سيدة الملك وقتلته عن يد رجل يقال له ابن دؤاس كان متبها بها وكانت تخاف من اخيها ان يقتلها جميعاً فسبته وبعد موت الحاكم كتب حمزة المذكور الرسالة المسماة بالسجل الملقى وعلمها على باب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اخنثي اثمناً لايمان المؤمنين

هذا اصل طائفة الدروز وكيفية امتدادهم في بر الشام وكانت ديانتهم مستورة وكيفية اعتقاداتهم لا يعرفها احد حتى حاربهم ابراهيم باشا رئيس العساكر المصرية وقهرهم في محل يقال له شبهة وفتح معابدهم المعروفة بمخلوات البياضة الكائنة على ذروة جبل حاصبيا ووجد فيها كتباً كثيرة فاخذتها العساكر ولا سيما عساكر الامير بشير حاكم جبل لبنان وقتلهم فظهرت ديانتهم وانتشرت كتبهم في جميع اقطار العالم حتى انه ترجم بعضها الى اللغة الفرنسية والانكليزية واما كتبهم فهي رسائل الحاكم وحمزة وتعليقات آخر للشيخ بهاء الدين الصابري والشيخ زين الدين معاضد من فليحين والشيخ يوسف الكفركوفي من وادي التيم وقد كتب شروحاً على هذه الرسائل الامير عبد الله التنوخي الملقب عندهم بالسيد من قرية عبيه وهو من اوليائهم وله مقام في القرية المذكورة بزورونه بالهدايا والندور . ولندكر هنا نبذة من معتقداتهم مختصة من ذلك فنقول

كان منصور العبدي الخليفة الثالث من الفاطميين بمصر يلقب بالحاكم بامر الله كما ذكرنا فلما ادعى الالهية لقب نفسه الحاكم بامر الله واما الخطباء ان يقولوا على المنابر بسم الحاكم المحي الميت وجماعته الآن ينكرون وجود الله والانبياء وينسبون الالهية الى الحاكم المذكور فقط فيقولون ليس في السماء اله موجود ولا على الارض رب معبود الا الحاكم بامر الله

وهم رجالاً ونساء ينقسمون الى طبقتين عقال وجهال . والعقال ينقسمون كذلك الى طبقتين احدها خاصة وهي ممن حقت الثقة به وعرف دينه حق

المعرفة والثانية عامة وهي من حسن الظن به فعرف شيئاً من دينه ومن العقال طبقة أخرى تعرف بالمتزهدين واصحاب هذه الطبقة في اشد العباداة والورع منهم من لا يتزوج ويموت بطلاً ومنهم من يصوم كل يوم الى المساء ومنهم من لا يأكل ليلما جميع ايام حياته ومنذ نحو مئتي سنة تظاهر عقلم بعدم شرب المسكرات بارشاد الامير عبد الله الفتوح الذي مر ذكره واما قبل زمن المذكور فما كانوا يتعاشرون ويستعمرون مال الحكام فلا يكون من دار الحكام ولا من دار خادمه ولا ما يحمل على دابة شريت بماله ولا ما يحمل بمجانبة اقيم من ماله ولا يطعنون تحت رحاه ولا يصرون زيتونهم في معاصره

ولهم ميثاق يكتبونه على من يصير منهم عاقلاً يقولون فيه هذا من ميثاق ولي الزمن اي حمزة بن علي ويعترف العاقل فيه بايمانه بالحكام وتبرئه من جميع الملامب غير ذلك وانه لا يعرف غير طاعة الحكام ولا يشرك في عبادته احداً وانه قد سلم روحه وجسمه وماله له ورضي بجميع احكامه وانه اذا رجع عن ذلك استحق العقوبة من البار العلي وان من اقر انه ليس في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولاه الحكام جل ذكره كان من الموحدين الفاضلين ومن تعاليمهم انه يجب على النساء المؤمنات ان لا يشغلن قلوبهن بغير توحيد الحكام ولا يكن كالفاسقين وان الفاسق هو النصيري لقوله ان المؤمن لا تنفع اخاها فرجها ثم اذا خرج الرجل عن دين الدروز بالكلية يجب على امرائه ان نهل جميع الوسائط لطالافه واذا لم يمكنها ذلك لا بجيلة ولا بغيرها فلا تمكنه ان يدنو منها

ويجوز عندهم انكار الاعتقاد ولا ينجل ذلك عندهم بشيء من صحة الدين اذ ان الدين في الباطن اما ظاهره فكاثوب يجوز خلعه عند الضرورة وقد كتب له الشيخ المغني في رسالة الغيبة وهذا الشيخ عندهم احد الحدود الخمسة وهم بمنزلة الرسل المعصومين اذا طلب منهم سب هذا الداعي فسبوه وتبرأوا منه والعنفه ومولاهم يعلم ما تظفرونه وتكتبونه

ويعتقدون التقيص والمراد به انتقال نفس الميت الى نفس المولود عند موته ويسمون الجسد قيصاً فلا تزال الارواح عندهم على عدد واحد لا تزيد ولا تنقص وهذا خلاف التناسخ الذي تعتقده اليهود والنصيرية الذين لا ينقص عندهم ذلك بين الناس فقط بل يكون احياناً بينهم وبين البهائم وغيرها وبناءً على ما ذكره معتقد الدروز انه لا يخلق ولد موحد عند كافر ولا كافر عند موحد ويعتقدون انه ماضي من الخليقة عوالم كعوالم الجن وعالم الجن وعالم البن وعالم الانس الذي نحن فيه وانه مضى سبعون دوراً كل دور اربعة آلاف الف وتسع مئة الف سنة وذلك لحين ظهور المحاكم بامرهم فتكون مدة العالم ثلاث مئة وثلاثة واربعين مليوناً من السنين

ويعتقدون ان الاله ظهر في هذا الدور عندهم مرات كثيرة لا يعرفون منها غير عشرة اشخاص اولهم العلي وثانيهم البار وهكذا الى المرة العاشرة ظهر في المحاكم بامرهم وانه من اعظم المن وجود المحاكم المذكور في الصورة الناسوتية وان اللاهوت لا يغيب عن الناسوت طرفه عين وهو على حالة واحدة لا يتغير وانما يتغير عليهم بما فيه صلاح شأنهم وهو تغيير الاسم والصفة لانه في مقام الفاعل ظهر في صورة باسم وصفة لذلك ظهر في مقام المنصور اي المحاكم وهو في مقام المعز وفي مقام العزيز (العزيز والمعز هما اب وجد المحاكم وقد مر ذكر ذلك) فهو الفاعل والمنصور والمعز

وهم ينتظرون حضور ياجوج وماجوج من داخل الصين ويسمونهم القوم الكرام ليحلى المحاكم صبغة وصولهم على الركن الثاني من البيت (بمكة) ويدفع الى حمزة سيفه المذهب فيقتل فيه الكلب والخنزير يريدون فيها الناطق والاساس وهما عندهم ابليس والشيطان لان جميع المبدعات نطفاء واية واسس وحيج ولو احق بهم كلهم قاعة الكفر والشرك . وحينئذ يهدمون الكعبة ويفتكون بالنصارى والمسلمين ويستولون على جميع جهات الارض الى الابد ويجعل حمزة لكل طائفة غير اصحابه الموحدين سمة في جبينه او في يده علاناً يتأذى به وجزية

يؤذيها كل عام

ويعتقدون ان ابليس المذكور هنا قد ظهر في جسم آدم ثم انتقل الى نوح ثم الى ابراهيم ثم الى موسى ثم الى عيسى ثم الى محمد ثم الى سعيد . واما الشيطان فظهر اولاً في جسم شيث ابن آدم ثم انتقل الى سام ثم الى اسما عيل ثم الى يشوع بن نون بعد هرون ثم في شعون الصفا ثم في علي بن ابي طالب ثم في قذاح (والقذاح هو صاحب الدعوة القرطبية وقد مر ذكره)

ولذلك يكتبون الصادق بالسين المهملة . ويسمون الحدود والدعاة والنبياء والمكاسرين عندهم حروف السدق التي هي بحروف الجمل ١٦٤ فلو كتبوها بالصاد ازادت عن السين ٢٠ فلذلك يكتبونها بالسين ليستطوا هذه الثلاثين لانهم يسمون محمداً بن عبد الله وزوجاته واولاده حروف الكذب بالدال المهملة ليكون ذلك بحروف الجمل ٢٦ فاذا اضافوا اليها الائمة الاربعة وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي صارت ٢٠ فبطرحونها من حرف الصاد الذي هو ٩٠ يبقى ٦٠ وهو حرف السين ولذلك صار الصدق سديقاً ليكون حينئذ صدقاً خالصاً من شوائب الكذب على زعمهم ولذلك يقولون ان سديق اللسان وحفظ الاخوان هما فريضان عندهم بدلاً من الصوم والصلاة الا انه يشترط الصدق حسب اصطلاحهم لمن كان منهم متمسكاً بدينه ويحرم لغيره ويخلفون بالصدق كذباً على ما ينكرونه ولم خرافات كثيرة كانه يسنون فيها عقائدهم على حساب الجمل وعلى اشكال الحروف وما شابه ذلك

ويقذفون بكامل الانبياء الى العزم ويسمون محمداً باسماء ردية ويقولون ان الفحشاء والمنكرها ابو بكر وعمر وقوله في القرآن انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان يراد بذلك الائمة الاربعة وانهم من عمل محمد ابن عبد الله لان الدروز وان يكونوا بالجملة يكرهون باطناً جميع اهل الملل الخارجة عنهم ويستبيحون اموالهم ودماءهم عندما يمتلكون فرصة عدم الحذور على انفسهم ويعتقدون ان العقال منهم هم الملائكة وان الشياطين هم باقي الملل الا ان اكثر

كراهيتهم في منجته بالاكثرت نحو المسلمين وتوجد في كتبهم خرافات وبدع كثيرة
تشمز النفوس منها والاضراب عنها خير من ذكرها

ويعتقدون نظير ذلك بكل ما تكفر به بقية الملل فان عندهم سلمان
الفارسي هو حمزة وهو مسيح الحق وهو سليمان بن داود وقارون وشعيب وفيثاغورس
الفيلسوف وهو النبي الكريم وان هؤلاء جميعهم استقرت فيهم روح سطانائيل
وبالجملة هو المسمى عند النصارى والمسلمين ابليس الرجيم

ويعتقدون بالانجيل والقرآن فيختارون منها ما يمكنهم تأويله لمقتضياتهم
وينكرون ما علاه ويقولون ان القرآن هو كلام سلمان الفارسي وحي أنزل عليه
فاخذه محمد بن عبد الله ونسبه له ويسمونه في كتبهم المصور المبين وان بسم الله
الرحمن الرحيم في تسعة عشر حرفاً تشير الى حدود حمزة التي في تسعة عشر
رجلاً ولذلك عندما يكتبون بسم الله الرحمن الرحيم يخطونها بنوهم حدود
عبد الامام

ولا يجوز ان يقال لجبريل القائم بالالف واللام ولكن يقال قائم بدونها
ليكون اربعة احرف على عدد حروف اسم الله والله هو القائم والقائم هو المهدي .
ثم ان الله والقائم والمهدي كلهم عبيد لمولاهم الحاكم لان اسم الله عندهم يقع على حمزة
واما معنى الله فيقع على الحاكم بامر

والسبب في ذلك هو ان الحاكم بامر جعل حمزة بن علي المذكور هاديه
وامامه وارسله الى توحيد باريه وحل له الطيبات وحرم عليه الخبائث وانه
ميز عن الحدود الروحانيين بعشرة احوال هي انه ابدعه من النور الخضر واوجد
فيه الاشياء بالقوة وايداه بالتأييد الكلي وجعله علة العلل وجعله امام الخلائق
جميعها واطلعه على سرائر العالم من مبتدئ الدنيا الى ما لا نهاية له وجعله صاحب
الكشفات الالهية وهي اثنتان وسبعون كسفة وجعل على يده الثواب والعقاب يوم
القيامة وجعله موقت منادير الاعصار على بنائها وتكرارها وجعله كامل الجسم
وان الطبيعة ما اعتدلت في جسم غير جسم واحد الذي هو حمزة وانه اجتمعت

فيه خمسة منازل حدّ الجسمانيين وحدّ الجبرمانيين وحدّ الروحانيين وحدّ
النفسانيين وحدّ النورانيين . والحدّ هو غاية الشيء ونهايته

وقد اسقط المحاكم عنهم سبع دعائم تكليفية ناموسية وفرض عليهم سبع
مفصال توحيدية دينية فالسبع دعائم التكليفية اولها الشهادات ثانياً لان العبادة
للمعلوم تكليف وما اجد قط نصيحاً له عبادة معلوم وكذلك لا تصحّ رسولية كافر
(والمعنى في ذلك ظاهر) وثانيها دعامة الصلاة في خمسة اوقات ودعامة الزكاة
وهي الثالثة . والرابعة دعامة الصوم في رمضان والخامسة دعامة الحج والسادسة
دعامة الجهاد والسابعة دعامة الولاية وقد اسقط ذلك عنهم المحاكم بعد ان
كان اهل الحق عاملين به في السر لما تجلّى في اول سنة ٤٠٨ للهجرة سنة ١٠١٧ م
واقام لهم السبع الخصال التوحيدية المذكورة عوضها ومنها سدى اللسان وحفظ
الاخوان الى غير ذلك

ولا يمكن هنا كافياً في هذا الباب ومن اراد ان يتوسع باكثر من ذلك فعليه
بالوقوف على كتاب كشف ديانة الدروز المطبوع في باريس وكتاب مختصر
البيان في مجرى الزمان

يقول مؤلفه الفقير المحتاج الى رحمة القدير الازل . نوفل بن نعمة الله بن

جرجس نوفل . هنا آخر ما وصلت يدي الى جمعه في كتاب

ربعة الصوائف . في اصول المعارف .

والله الهادي الى الصواب .

والله المرجع

والعاقب